منهج

التربية النبوية للطفل

مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح وأقوال العلماء العاملين

تأليف

محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

قدم له السادة الفضلاء

الداعية: أبو الحسن الندوي — الشيخ: أحمد القلاش

الدكتور: محمد فوزي فيض الله — الدكتور: محمود الطحان

الشيخ: عبد الرحمن حسن حبنكة — الدكتور: أحمد الحجي الكردي

الجزء الأول

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دُنْيا يُصِيبُهَا ، أو امرأةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِجْرتُهُ إلى ما هَاجَر إليه». متفق عليه .

وقال ﷺ: «إذا أراد الله بأهل بيتٍ خيرًا أَدْخلَ عليهم الرفق» . أخرجه أحمد (6/ 71) وقال الهيثمى : ورجال أحمد رجال الصحيح . المجمع (8/ 19) . وصححه المناوى فى (فيض القدير) : (1/ 263) .

أقوال تربوية

(1)قال رجل للأعمش : هؤلاء الغلمان حولك ! قال : اسكت ، هؤلاء يحفظون عليك أمر دينك . [عن الكفاية فى علم الرواية ص 115] .

(2)قال رجلٌ لابنِ سحنون – رحمه الله – ممن يطلب ابنه العِلمَ عِنْدَه :إنى أتولى العملَ بنفسى ، ولا أُشْغِلُهُ عَمَّا هو فيه ؛ فقال له: أعلمت أن أجرك في ذْلك أعظم من الحج والرباط ؟ [عن التربيةفى الإسلام ص 250].

(3) بادروا بتعليم الأطفال قبل تراكم الأشغال ؛ وإن كان الكبيرُ أوقد عقلاً ، فإنه أشغلُ قلبًا [حكمة].

(4) إننى أؤمن بقوة المعرفة ، أؤمن بقوة الثقافة ، ولكننى أؤمن أكثر بقوة التربية. [سيد قطب – مجلة الرسالة عدد 995 سنة 1952] .

الإهداء

إلى والدى الذى شجعنى فى طفولتى على حفظ القرآن الكريم والسنة الشريفة .

إلى والدتى التى غرست فى نفسى معانى : الحب ، والوفاء ، والإخلاص ، وحب العلم .

أبتى وأُمِّى يَا رَجَائى فى المُنَى

أَبَتِى وأُمِّى مَنْبَعُ الإيثـــــــــــارِ

إنِّى جَعَلْتُ ذَخِرَتى بِدُعَاكُمَا

وَرِضَاكُمَا عَوْنِى على الأَخْطَارِ [1]

إلى والدىّ الحبيبين – وإن عَلَون – أكرر إهداء ثـواب وأجـر هـذا العمـل لهـما فى الإصـدار الثالث وإلى يوم القيامة .

وإننى أتوجه إلى الله تعالى – بالدعاء بهذه الآيات الكريمات ، راجياً منه – سبحانه – القبـول ، وحسن الختام ، فى الدنيا والآخرة .

(١) ديوان (أمى) للشاعر الرحل بهاء الدين أميرى رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر : 60] .

﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البقرة:128] .

﴿ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم].

﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم].

﴿ هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان] .

﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ

صَٰلِحًا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل] .

﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحًا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف] .

تقريظ السادة الفضلاء العلماء

شكر الله سعيهم

ثم مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة تقديم

للداعية : أبى الحسن على الحسنى الندوى

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ، فقد طلب منى الأخُ الكريم محمد نور سويد أن أكتب كلمة عن كتابه:«منهج التربية النبوية للطفل» للطبعة الثالثة ، وقدم نسخةً من كتابه القيم،وعندما تصفّحت أوراقه وجدت أنَّ نخبة من أهل القلم والفكر الإسلامى والتربية قد أعربوا عن تقديرهم لهذا المجهود العلمى الكبير ؛ الذى ملأ فراغاً كبيراً فى تربية الطفل ، ولم يكن المؤلف فى حاجة إلى كلمة جديدة للتعريف بالكتاب ، فقد عرفه الكتّاب المعروفون ، وكان عنوان الكتاب نفسه يعرِّف الكتاب خير تعريف ، وقد نال الكتابُ القبولَ كما يظهر من صدور طبعتين فى سنة واحدة ، الأمر الذى يدل على ما يحمل الكتاب من نفع ، واستحقاق للقراءة ، والاستفادة منه .

لقد بذل المؤلف جهداً كبيراً فى جمع المواد فى هذا الموضوع الطريف ؛ الذى لم يتجه إليه انتباه الكتاب فى التربية ، وعلى عكس ذلك كان عمادهم منهج التربية الغربية ؛ لأن العصر ـ الذى نعيش فيه هو عصر الغزو الفكرى ، وقد غُزِى المسلمون فى كل مجال من مجالات العلم والثقافة ، وكانت التربية الميدان الفسيح الذى تغلغل فيه النفوذ الأوربى المادى ، فإن جميعَ تعريفات التربية تلتقى على إعداد الطفل؛ليكون الطفل قادراً على تحقيق رغباته الدنيوية ، وتطبق عليه التجارب التى أجريت على الحيوانات والبهائم ، ولمتابعة هذا المنهج المادى لا يخرّج مجتمعا إنساناً يحمل الصفات الإنسانية النبيلة .

وقد أشار المؤلف على أساس دراسته للسيرة النبوية والسُّنَّة : أنَّ مرحلة تربية الطفل تبدأ من

الزواج ، وأن العلاقات بين الوالدين ، وصلاح الوالدين ، والتوافق بينهم على الخير ، لهما تأثير على تكوين نفسية الطفل وميوله ، وذكر أهمية نشأة الطفل فى حضن أمه، وأهله ، وبيئته ، وصلته بالوالدين وأقاربه ، ورعاية المثل الإسلامية فى مراحل النشأة ، وتربيته الفكرية ، وأكّد على ضرورة اتخاذ وسائل تلائم طبيعته ، والاستفادة في ذلك من المنهج النبوى الشريف ، وما ورد فى الحديث النبوى الشريف ، وأقوال رجال التربية الإسلامية ، وقدّم ملخّص قصص وحكايات إسلامية نافعة فى تربية ذهن الطفل ؛ من الكتب الإسلامية ؛ ليتكيَّف ذهن الطفل المسلم بالجو الإسلامى ، وينشأ فيه الذوق الإسلامى ؛ وتتكون الطبيعة الإسلامية ؛ التى تميز بين الخير والشر ، والنافع والضارّ ، وتوجد فيه مناعة ذاتية ، وتهيّئ السيرة النبوية مواد دسمة توجيهية فى تربية السلوك على جميع المستويات .

لقد وصفت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها خُلُق النبى ﷺ : «كان خلقه القرآن» ، وقدّم القرآن الكريم حياة الرسول ﷺ للمسلمين :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:21]، ولايمكن اتباع هذه الأسوة إلا إذا عرضت السيرة النبوية ، والمنهج التربوى على جميع المستويات ، وهذا هو المجهود الأول لعرض السيرة والمنهج النبوى فى تربية الطفل ، وفى الحياة المنزلية .

جزى الله الأخَ الكريم محمد نور سويد على هذا الإبداع ، والتقدّم فى هذا الموضوع الطريف ، وأدعو الله أن ينفعَ به المسلمين ، ويستحق الكتاب أن يكون فى كل بيت ، وأن تعدّ برامج التربية فى ضوء ما عرضه المؤلف فى كتابه من الفكر الإسلامى للتربية .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

دار العلوم / ندوة العلماء

17/ 11/ 1413هـ

11/ 5/ 1993م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الدكتور

محمد فوزى فيض الله

ربما كانت دراسة السنة النبوية الشريفة ، والعناية بالحديث الشريف:سنداً،ومتناً ، من أبرز ظواهر النهضة الإسلامية المعاصرة .

ويرجع السبب فى ذلك إلى هذه الأمور :

1 – العودة بالأمة إلى التمسك بالوحى المنزل على رسول الله ﷺ بنوعيه : المتلو وهو القرآن الكريم ، وغير المتلو وهو الحديث .

2 – أن الأمة الإسلامية لما تخلفت عن عزها الغابر ومجدها التليد ، سلكت جميع وسائل النهضة والتقدم الحديثة ، لتعود إلى مجدها التليد ، فلم تجد شيئاً ، فاستيقنت أن هذه الأمة لا تصلحُ إلا بما صلح به أَوّلها ، وإنما صلح العرب والمسلمون السابقون بالكتاب والسنة .

3 – ربما كانت العناية بالسنة أيضاً فى هذا العصر ؛ للرد على المستشرقين والمستغربين ، الذين تشككوا ، وشككوا الناسَ فى سُنَّةِ نبيهم ، بالطعن فى أكثر الصحابة رواية للحديث، وبالطعن بالمسانيد ، وفى المتون ، ثم بتجريح كتب الصحيح ، واختراع الضعف فى بعضها، ثم باختلاف بعض روايات الحديث ، مما جَرَّأَ بعض ذوى السلطة على القول بنبذ السنة ، والاقتصار على كتاب الله تعالى .

من أجل ذلك تصدى أهل السنة والتخصص الدقيق العميق فيها لدحض كل هذه المزاعم والشكوك ، والرد على كل ما أثير حول السنة من أباطيل .

وبذلك أصبح الاشتغال بالسنة ضرباً من خدمة الإسلام وعلومه ، والدفاع عن الشريعة وأدلتها .

غير أن العناية الظاهرة بالسنة الشريفة ، فى هذا العصر ، لا يعنى أبداً – عند المعنيين بالسُّنة وغيرهم – تقديمها على القرآن الكريم ، كما لا يعنى أبداً إهمال الفقه الإسلامى ، ولا إطراح اللغة العربية وفنونها ، وإن توهم بعض المبتدئين المشتغلين بالسنة الشريفة ذلك. فالقرآن هو كتاب المسلمين الأول ، لا يمارى بذلك مسلم ، والسنة تليه مباشرة فى الأهمية ، تخص عامّة ، وتُقيد مطلقه ، وتُبين مُجمله ، وتَشرح معناه ، وتُوضح أهدافه ، وتُحقّق مقاصده .

أما الفقه الإسلامى فإنه يرتكز عليهما ، وينبثق منهما ، وتُستنبط أحكامه منهما ، وذلك بالاجتهاد ؛ الذى يعتبر روح الشريعة ، والمحرك الذى أورث الفقه الإسلامى الحيوية ، والانطلاق ، والخلود .

وهذا لأن الشريعة – كما يقول الشاطبى ـ رحمه الله: «لم تنص على كل جزئية على حدتها ، وإنما أتت بأمور كليّة ، وعبارات مطلقة ، تتناول أعداداً لا تنحصر» .

وكان الاجتهاد فى استنباط أحكام المستحدثات ، التى لا نص فيها ، مسرى الفكر الفقهى فى السلف والخلف ، فى عصر الصحابة ، وفى عصر التابعين ، ومن بعدهم ، وأذن به النبى ﷺ لمعاذ ، وأقرّ عليه الصحابة ، ورضى باجتهاد سعد بن معاذ فى حكمه على بنى قريظة .

وقد رأينا بعض السلف من المُحَدِّثين يمارسون الاجتهاد بوسائله المتعددة: فأحمد – رحمة الله – يعمل بالمصالح المرسلة ، مع تمسكه الشديد بالسنة ، ومالك – إمام أهل المدينة– يقول بالاستصلاح ، والقياس ، وغيرهما من المحدثين يعمل بسدّ الذرائع ، وبالعرف .

وليس الذى يقال عن الحنفية: أنهم أصحاب الرأى ، بمعنى أنهم يتركون الحديث، ويعملون بالرأى صحيحاً ، فالذى صَحَّ عن أبى حنيفة – رحمه الله – أنه كان يقول : «ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فعلى الرأس والعين» .

بل من المعروف عند أهل العلم قوله : «لم يزل الناسُ فى صلاح ما دام فيهم من يطلب

الحديث ، فإذا طلبوا العلم بلا حديث فَسَدُوا » . وكذا قولُه : «إياكم والقول فى دين الله تعالى بالرأى ، وعليكم باتباع السُّنة ، فمن خرجَ عنها ضَلَّ» .

ولا شك أن مراده القول المذموم ، وهو الهوى ، والرأى الذى لا يعتمد على دليل من الكتاب ، أو السنة،أو القياس على منصوصاتها ، فأما الرأى بمعنى البراعة فى الاستنباط فهو صحيح بالنسبة إليهم ، وإلى غيرهم أيضاً ، ولهذا عَدَّ ابن قُتيبة فى كتابه «المعارف» من أصحاب الرأى : الأوزاعى ، وسفيان الثورى ، وهما من أعلام المُحَدِّثين ، بل يصفُ بعض الكاتبين أتباع مالك ، بأنهم أصحاب الرأى ، كما نقل الخشنى فى كتابه «قضاة قرطبة» .

ولايوجد- إن شاء الله – فى هذه الأمة المسلمة من يُقدِّم رأيَه على سُنَّةِ النبى ﷺ ، وكفى بهذا قول الإمام الشافعى – رحمه الله – فى رسالته المشهورة : «ليس لأحد بلغته سنة عن رسول الله ﷺ أن يدعها لقول أحد» .

سمةُ نهضة هذا العصر العلمية الاشتغال بالسنة ، تحقيقاً لمخطوطاتها ، وشرحاً لمتونها ، وعناية بمسانيدها ، وبطبع مصنفاتها التى لم تر النور من قبل ، وفهرسة ألفاظها ، وترتيب أطراف الحديث ، تسهيلاً لمراجعةالباحثين فيها ، وتمييز الصحيح من الضعيف فيها ، ومن ذلك دراسة جوانب من حياة الرسول ﷺ وإفرادها بالتصنيف ، لغرض التأسّى ، والقدوة به : كحياته فى السِّلْم ؛ وفى الحرب وحياته فى منزله ، وحياته بين أصحابه ، ومواقفه من المنافقين ؛ والكافرين من أهل الذمة .

وكذا دراسة هدى النبى ﷺ فى العبادة ؛ والتعامل ، والفتوى ،والقضاء ، وإقامة الحدود ، والمؤاخاة بين الناس ، وإبرام العهود ، والإصلاح بين الخصوم .. ونحو ذلك مما أَفرَدَ له الأئمة رسائل ؛ وبحوثاً خاصة ، كان من أهمها : «زاد المعاد»لابن القيم – رحمه الله .

وهذا الكتاب الذى بين يدى الآن ، هو واحد من تلك الكتب القيمة ، التى عنيت بجانب

معين من السنة النبوية ، والهدى النبوى ،وهو «التربية النبوية للطفل».

وإن يكن قد كتب في التربية الدينية،والتربية النبوية، فإنه لم يكتب – فى حدود العلم – فى التربية النبوية للطفل ، فهذا جانب مستقل هام حيوى ، من جوانب الهدى النبوى فى تربية النشء .

وقد تناوله المؤلف بعقيدة المؤمن ، وفكر المثقف الراجح ، ونظر البصير العميق، وتنظيم المهندس المتذوق ، فأقامه على عدة فصول ، رتب بعضها على بعض:

فصلٌ فى نصائحه إلى الوالدين ، وفصلٌ فى حقوق الطفل الرضيع ؛ وفصل فى بناء شخصية الطفل من الفطام حتى البلوغ ؛ وهذا أهم فصول الكتاب ؛ ومحور التربية الطفلية ؛ أقام الكتاب على أساسيات من البناء العَقَدِى والعبادى والاجتماعى ، والأخلاقى ، والعاطفى ، والفكرى ، والجسمى ، والجنسى ، والصحى ، كما عقد فصلاً خاصاً لتوجيه الطفل ببر الوالدين ، ورعاية حقوقهما ، وفصلاً آخر بأساليب التربية النبوية الفكرية ، والنفسية المؤثرة فى الطفل . ثم فصلاً خاصاً بتأديب الطفل ، وختم الكاتب بحثه بأربعينيتين من الأحاديث : أولاهما فى الأربعين الموجهة إلى الآباء ، والأخرى فى الأربعين الموجهة إلى الأبناء ، وقد رجع الكاتب فى بحثه إلى مصادر أمينة : فى التربية ، وفى السنة والتفسير ، والفقه والتاريخ والدعوة ، وحاضر العالم الإسلامى ، والثقافة الإسلامة، وكان يعزو إلى كل مصدر يأخذ عنه ، ويوثق كل ما يقول .

ودعم كل فكرة تربوية رآها ، وسجلها ؛ بالحديث الشريف ، وتطبيقات السلف ، ومسالك الأئمة المربين من أهل العلم ، وشيد نظرياته التربوية للطفل،بالحقائق الدينية الثابتة ، والوقائع التاريخية المتوارثة ، والمشاهد المقررة فى أنظار المربين الإسلاميين ، وأتى من ذلك بالمعجب الكثير ، حتى كاد يكون كتابه بحق ،موسوعة تربوية دينية للطفل ، وفهرساً لمعظم ما ورد فى السنة الشريفة ، وآثار السلف الصالح ، ومسالك المربين فى تربية الطفل المسلم، وإنى لأقدر أن يكون

لهذا الكتاب القيم أثر علمى ، وتطبيقى واسع فى المجتمع المسلم ، ويستفيد منه المربُّون، من الآباء والأمهات ، ويستفيد منه المربُّون من الأبناء الذين لم يبلغوا الحلم، وحتى الذين بلغوا منهم . لقد كُتِبَ بلغة سهلة ميسورة ، وشيّد بآى القرآن الكريم ، وحُلِّىَ بالسنة المطهرة ، ووُشِّىَ بالقَصَصِ ، وزُين بالحِكَمِ والمأثورات عن السلف الصالح من هذه الأمة ، ولا شىء أسرع إلى قلب المؤمنين من هذه المذكورات ، المُسَلَّمِ بها من جملة الجماعة المسلمة .

وأشهد أنى مررت بمعظم فصول هذا الكتاب ، ورجعت بفوائد جمة ، وتمنيت أن لو اطلعت على هذا الكتاب ، أو لو أتيح لى أن ألم بفصوله إلماماً كافياً ، إذاً لعدّلت من سلوكى فى تربية الأولاد ، فأفدتهم ، وأنقذتهم بما يغالبنى فيهم المجتمع من حولهم بمغرياته البراقة ، ووسائله لملء فراغهم بما لاينفع ولا يغنى عنهم من الجِدِّ شيئاً ، ولا يُحَبِّبُ إليهم العلم ، ولا يَبنى لهم مستقبلاً ، ولا يَشدهم إلى عزائم الأمور، ومطامح ذوى الرشاد .

سأقرأ هذا الكتاب مستفيداً ، وسيقرؤه كثيرون فيستفيدون ، وسندعوا جميعاً لمؤلفه باطراد التوفيق ، وحسن المثوبة فى الدنيا والآخرة ، كفاء ما قدم للأمة من جهد، وسَدَّ من ثغرة ، وأغنى المكتبة التربوية للطفل المسلم من فقر .

ولا أزكى على الله أحداً ، فما تزال السنة معيناً لا يغيض ماؤه ، ويُصدر جميع الوارد من حوض النبوة ، ولو كانوا أهل الأرض كافة ، وكم ترك الأول للآخر ! وجزى الله عنا نبينا وسيدنا محمداً ﷺ ما هو أهله .

الكويت الشويخ

11 من ذى القعدة الحرام : 1404هـ

8/ 8/ 1984م

أ . د : محمد فوزى فيض الله [1]

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامى ومذاهبه

فى جامعة دمشق (سابقاً)

ورئيس قسم الفقه والأصول فى كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية من جامعة الكويت

(1) قال لى شيخنا الدكتور محمد فوزى فيض الله - حفظه الله تعالى - بعد أن شاهد الإصدار الثالث فقال : هذا كتاب القرن فى موضوعه ، وبحثه ، وجمعه ، ودقة استنباطه ، وعمق تحليله . وكان قد قال لى عند الإصدار الأول ، بعد أن حثنى على طبعه : هذا الكتاب له شأن كبير ، ويستحق أن يكون شهادة دكتوراه ، وسوف تحصل به على جائزة دولية إن شاء الله تعالى ، فلله الحمد والفضل والمنة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

العلامة الشيخ

عبد الرحمن حسن حبنكة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير المعلمين من البشر ، وسيد المربين والمؤدبين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فقد أطلعنى الشاب المؤمن المهندس – محمد نور عبد الحفيظ سويد – على أصول كتابه الذى أَعَدّه للنشر بعنوان – منهج التربية النبوية للطفل – فوجدته قد اجتهد عدة سنين فى جمع مادته ، من كتب السنة ، وكتب التربية والأخلاق الإسلامية ، وقد أحسنَ ترتيبَ فصوله ومباحثه . وقد دفعه للقيام بهذا العمل الطيب حرصه على توجيه الأسرة الإسلامية لتربية ناشئتها ، وفق منهج التربية النبوية ، التى كانت التطبيق العملى ، والبيان القولى للتربية الإسلامية للنشء . وقد مرّ على ما ينبغى جمعه واستيعابه من كل ما يتعلق بالطفل منذ اختيار الزوجين المسلمين لعقد الزواج بينهما ، حتى المرحلة الجنينية ، فالولادة، فالطفولة ، فالتمييز ، فالمراهقة ، فالبلوغ ، فالرشد . وتدرج فى الجمع والترتيب والتصنيف ، واهْتمَّ بقراءة مراجع كثيرة لجمع المادة المتعلقة بالموضوع . وفى ظنى أنه لم يألُ جهداً يملكه إلا بذله ، فمن أراد أن يطلع على ما يهمه فى شأن تربية الأطفال ، تربيةً إسلاميةً نبويةً ، فإنه يجد فى هذا الكتاب زاداً نافعاً ، ومادةً جاهزةً ، يقتبس منها خيراً كثيراً.

وإنى أدعو لأخينا – محمد نور عبد الحفيظ سويد – بأن يثيبه الله على عمله ، ويمنحه مزيداً من فضله ، كما أسأل الله أن ينفع بكتابة هذا ، ويُنَوِّرَ به بصائرَ أُسَرنا الإسلامية حتى تهتدى

بهدى رسول الله ﷺ فى تربية أطفالها ، تربيةً إسلاميةً صحيحةً.

اللهم سدِّد خُطانا ، وألهمْنَا الصواب ، وارزُقْنِا العمل بمراضيك ، إنك كريم منّـان ، وآخـر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الكويت فى 28 رمضان 1405 هجرية

عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى

الأستاذ فى جامعة أم القرى – مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

العلامة المربى الشيخ / أحمد قلاش

لم يؤلف فى مثله نظير ، كيف لا ؟ ! وهو يَربط قلوبَ الصغار بسيد الأبرار ، فكلُّ بحثٍ منـه

فى تربية الأطفال ؛ تجد له أصلاً من إرشاد المربى الأكبر ، ﷺ . وتالله! لقد اعترانى مراراً فى قرائته خشوع ، وفاضت عيناى بدموع ، فى كثير من مواقفه .

فجزى الله مؤلفه خيرًا، ووفَّقَ المسلمين أن يطبعوا منه الآلاف . وحبذا لو قُـرر لمـادة التربيـة الإسلامية ، لا سيما فى المدارس الابتدائية .

أحمد القلاش [1]

(1) أحد علمـاء وشيوخ حلـب الشـهباء ، تخـرّج علـى يديـه أغلـب علمـاء حلـب ، وطلاب العلم فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الدكتور : محمود الطحان

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المربِّين سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فقد طلبَ منى الأخ الكريم محمد نور سويد – بعد أن أهدانى نسخة من كتابة القيِّم «منهج التربية النبوية للطفل» – أن أكتبَ كلمةً موجزةً عن الكتاب بعد الاطلاع عليه . وقد تصفحتُ الكتاب ، واطلعتُ على فهارسه ، فرأيتُه كتابه حافلاً بالفوائد الكثيرة فى مجال

تربية الطفل .

والجديدُ فى هذا الكتاب أنه لَفتَ أنظارَ المسلمين إلى أنه يوجد منهج تربـوى متكامـل لتربيـة الطفل ، مستقىً من هَدْى النبـى ﷺ وسُـنَّته المطهـرة ، وأنـه لا حاجـة للمسـلمين أن يسـتوردوا النظريات التربوية من رجالات ملحدين أو غير مسلمين، وفى سُنَّة نبيهم – الـذى لا ينطـق عـن الهوى – ما يغنى عن ذلك كله .

والكتاب فيه جهدٌ واضحٌ ، وعاطفةٌ صادقةٌ ، ونيةٌ مخلصةٌ إن شاء الله تعالى ، كما يبـدو ذلـك لمن يقرأ فيه .

وقد جمعَ المؤلف فيه من الشواهد الحديثية وفى مجال تربيـة الطفـل والشـئ العجيـب، وكـان موفقًا فى هذا الجمع ، ووضع كل شاهد فى محله المناسب .

وأما ترتيب الكتاب ، فكان ترتيبً ممتازً ، يدل على عقلية صافية وتفكير سليم ، وذوق رفيع .

وباختصار ، فالكتاب لا تَستغنى عنه أى أسرة مسلمة ، تضعه فى مكتبتها البيتية لتقـرأ فيـه ، وتُطبِّق ما جاء فيه من الهدى النبوى بشكل عملى .

وحبذا لـو قَرَّرَتْـهُ وزارات التربيـة فى الـبلاد العربيـة والإسـلامية فى مدارسـها ، أو قـررت فصولا منه ، فإنه جدير بذلك .

وفى الختام أسأل الله تعالى أن يثيب مؤلفة الثواب الجزيل ، وأن يجعله فى ميزان حسناته ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والحمد لله رب العالمين .

الكويت : فى 21/ جمادى الآخرة / 1408هـ

الموافق 9/ شباط / 1988م

أ . د . محمود الطحان

رئيس قسم التفسير والحديث

فى كلية الشريعة جامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ : الدكتور / أحمد الحجى الكردى

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والتابعين ، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فإن الأطفال هم وجه المستقبل ، بل هم المستقبل كله ، فهم القادة والشعب ، وهم العلماء والطلاب ، وهم العمال والفلاحون ، وهم الضباط والجنود المدافعون عن حدود الله ـ تعالى ، والحامون للحرمات ...

لهذه المعانى أولى الشارع الإسلامى اهتمامًا كبيرًا بهم ، ورعاية شاملة لتربيتهم ، وحذَّر كثيرًا

من التهاون فى أمرهم ، أو التساهل فى إعدادهم .

وقد بدأ الشارع الحكيم بالعناية بالأطفال منذ اللحظة الأولى لخلقهم ، بل قبل ذلك منذ خطبة أمهم ، فقال النبى ﷺ :«تخيَّروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم» رواه ابن ماجه ، فإذا ما ولدوا توجه الأمر على الوالدين لبدء بحسن تربيتهم فور ولادتهم : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» متفق عليه ، فإذا شبُّوا قليلاً كانت العناية بهم أكبر ، والمسؤولية نحوهم أشد : «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع» رواه أبو داود ، وهكذا تستمر العناية بهم حتى الشباب ، ثم الكهولة والشيخوخة .

وقد عنى علماؤنا القدامى والمعاصرون بهذه المعانى عناية فائقة ، وصنفوا لنا فيها كتبًا قيمة، ومن هذه الكتب التى عنيت بهذا الموضوع فى العصر الحديث كتاب «منهج التربية النبوية للطفل» للشاب المهندس: محمد نور سويد ، وهو كتاب متميز فى بابه بأمور ، منها :

- أنه جمع الكثير من النصوص القرآنية والنبوية المتعلقة بتربية الطفل بل أكثر النصوص التى تعالج ها الموضوع الهام مع توثيقها وعزوها إلى مراجعه الأصلية وتطور حياته .

رتب هذه النصوص ترتيبًا منطقيا، متمشيًا مع نمو الطفل .

- شرح هذه النصوص شرحاً لطيفاً ، أظهر كنهها وأبعادها وخفايا معانيها ، وأثرها الكبير فى إعداد الطفل .

- تبع فى عرضه بحوث الكتاب أسلوبًا عربيًا سهلًا ورصينًا ، يغنى القراء على اختلاف مستوياتهم الثقافية ، فلا يمل واسع الثقافة من الإطلالة فيه ، ولا يعجز محدود الثقافة عن فهم أبعاده ومراميه ، وقد أكرم الله تعالى به الكثيرين من القراء ، حتى أعيد طبعه مرات عديدة ، كما أفاد منه الكثيرون فى إعداد رسائلهم العلمية للماجستير والدكتوراه .

والله تعالى أسأل أن يديم نفعه لعباده المتقين ، وأن يثيب كاتبه أجرًا فى الجنة .

والحمد لله رب العالمين

18 / من ذى الحجة / 1417هـ

27/ مارس آذار / 1997م

أ . د . أحمد الحجى الكردى

الخبير فى الموسوعة الفقهية

وأستاذ فى كليتى الشريعة والحقوق

فى جامعات دمشق وحلب والكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الإصدار التمهيدى والإصدار الموسوعى

بقلم / محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

اللهم لك الحمد على التوفيق فى هذا الكتاب ، ولك الحمد على الهداية إليه ، ولك الحمد على التفضيل بإنجاز هذا الإصدار ، ولك الحمد عى ربط قلبى وفؤادى بحبك وحب نبيك ﷺ ، ولك الحمد على الرعاية والعناية بالتوجيه إلى طلب العلوم الشرعية ، ولك الحمد أن سَخَّرتنى لخدمة هذا الدين ، ولك الحمد أن استعملتنى فى البحث عن سنة نبيك وتوجيهه ﷺ فى تربية الطفل .

وأصلى وأسلم على سيدنا وحبيبنا وقائدنا فى الدنيا والآخرة ، سيدنا محمد ﷺ ، الذى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم]، وكان خلقه القرآن ، وأَدَّبَه ربُّه ورعاه وربَاه ، فأحسن ذلك غاية الإحسان ، وحُفظت أيام حياته ﷺ صغيرها وكبيرها، ما لا تستطيع البشرية حفظه لأى قائد أو أى زعيم ، وكانت حياته كلها فى غاية القمة الإنسانية ؛ذلك لأنه أعظم وأفضل رسول بعث ، فهو سيد الأولين والآخرين ، آمن به جميع الأنبياء والرسل ، وأتباعهم قبل أن يروه ، فكان كل واحد منهم يُبشِّرُ ببعثته ، ويحث قومَه على الإيمان به ، وكان ﷺ رحمة العالمين : إنسيها وجنيها ، وجمادها وحيوانها ، مؤمنها وكافرها ، دنياها وآخرتها ، علويها بما فيهم الملائكة وسفليها بما فيهم الشياطين ، فهو رحمة الله المهداة من الحق سبحانه إلى الخلق أجمعين .

فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد :

تزداد أهمية تربية الطفل يوماً بعد يوم ، لدى كافة العلماء المفكرين ،الذين يبحثون فى إصلاح الفرد ، والأسرة ، والمجتمع ، والدولة ، فالأطفال ثروة الأمة الخالـدة التـى تبحـث عـن مكـان الصدارة العالمى بين الدول .

ومن إعجاز الإسلام الخالد إلى يوم القيامة أن يظل شامخاً ؛ تتتلمذ على يديه كل المجتمعـات والدول ؛لتأخذ منه الأحكام الصحيحة السليمة فى كل ميدان مـن ميـادين الحيـاة ، رغـم تـأخر المسلمين وضعفهم فى التطبيق العملى للإسلام . وليس أدل على ذلك من كثرة المعتنقين للإسلام على كافة المستويات العلمية والاجتماعية لحالة المعتنق للإسلام، وذلك لأنه الدين الوحيد الخاتم ، والناسخ لكل الأديان السماوية السابقة ، واعتقاد المنسوخ باطل لدى كافة العقلاء أجمعين .

ورغم الصعوبات التى تعترض المعتنق الجديد للإسلام ، والتحديات التى يواجهها من بنى جنسه ، فتُنزع عنه المناصب ، ويُجرد من الوظائف ومثاله السفير الألمانى فى الجزائر الـذى أسـلم وهو مراد هوفمان وألف كتاباً (الإسلام كبديل) فما يزيـد إلا ثباتـاً واسـتمراراً ، وتلـك معجـزة أخرى للإسلام .

إن البشرية والإنسانية مدعوة للاستيقاظ من سباتها العميق الغارق فى الشهوات، إلى التأمـل والتدبر والتفكر بالعقيدة الإسـلامية والتشـريع الإسـلامى السـامق ، وعنـدما تسـتيقظ سـوف تعرف مدى الحسرة التى كانت فيها ، والظلم الإنسانى المستمر فى الضـياع، وتضـييع الشـعوب عن الله تعالى والإيمان بكتابه المعجز الخالد ألا وهو القرآن .

لقد تخرج وفق المنهج التربوى النبوى جيل الصحابة الذى ما زال ظاهرة تاريخية فريدة لم تتكرر كجيل كامل متكامل ، وإن تتكرر فى قمم عديدة كأفراد ومجموعات، إلا أن قمة جيل الصحابة تمثل أقصى ما يمكن للتربية والجهد البشرى من الوصول إليه ، من التجرد من مغريات الحياة ، والتزام المبادئ ؛ عقيدة ، وتشريعاً،وواقعاً ، وجهاداً فى سبيل الله ، وفتحاً للبلاد ، وإن

المنهج النبوى الذى خَرّج على مدار التاريخ أجيالاً وعلماء ومصلحين وقواداً قادر اليوم أن يخرج مثلهم وأن تتكرر الظاهرة فى كل آن ، لأن حركة التغيير والاستبدال التى وعد الله بها تحصل فى بناء الأطفال :﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[سورة المائدة :54] ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد] .

فالاستبدال الإلهى للأقوام بمجىء جيل جديد ، يبدأ من عهد الطفولة بالرعاية والعناية وفق المنهج النبوى فى تربية الطفل . فالذى يهمه أمر الإسلام ، ويغار عليه ، ويهمه وطنه الإسلامى الكبير ، ويغار عليه ، ويهمه شأن طفله الصغير ، بل والذي يهمة شأن نفسه ، مدعو إلى المنهج النبوى ، والتأسى به .

إن الطفولة اليوم فى كافة أصقاع الأرض ، تعيش مرحلة الضياع ، والفراغ ، والاعتداء عليها [1] ، وهذا الاعتداء سواء كان مادياً ، أو معنوياً ،أو تربوياً شأنها شأن الإنسان الشارد عن الله تعالى ، الضائع تحت ملذات الشهوات ، اللاهث نحو السراب ؛ لأن مناهج التربية الحديثة قامت دراستها على التجارب المخبرية المعملية، وعلم الإحصاء ، والتحليل الرياضى ، وكل هذا المنهج صحيح وسليم بالنسبة للمادة ؛ لأن المادة تسلك سلوكاً واحداً عندما تواجه تأثيراً معيناً ، وتسلك سلوكاً واحداً متكرراً عندما تواجه تأثيرين أو ثلاثة أو أربعة ، على حسب المؤثرات التى تواجهها ، أما الإنسان فيختلف تماماً ، فهو ينتقل بسرعة عجيبة : بين الفرح والحزن، وبين الأمل والكآبة ، وبين حب الحياة وحب الموت ، فهو يتنقل بين الضدين ، وبين النقيضين وبسرعة تفوق سرعة الخيال . وإذا كان البحث العلمى يحترم نفسه فى التعرف على المنتجات من خلال مواصفات منتجيها ، فحرىٌ به أن يتعرف إلى مواصفات هذا الإنسان من خالقه سبحانه ، بوساطة هذا القرآن ولكن هيهات هيهات أن ينصف الإنسان نفسه في مسألة الاعتقاد وتنظيم

(1) انظر ملاحق الكتاب .

الشهوات .

لهذا فإننى أعجب أشد العجب ، من بعض المفكرين والدعاة،أن يدعو إلى الأخذ من تجارب الغرب فى عالم التربية ، وعلى الأخص مرحلة الطفولة ، وخاصة بعد التعرف على المنهج التربوى النبوى للطفل!!

إن الطفل المسلم الذى يباشر الارتباط بالقرآن والسنة الشريفة ، ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، هو النموذج العملى الذى يبشر لاستئناف الحياة الإسلامية على الوجه الأمثل ، وإن التصاق الطفل بالقرآن حفظاً وتدبراً وفهماً ؛ سيزيد من قدراته الفكرية ، والعقلية ، والنفسية والاجتماعية ؛ أضعافاً مضاعفة عن غيره من الأطفال .

وإن من إعجاز القرآن الكريم أن يحفظه غيباً عن ظهر قلب ، الصغار والكبار ، المسلمون الذين لا ينطقون اللغة العربية فضلاً عن المسلمين الذين ينطقونها ، وإن فى حفظه وتكراره يحقق أهدافاً سامية للطفل الحافظ ، منها :

1 – تدريب قوة الحفظ لدى الطفل ، وزيادة قوة وسرعة الاستذكار واستحضار المعلومة بدقة فائقة ، تصل إلى دقة الحرف وحركته ، وبذلك يتفوق عقل الطفل على سرعة الحاسب الآلى (الكمبيوتر) .

2 – تهذيب نفس الطفل ، وتسلحه ضد وساوس الشيطان ، وقرين السوء ، والنفس الأمارة بالسوء ، والشهوات المتكاثرة .

3 – انشغال الطفل بالعمل المفيد المثمر ، بدلاً من انشغاله المستمر فى اللهو واللعب ورفقاء السوء .

4 – روى نبوياً وثبت علمياً وواقعاً «أن الحفظ فى الصغر كالنقش على الحجر» وبالتالى فإن انشغال ذاكرة الطفل وحافظته بالقرآن الكريم سيزيدها قوة ، ونضارة ، وحيوية ، وتأثراً ،

وتأثيراً .

5 – إن الذين يَدْعون إلى عدم حفظ الطفل القرآن،بحجة أنه إثقال على ذاكرته، وتحميل لها فوق طاقتها ، هم أنفسهم يُحمَلون أطفالهم من العلوم الدنيوية أضعافاً مضاعفة ، ويرهقونهم بها ، فى حين أن الطفل المرتبط بالقرآن أقدر على حفظ العلوم الدنيوية؛ لأنه يملك رصيدًا من حفظ القرآن والسنة ، وهو الحفظ والفهم ، وأصبحت لديه عادة وملكة، فهو أقدر من غيره على التقدم .

6 – إن نبغاء الأمة الإسلامية عبر تاريخها الأربعة عشر قرناً ، تميزوا بحفظ القرآن دون سن السابعة ، وتصدروا مجالس العلم فى السادسة عشرة ، وحتى العشرين من عمرهم ، فى حين نرى أن التخرج من الجامعة اليوم ، لا يمكن أن يحصل فى أقل من واحد وعشرين عاماً ، فضلاً عن قدرة الخريج للتصدر إلى التعليم بشكل جيد ، فضلاً عن الامتياز ، فضلاً عن التفوق فى التدريس .

7 – إن المؤتمرات الدولية حول جنايات الأحداث التى تعقد فى كل سنة ، تصرخ بجرائم الأحداث والأطفال ، وما ذلك إلا لفشل تلك المناهج التى توجه الأطفال وتربيهم .

فى حين لم تسجل تلك الجنايات أى رقم بالنسبة للطفل المسلم الملتزم ، فكفى بالنتيجة عبرة لأولى العقول والألباب .

8 – ليعلم الآباء أن غاية وجودهم هو عبادة الله تعالى ، وأهم واجب فى مسؤليتهم تجاه الله تعالى ، عدم إضاعة أطفالهم ، ويتم لهم ذلك بربط الطفل بالقرآن وسيرة خير الأنام رسول الله ﷺ ، وبالتالى فإن الهدف تربية الأطفال ، تربية إيمانية ، إسلامية ، قرآنية ، نبوية ، هو أساس حياة كل مسلم ، غيور على دينه، صادق فى إسلامه .

9 – إن القرآن الكريم كتاب الله ، المعجز برسمه (طريقة كتابته) وحرفه وكلمته، ونظمه ، وسياقه ، ومعانيه ، وقراءاته ، وتجويده ، والذى حفظ من الضياع أو التحريف والتبديل حتى فى قراءاته وتجويده ، حرى بالعناية والرعاية والاهتمام من قبل الآباء ، ومن قبل الغيورين على الإسلام

إنه ربط للطفل بالعناية الإلهية ، وبالنور الربانى ، وبالكلام المعجز ، وبالمعانى المتجددة فى كل تلاوة ، المنشط للعقل والنفس والفؤاد ، فهل أساليب التربية الغربية مثل الدعوة القرآنية ، حتى يدعو إليها البعض ، إن هذا لشىء عجاب !

10 – إن فضل الله عظيم علينا – نحن المسلمين – بهذا القرآن وسنة نبيه محمدﷺ يحسدنا عليهما أهل الكتاب إنهما (القرآن والسنة) صمام الأمان للأطفال وللكبار، وهما المصل الواقى من الأمراض النفسية والعقلية ، ومن دعوات تأييس المسلمين من قيادة البشرية مرة أخرى فى الانتصار ، وإن كانت عقيدة الإسلام وشريعته مستمرة فى الانتصار، إلى يوم القيامة لاستمرار قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران:110] وإن القرآن والسنة ، والعقيدة والشريعة التابعين منهما ، هما السد المنيع من الغزو الفضائى وشبكة الحاسب الآلى (الإنترنت) التى تبث سمومهما على مدار الساعة فى عقر البيوت بلا رقيب ولا حسيب ، إلا من مراقبة الله تعالى وخشيته، وهذا ما لا تقوم به التربية الغربية ، وإنما تقوم به التربية القرآنية والتربية النبوية .

إن الإسلام ليس فكرة بشرية ، وليس حزباً أرضياً كما عليه البشر ، إن الإسلام دين الله تعالى ، الذى أنزل كتاباً معجزاً فى كل ما جاء به ، وأرسل رسولاً أمياً تكلم فى كل شؤون الحياة ، فكل شىء تكلم به يعجز العقول البشرية أن يكون تلم به رجل أمى، ولا يكون رسولاً من عند الله ! ! لقد استطاع هذا الرسول ﷺ تربية أناس كانوا يسجدون لحجارة تارة ، ولتمر تارة أخرى ، ثم

يأكلونها ، واستطاع تربية أناس كانوا يأدون البنات الصغيرات وهن أحياء ، ويدسّونهنّ فى التراب: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل] فأصبحوا يحبون البنات .

واستطاع تربية أناس كانوا يقيمون حرباً أربعين سنة [1] لأتفه الأسباب، واستطاع تربية أناس يقرضوا الشعر ، ويخطبون الناس خطبًا عصماء ، وينتثرون أحسن الكلام ، فحولهم من أمة خطب وشعر وكلام إلى أمة عمل وجهاد وفتوحات ، واستطاع تربية قوم كانوا يعشقون ويقدسون تربة الوطن فإذا به ﷺ يخرجهم من أوطانهم فى سبيل العقيدة والمبدأ .

واستطاع تربية قوم يباشرون استخدام السلاح ويتفننون فى استخدامه فإذا به يأمرهم بالكف عنه ، حتى ينتصر المبدأ فى نفوسهم ، وحتى تخضع أهواؤهم للعقيدة والشريعة ، فيستخدموه تحت ظل العقيدة والشريعة ، وليس حسب هواهم أو للانتقام الشخصى .

واستطاع تربية قوم منهم حضرى ومنهم بدوى ومنهم رومى وحبشى وفارسى، فإذا بهم ينتقلون من رعاية الغنم والإبل إلى رعاية البشر والأمم ، ومن أواصر العصبية القومية إلى أواصر العقيدة .

أليس فيمن استطاع ذلك ، جديرًا بالاتباع ؟ ! أليس فيمن هزم قيصر وكسرى وأزال عروشهما ، جديرًا بالتأمل فى طريقة تربيته للنفوس ؟ !

أليس جديرًا بالدراسة والبحث عن منهج الرسول ﷺ الأمى ، الذى سيرته نور على نور ، والتى أقواله تفتح العقول والنفوس ؟ ! أليس جديراً بتقمص أساليبه فى التربية ، من ربّى من

(1) حرب داحس والغبراء وحرب البسوس .

ينام فى سريره[1] وفتيان قريش تنتظر قتله بالخروج إليهم ؟ فينام ذلك الطفل الذى تربى فى أحضان الرسالة والنبوة ، بلا خوف ولا وجل ، وبلا تذمر ولا تردد ؟ !

أليس جديراً بالمؤمن والمؤمنة بالله ورسوله ﷺ أن يتحرك كل منهما للاقتداء والتأسى برسول الله ﷺ ؟ !

إنها دعوة لكل الناس ، أن يقتدوا بالنبى والرسول الأمى ، سيدنا محمد ﷺ ، فإذا لم يتبعوه ديانة ، وإيمانًا ، وتسليمًا ، فسوف يتبعونه من أجل الحفاظ على أنفسهم، وأطفالهم ؛ وأهليهم ؛ ومجتمعاتهم ؛ وأوطانهم لأن كل من لا يتبع الرسول ﷺ فهو أبتر ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكوثر] .

ولأن كل بحث ومحاضرة وكتاب وخطبة فى أمر الإنسان لا يُستشهد فيها بقول رسول الله ﷺ فهى بتراء لا خير فيها ، وهى فرقعة لا يكتب لها البقاء (انظر تفسير ابن تيمية رحمه الله لهذه الآية) .

إن صلاح الإنسان يكون وفق كلام الله ـ تعالى ـ وكلام رسوله ﷺ ، ومن رضى بغيرهما فقد ضل ، ومن ابتغى العزة بغيرهما ذَلَّ ، ومن استنصر بدونهما هُزم ، ومن دعا بضدهما فقد كفر ، ومن اتبع غيرهما فله معيشة ضنكًا فى الدنيا الآخرة .. وصدق الله العظيم ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران].

وإن غير المسلم سوف يرى جمال ونور التربية النبوية عندما يطلع عليها ، أو يراقبها واقعاً فى أطفال المسلمين (انظر الملاحق) وليس الأمر بالعكس ، أى : أن ينظر المسلم فى التربية غير القرآنية وغير النبوية ، وإن كانت الحكمة ضالة المؤمن ، ولكن فى غير ما يتعارض مع القرآن

(1) سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه عندما نام فى فراش النبى ﷺ فى حادثة الهجرة النبوية المباركة.

والسنة ، وفيما لا يرد فيهما نصّ .

لقد عرّف العلماء البدعة فى استحداث أمور،تزيل سنة ، أو تخالف شرعًا ، فيكون من أبدع البدع ، ومن شر المحدثات : الأخذ عن غير القرآن وغير السنة فى أمور التربية خاصة؛لأن القرآن والسنة هما مصدرا تربية الإنسان عامة ، والمسلم خاصة ، فالتخلى عنهما بحجة الاستفادة من تجارب الأمم ، فيه اعوجاج فى المنهج ، وخطأ فى التفكير ، وضلال فى الطريق ، وخاصة بعد معرفة المنهج النبوى فى التربية.

إن التربية النبوية تختلف عن غيرها من التربيات فى عدة أمور أهمها :

1 –إن التربية النبوية تقوم على الإيمان بالله ـ تعالى ـ ومراقبته، والإيمان باليوم الآخر والجنة والنار ، والإيمان بالرسل ، والاقتداء بسيدنا محمد ﷺ ، بينما لا يوجد ذلك البتة فى غيرها .

2 –إن التربية النبوية تربية عملية واقعية ، حصلت فى الواقع وتفاعلت معه ، ودورنا الاستنباط من ذلك التفاعل وذاك الواقع ، فهى حقيقة واقعية ، بينما هى فى غيرها عبارة عن اجتهادات فردية لبعض التجارب ، تحكمها ظروف خاصة لأطفال خاصين لوضعية خاصة، فهى غير قابلة للتعميم على الأطفال جميعًا ، بدليل استحداث آراء جديدة كل يوم تنقض سابقتها ، تكشف معايبها ، وتبين سلبياتها .

3 – أن التربية النبوية تقوم على استشعار الأبوين دورهما ووظيفتهما ، وتحثَهما على الترابط الأسرى وصلة الرحم ، وتحثهما حثًا قويًّاعلى تنشئة ورعاية الطفل ، بينما فى غيرها يعيش الطفل فى تفكك أسرى عجيب ، ويمكن للعصابات أخذه من أحضان والديه ، ولا يستشعر ، ولا يحس الوالدان بمسؤولية تربية الطفل ، كما لا يوجد عندهما صلة الأقارب والأرحام ؛ لذا فطفلهم يحس بالضياع .

4 – تقوم التربية النبوية على التهذيب الجنسى للطفل ، والمحافظة عليه من الوقوع فى

الفاحشة ، فى حين نجد أن التربيات الأخرى تقوم على ترسيخ الإباحية الجنسية فى الطفل، وأن الاتصال الجنسى بين الأطفال طريق للتعبير عن الحرية فى نظرهم، وأن الطفل المتصل جنسيًا بآخر (سواء كان من جنسه أو غير جنسه) يسمى انحرافه انطلاقًا وتعبيرًا عن الذات . وتنظر إلى الطفل المحافظ – غير المتصل جنسيًا بالآخرين – على أنه طفل معقد ، يحتاج إلى علاج ، بينما فى التربية النبوية الأمر على عكس ذلك تمامًا .

5 – تبدأ التربية النبوية بتدريب الطفل على التكاليف الشرعية بدءًا من السابعة من عمره ، ويبقى متدربًا على تطبيقها إلى سن البلوغ أى: نصف تلك المدة تقريبًا ، أى: إن نصف فترة الطفولة يقضيها الطفل متدربًا على التكاليف الشرعية ، بينما فى غيرها من التربيات لا يوجد ذلك البتة .

6 – تَنْظر التربية النبوية إلى أن كل ما يقدم من خير للطفل على أنه عبادة ، يثاب عليها الكبار ، كما أن فعل الطفل للخير سوف يثاب عليه يوم القيامة من الله تعالى ، بينما فى غيرها لا يوجد ذلك البتة .

7 – ترسخ التربية النبوية فى الطفل الخوف من الله تعالى وسؤاله عن كل شىء ، والاستعانة به فى قضاء حاجات الطفل ، ومواجهته للأحداث ، بينما فى غيرها من التربيات ترسخ تطبيق القانون ونظامه ، فإذا ابتعد الطفل عن القانون أباح لنفسه كل شىء .

8 – تجعل التربية النبوية للطفل رسول الله ﷺ قدوة له فى كل شىء ، فمهما أصاب الطفل من قسوة الحياة ، فإنه يجد فى طفولة رسول الله ﷺ قدوة فى فقد أبيه وأمه ، فهو يتفاعل مع قدوة واحدة ، وشخص واحد ، بينما فى غيرها من التربيات ، فإنها ترسخ حب الزعيم فسرعان ما يتبدل الزعيم ، ويتحول الطفل عنه .

9 – تنمى التربية النبوية فى الطفل بر الوالدين وطاعتهما ، بينما فى غيرها لا يوجد ذلك البتة

.

10 – تنشىء التربية النبوية الطفل بشكل متوازن ، فهى تلبى رغبات جسده فى اللعب، وتدعوه إلى المسجد والعبادة ، وتعزز فى نفسه حب القرآن وحفظه ، وتناديه إلى العطاء فى بذل ما يملك فى سبيل الله ـ تعالى ، بينما فى غيرها تلبى شيئًا واحدًا وهو رغبات الجسد ، والمتعة الفكرية العلمية .

11 – تنمى التربية النبوية فى الطفل مصل المناعة من دخول أفكار غربية على عقيدة الطفل ، بينما فى غيرها يمكن اختراق الطفل بأى فكرة كانت ، لأن التربية النبوية تربط الطفل بالقرآن والسنة بشكل ثابت ، وتتجدد معانيهما فى كل آن ، بينما فى غيرها فالكل ضائع الكبير والصغير .

12 – يمكن للنظريات التربوية تطبيقها بنجاح على أطفالهم ، ولكنها لا يمكن تطبيقها على من نشأ على التربية النبوية ، لأن الطفل غير المسلم فارغ من أى محتوى ، بينما الطفل المسلم معبأ عقديًا وفكريًا وسلوكيًا .

13 – تنمى التربية النبوية فى الطفل الرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ أى تعطى الطفل ميزانًا يزن فيه الأشخاص والأفكار والسلوك ، فهو ينشأ وهو يحاكم ذلك وفق منهج ثابت يرجع إليه كل آن ، بينما لا يوجد ذلك فى غيره من التربيات ، وبالتالى فإن التربية النبوية تحدث فى الطفل شخصية متزنة مؤثرة فى غيره سواء فى واقعه الطفولى أو فى مستقبله الأبوى، أو الأموى .

14 – تبدأ التربية النبوية بتنمية خيال الطفل بحقائق موجدة سواء بأخبار الرسل السابقين ، وقصص القرآن ، أو بأوصاف الجنة والنار ، بينما تنمية خيال الطفل فى غيرها من التربيات تقوم على أوهام وأساطير وخرافات لا وجود لها فى عالم الواقع .

15 – تقوم التربية النبوية على تربية الطفل على الحب والوئام ، ودعوة الآخرين إلى الحق ،

بينما فى غيرها تقوم على تربيته على الحقد على الآخرين ، وكراهية القوميات الأخرى .

16 – تنشىء التربية النبوية الطفل على العقيدة الصحيحة السليمة ، الخالية من الخرافات والأكاذيب ، سواء كانت أكاذيب الإلحاد أو غيرها ، فى حين نجد أن غيرها من التربيات إن لم تنشئه على الباطل ، تركته هَمَلًا يعيش طوال عمره فى الشك والإلحاد والأوهام .

17 – تقوم التربية النبوية للطفل على الوحى الصادق ، بينما غيرها من التربيات تقوم على التجارب البشرية المتغيرة ، فالطفل الذى يطبق عليه المنهج النبوى يحقق طفولته ويتمتع بها ، ويصبح ابن المستقبل ، بينما غيره على حسب التجارب البشرية ، فإن أصابت فبها ونعمت ، وإن أخطأت أنشأت الطفل على الخطأ ، وليس أدل على ذلك من التحول العالمى فى علم النفس من علم النفس التحليلى الذى وضعه فرويد (اليهودى) محللًا كل شىء عن طريق الجنس إلى علم النفس السلوكى الذى أوجده الأمريكان ، فالكل فى تحول وتغير بينما الطفل المسلم فى ثبات لأن مصدر تلقيه الوحى .

18 – توزع التربية النبوية المسؤولية بين الأب والأم تجاه تربية الطفل ، فالإنفاق المالى مطالب به الأب حتى لو انفصل عن الأم بالطلاق ، فللأم حضانته – ما لم تتزوج بينما فى غيرها على خلاف ذلك .

وإذا أردنا أن نعدد الفوارق لوجدنا الاختلاف بين التربية النبوية للطفل وغيرها من التربيات ، فى كل فقرة من فقرات هذا الكتاب ، فهناك **اختلاف فى الأصل وهو العقيدة** التى ينشأ عليها الطفل ، **واختلاف فى الوسائل** ؛ لأن الوسائل المحرمة شرعًا لا يجوز استعمالها فى المنهج النبوى حتى لباس الحرير للصبى، فإنه محرم عليه ، بينما تجيز التربيات الأخرى كل وسيلة ،وهناك اختلاف فى الغاية ، فالتربية النبوية تنشئ الطفل ليكون عبدًا لله تعالى ، متحررًا من كل عبودية غيرها ، بينما فى غيرها من التربيات تزرع فى نفسه عبودية غير الله تعالى ، سواء المادة ، أو

الشهوات ، أو الشهوات ، أو الجاه ، أو غير ذلك .

وحتى لواتحدت الفكرة فإن هناك اختلافًا جوهريًا بينها ، فمثلًا طلب العلم فى التربية النبوية تؤسسه أولًا على القرآن والسنة النبوية ، فتضع الميزان فى نفس الطفل، ثم تدعوه لطلب العلم الدنيوى من أجل مرضاة الله ـ تعالى ، لا من أجل الشهوة أو المال ، وحتى اللعب فإن التربية النبوية تقول للطفل : «ارموا فإن الرمى أنكأ للعدو» فهى تجهزه لنصرة الدين ، بينما فى غيرها من التربيات اللعب من أجل اللعب ، والعلم من أجل العلم ، بلا غاية من فعل الوسيلة .

لهذا فإن التزام الوالدين والمربين فى المنهج النبوى للطفل ، الخيركل الخير فى الدنيا والآخرة ،وإن فى تطبيق هذا المنهج تحقيق الأمل المنشود لكل محب للطفل ، وإن الاكتشافات العلمية الحالية والمستقبلية سوف لن تجد إلا أسبقية المنهج النبوى، وأضرب مثالًا على ذلك :

أظهرت الأبحاث والتجارب العلمية أن نسبة الذكاء تتشكل فى الطفل فى أول عامية من الولادة حوالى 50٪ وحتى الخامسة تصل النسبة إلى 80٪ .

وتفسير ذلك : أن المنهج النبوى أعطى حق الحضانة للأم فى هذه الفترة ، أى: إن الطفل المسلم أعلى ذكاءً من غيره من الأطفال ؛ لأن أصل الإحصائية والتجربة أنه كلما كانت الأم أكثر التصاقًا بطفلها زاد ذكاؤه ونموه العقلى .

فقبل أن يتعرف الناس إلى هذه المعلومة ، كان تطبيق المنهج النبوى فى تربية الطفل قد كفل لهم ذلك ، سواء اكتشف الناس ذلك أم لا ، وسواء سمَوّه الأسماء اللماعة الكبيرة أم لم يسمّوه .

ومثال آخر : الرضاعة الطبيعية ، وهذا يعرف القاصى والدانى . إن من شدة حرص المنهج النبوى فى إرضاع الطفل طبيعيًا ، أن أنزل المرضعة منزلة الأم الحقيقية فى كل الأحكام فقال ﷺ : «يَحْرُمُ من الإرضاع ما يَحْرُم من النسب» رواه مسلم فإذا لم تستطع الأم الحقيقية الإرضاع –

لأى سبب كان – فإن المرضعات الأخريات يقمن بذلك ، وفى مقدمة الركب الإسلامى الذين أرضعتهم غير أمهاتهم سيدنا رسول الله ﷺ فهل ينتظر الطفل المسلم تجارب البشر ـ ومختبراتهم وأبحاثهم ليُفعل به الصواب ؟ ! لهذا أؤكد القول :

إن تطبيق منهج التربية النبوية للطفل ، فيه الخير كل الخير لمن أراد لطفله الخير ، وهو نموذج حى واقعى ، التزمه الصحابة والتابعون ، واستعمله كل النبغاء فى تاريخ الإسلام المجيد ، والتزمه كل الخلفاء لأبنائهم ، وتربى عليه كل القادة الفاتحين ، وسار على دربه كل الملهمين المبدعين خلال أربعة عشر قرنًا قبل أن تستيقظ الأمم المتحدة فتصدر عام 1410هـ – 1990م . الميثاق الدولى لحقوق الطفل وتوقع عليه الدول [1] .

إنها دعوة للأمم جميعاً إلى التأمل به ، فإن هى صدقته ، فما عليها إلا أن تصدق برسالة ونبوة مؤسسه سيدنا محمد ﷺ ، وإن هى كذبت ذلك فإن الحق أصل ثابت فى الكون والتاريخ ، يعرفه كل منصف عاقل يبحث عنه ، وما على المسلم إلا البلاغ.

19 – إن التربية أسست الطفل لإنقاذ البشرية من الكفر إلى الإيمان ، وهيأته وهو يلعب ويلهو أن يخلص النية لله ـ تعالى ، وأن يوجه لعبه نحو البناء الذى يفيده فى غده، ويرغم أنف عدوه ، إنها تُربيه على المبادئ والعقيدة ، ليكون منفذًا لأمر الله تعالى سواء فى حياته العادية ، أو إذا أصبح مجاهدًا فى سبيل الله تعالى .

فإذا كانت التربية غير الإسلامية تُعِد أطفالها لاستعمار الشعوب ، وإذلالها ، ونهب خيراتها ، فإن التربية النبوية تعد الطفل ليكون سفير الإسلام أينما حلّ وارتحل ، وليكون جنديًّا من جنود الإسلام أينما ذهب وهاجر ، وليكون فاتحًا للقلوب قبل أن يكون فاتحاً للبلاد والأراضى .

إن التربية النبوية حرّمت على الكبار قتل الأطفال : روى أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن

---

(1) انظر ملاحق الكتاب .

رسولَ الله ﷺ قال : «انْطلِقُوا ؛ باسم الله ، وبالله ، وعلى مِلَّةِ رسول الله ، ولا تقتُلُوا شيخاً فانياً ، ولا طِفْلاً ، ولا صغيرًا، ولا امرأةً ، ولا تَغُلُّوا[1] وضُمُّوا[2] غنائمكم ، وأصلحوا ؛ وأحْسِنوا إن الله يحب المحسنين» فحافظت بذلك على الطفل فى أشد الظروف وأرهبها ، وهيأت له الرعاية والعناية سواء فى المجتمع الإسلامى أو الدولة الإسلامية ، وإن الوقف الإسلامى الخيرى عبر أربعة عشر قرناً قدم الخير كل الخير للطفل وساهم فى بنائه وتعليمه وعلاجه ، وساهم فى تدريبه على الحرف والصناعات ، كما ساهم فى توجيهه إلى كل خير أينما وجد ، حتى لمس مشاعره الرقيقة فأوقف مالاً خاصًا للطفل الذى يغدو لخدمة والديه أو معلمه ، فإذا فقد الطفل النقود فى الطريق فحتى لا يتأثر ولا تتأزم نفسيته ، أوقف المسلمون مالًا خاصاً ووقفًا خاصًا لإعطاء هذا الطفل بدل المال الذى فقده ، وذلك مراعاةً ومواساةً لطفولته ، فأين يمكن أن نجد ذلك فى غير التربية النبوية ؟ !

إن هناك اختلافًا جذريًّا بين المنهج التربوى وبين غيره من النظريات التربوية ، لأن المنهج التربوى النبوى قائم على الإيمان بالله ورسله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى ، على خلاف غيره من النظريات التربوية التى لاتعتمد على ذلك .

كما أن هناك اختلافاً فى الواقع والهدف ، فواقع التربية النبوية أثبتت المعجزات البشرية فى عالم التربية ، أعنى جيل الصحابة والتابعين وتابع التابعين ، فالمسلمون فى فتوحاتهم بشروا بالعقيدة ، وأقاموا الشريعة ، والتزموا بإحقاق الحق ، فلم ينهبوا ثروات البلاد ، ولم يذلوا الشعوب ، وأنصفوا غير المسلمين غاية الأصناف ، ومنحوا الجنسية الإسلامية لكل من ينطق بالشهادتين ، بلا شروط أخرى ، وغدا المسلمون مثاليين بالنسبة لغيرهم ، الذين استباحوا كل شىء ضد الإسلام والمسلمين عندما انتصروا عليهم ، وكذلك تختلف التربية النبوية عن غيرها

(1) الغلول : ما يؤخذ من الغنيمة خفية قبل قسمتها .
(2) الضم : الجمع .

بالهدف، فهى تهدف لإقامة المسلم الملتزم بشرع الله تعالى ، عقيدة وسلوكاً ، أينما وجد ، وحيثما سار ، وتدعوه وتحضه على نقل خير الإسلام إلى الناس كافة، وتحثه على بذل النفس والمال والجاه والولد وكل شىء من عرض الدنيا فى سبيل الله ـ تعالى ،دون أن يكون له هدف دنيوى غير إرضاء الله تعالى، وتثبيت كلمته فى الأرض .

بينما التربيات الأخرى تسعى لتنظيم تربيته فى حدود الوطن القومى ، وتبيح له كل شىء فى سبيل تحقيق مصلحة الوطن ، ولو على حساب المبادئ والقيم ، ولو أدى لتدمير غيره من البشر ، ولو أدى لتفقير غيره ، وإذلاله . بينما التربية الإسلامية تجعل المبادئ فوق كل اعتبار ، فالعقيدة والتشريع فى الإسلام غاية الوجود ، ووسيلة الوجود ، وهما كل شىء فى حياة المسلم ، وهما يعلوان على الوطن والأهل والأقارب والأصحاب والمال والجاه :﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة] .

ولعل الباحث التربوى الغربى ، أو المسلم الذى يعيش فى المغرب ، سوف يكتشف عظمة المنهج التربوى النبوى ، وسوف يجد ضالته المنشودة فى تربية الطفل تربية نبوية؛ لأن هذا المنهج هو الغذاء المقوى لروح وعقل ونفس وجسم الطفل ، وهو البلسم الشافى لعلاج مشاكله المختلفة، بل إن هذا المنهج سوف يكسب الطفل قوة المناعة ، وقوة السيطرة على كل المشاكل التى يواجهها ، وبالتالى فهو لا يعانى من المشكلة التى يعانيها غيره من الأطفال غير المسلمين .

ومثال ذلك (أفلام الكرتون الغربية)[1] فأغلبها يعالج مشكلة طفل فقد أباه أو أمه وهو يبحث عنهما ، وذلك نتيجة التفسخ الأخلاقى هناك ، وتهدم كيان الأسر ، فى حين لا يعانى الطفل المسلم لهذه الظاهرة ، فالتشريع الإسلامى لم يحرم الطفل من الاتصال بوالديه حتى لو انفصلا بالطلاق ، ولم يحرمه من العناية والرعاية فى كافة الأحوال ، فمشكلة الطفل الغربى تختلف جذريًا عن الطفل المسلم .

وإن أى برنامج ثقافى أو ترفيهى للأطفال ينتج بأيدى المسلمين لهو أفضل ألف مرة ومرة من (أفلام الكرتون الغربية) الرعبة والمفزعة أحياناً .

وإنى أسجل هنا شكرى وتقديرى لبرامج تحفيظ القرآن التى تذاع وترى فى المذياع والرائى (التلفاز) فى بعض القنوات العربية الإسلامية ، وحبذا زيادة مدته والتعدد فى أساليب عرضه ، وحبذا لو تعددت وتنوعت فى بقية الدول العربية الإسلامية ! !

- **قصة الكتاب مع الكاتب**[2] :

كانت دوافع البحث : أن الباحث كان فى حالة عجيبة من الحب لرسول الله ﷺ وكان يحب أن يقضى وقته فى المسجد حتى دراسته الجامعية يقوم بها داخل المسجد ، وكان مهتمًا بتربية الأطفال، ويرى أن صلاح المجتمع يبدأ بإنشاء وتربية أجيال الطفولة ، وفى لحظة صفاء بعد العصر فى المسجد ، انتابه الحديث النفسى التالى :

- أليس الرسول ﷺ قدوة لنا فى كل شىء ؟

- نعم .

---

[1] () قرأت أن هناك خطة تم الانتهاء منها وهى: أفلام كرتون ضد الإسلام ، لذا أدعو الآباء والأمهات من الحذر منها ، أو الجلوس مع أبنائهم لرؤيتها، والانتباه والتحزير من أماكن الخطر التى تعرض فيها، فالطفل يتلقى من والديه التعليقات وترسخ فيه بسرعة

[2] () خادم هذا الكتاب محمد نور سويد ، أسجلها بضمير الغائب ، كانت بداية الفكرة عام 1397 = 1977م .

أليس الرسول ﷺ كان أبا لأطفال؟

- نعم.

- أليس الصحابة رضوان الله عليهم كان لديهم أطفال ، ويأخذونهم عند الرسول ﷺ فيراهم ويرونه ؟

- نعم .

- إذا لابد من تتبع السنة فى معرفة تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال توجيهًا ؛ وتقديراً ؛ ومعايشة ؛ وتوجيه الآباء فى كيفية التعامل مع الأبناء ، وكان من طليعة الأحاديث النبوية التى قفزت إلى الذهن : حديث ابن عباسرضى الله عنهما: «بينما كنت خلف النبى ﷺ ذات يوم ، فقال النبى ﷺ :« ياغلام ، إنى أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشىء لن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام، وجفت الصحف» رواه الترمذى .

وكان هذا الحديث الشريف هو مفتاح الطريق فى منهج البحث ، فانطلق إلى مكتبته المتواضعة وبدأ بقراءة كتاب رياض الصالحين، ثم الأذكار، ثم حياة الصحابة، وهكذا بدأ يستخرج الأحاديث النبوية ، ويضع العناوين المستنبطة ، ويسجل خواطره فى الليل والنهار ، وأعانه على ذلك صدور كتاب «صفحات من صبر العلماء» للشيخ عبد الفتاح أبى غدة ـ رحمه الله تعالى ، فقرأه بنهم وشغف ، مرات عدة ، فزاد من نشاطه ومن حيويته ، وقرأ فيه أن الإمام البخارى كان يقوم فى الليل أربعين مرة يسجل فيها خواطره ، فاتبعه فى ذلك ، ولم يأل جهدًا فى ذلك ، رغم أن حياته الجامعية الهندسية ، متطلباتها كثيرة ، ولا تدع الفرصة لمثل تلك الأعمال ، إلا أن الله ـ تعالى ـ بارك ووفق ، وكان يجد فى نفسه دافعًا شديدًا للاستمرار فى البحث ، وخاصة

عندما كان يعرض فكرته وأعماله على أهل العلم[1]، فكانوا يشجعونه ويحثونه على المتابعة والاستمرار ، وكانوا يستحسنون الفكرة دائمًا ، فكان لذاك التشجيع زيادة إلى حماسته ونشاطه ، فجزاهم الله خير الجزاء ، وأحسن الله إليهم كل الإحسان ، ولهم إن شاء الله المشاركة فى أجر هذا الكتاب .

ثم مرت ظروف عصيبة فى البلاد والعباد ، وتم السهر فى كتابة الكتاب ومواصلة الليل بالنهار ؛ خشية حصول أى شىء يبعد عن توليد فكرة الكتاب ، وتمت كتابة أصول الكتاب ولله الحمد .

ثم حيل بين الكاتب والكتاب فترة زمنية ، وتمَّ فَقْدُ أصوله ، وكان دعاؤه : اللهم إن كان عمل هذا الكتاب خالصًا لوجهك فرده علىّ ، وإن كان غير ذلك فليس لى به حاجة .

وتم الإلحاح بالدعاء ، إلى أن جمع الله تعالى بين الكاتب والكتاب ، فأعاد كتابته من جديد ، وفق نمط جديد ، بعد أن تلقى أصول الفقه ، عن شيخ المشايخ وأستاذ الدكاترة ، فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد فوزى فيض الله – حفظه الله فى صحة وعافية – ثم عرضه عليه ، وكان إعجابه به شديدًا ، وقدّم له ، ثم ألح عليه بطباعته لما رآه من أهمية ، فامتثل للأمر وللأدب . وكان الإصدار الأول ، فى ظروف الانقطاع عن العمل فى الغربة ، ثم كان الإصدار الثانى[2] ، واستمر فى البحث والتنقيب ، ولم ينقطع عن موضوع الكتاب بحثًا واستدراكًا ، إلى أن جاء هذا الإصدار الثالث ، ورغم صف الكتاب وتنضيده ، إلا أنه مازال يضيف ويحذف ، ويقدم ويؤخر ، وتتوارده الخواطر والأفكار إلى أن خرج من عهدته يودعه بحنين الشوق إلى لقائه ، عسى أن يثيبه الله تعالى أجرًا فى الآخرة ، ولقاء للحبيب المحبوب، الشفيع المشفع ، الصادق المصدوق ﷺ

[1] () مما قال له الشيخ عبد الرحمن زين العابدين – رحمه الله – : هذا عمل جيد

[2] () فى ظروف الإنقطاع عن العمل كذلك ، ثم الإصدار الثالث فى ظروف الإنقطاع عن العمل ، وتفسيره لدى : الإقامة الجبرية من الله تعالى لمتابعة الكتابة ومواصلة البحث ، ثم لدفع ثمن شهرة الكتاب مقدماً ، فلله الحمد والفضل والمنة .

مع الثلة والقلة المؤمنة الصابرة المحتسبة من الأولين والآخرين وإنه سميع مجيب.

تلك قصة الكاتب والكتاب مختصرة فى أسطر ، مفعمة بمشاعر لا تستنطقها الحروف والأقلام ، ولا تعرفها الملائكة ، وإنما تبقى لعلام الغيوب ؛ الذى يعلم ما فى الصدور والقلوب .

وهكذا أصبح عمر الكتاب نصف عمر صاحبه ، يربيه وينميه ، ويهذبه ويجدده، ويغذيه بالأدلة ، ويفكهه بالقصص ، ويبنيه لبنة لبنة ، ويقويها بمونة[1] البراهين ، ويُكَحِّلُها بكلام الراسخين ، ويصبغه بالتضرع والدعاء ، ويسد فراغات نوافذه بنماذج تربوية من حياة السلف الصالح من خير القرون فما بعده ، ويصعد من فصل إلى فصل بالتدريج مع القارئ، ويدخل من باب إلى باب ، يتعرف فيه إلى غرفة كل بناء ، مُجَمَّلَةً بأبهى بلاط التأسيس ، وأفخم أنواع المساح ، مساح القلب والفكر والمشاعر ، ويأخذ بيد القارئ فيقدم له أطايب الكلام ، مع أحلى القصص ، ونفائس الأفكار .

ولا ينسى أن يودِّع الكاتبُ القارئ بحسن الخاتمة ، وأن يلحق معه ملاحق تزيده فيما رأى من نور النبوة والهدى ثباتًا وتثبيتًا ، من صحة «منهج التربية النبوية للطفل» ، وأنه منهج حق ، متكامل الجوانب ، ومتنوع الأفكار ، يأخذ بالمربى إلى شاطئ البر والأمان ، إن شاء الله تعالى .

وأحب أن أنوّه إلى عدة أمور التزمتها فى إعداد هذا الكتاب بالإضافة إلى ما ذكرته فى (كلمة فى المنهج) :

1 – استفدت من طريقة الإمام البخارى ـ رحمه الله تعالى فى تجزئة أفكار الحديث النبوى والاجتهاد فى عنونة تلك الفكرة التى استفادها من الحنفية[2] ، كما استفدت من طريقة الإمام مسلم فى جمع الحديث النبوى فى مكان واحد ، وخاصة فى أول ذكره – ما أمكن – ثم تجزئة

---

[1] () استخدمت بعض الكلمات الهندسية [مونة : رمل + أسمنت ، الكحلة بين الحجرة والأخرى بمونة ملونة تناسب الوجهات ، والصبغ : الدهان ، المساح : طبقة المونة] على الجدران وتسمى فى بلاد الشام الزّريقة .

[2] () انظر : إعلاء السنن 20 / 262 .

فقرات الحديث النبوى حسب طريقة الإمام البخارى ـ رحمهما الله تعالى ـ كما استفدت من طريقة الإمام النووى فى الاستنباط من الحديث الشريف فى شرحه لصحيح مسلم .

2 – تتبعت الاختلاف فى الرواية ، حيث زيادة الثقة مقبولة ، عند المحدثين ، فكان لهذا التتبع إثراء لمادة الكتاب وزيادة فى الاستنباط ، استفدتها من طريقة ابن حجر فى فتح البارى .

3 – ذكرت الأحاديث النبوية ، وإن كان بعضها ضعيفًا وأشرت إلى ذلك – ما أمكن – وذلك حسب الشروط التى ذكرها ابن حجر ـ رحمه الله تعالى . وقد نقل ابن القيم ـ رحمه الله تعالى[1] قول الإمامين المجتهدين أبى حنيفة وأحمد ـ رحمهما الله تعالى: «الحديث الضعيف أحب إلى من رأى الرجال» . وكذلك أقول :

الحديث الضعيف أحب إلىّ فى تربية الطفل من رأى الرجال وتجاربهم غربيهم وشرقيهم ، بالإضافة إلى أنه يمكن العثور على تقوية له فى المستقبل ، ومثاله تقوية السيوطى لحديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم» .

4 – التزمت النقل فيما وافق القرآن والسنة من أقوال العلماء ، على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم الفقهية ، فلم يمنعنى النقل من اختلافهم ، واختلاف جماعتهم وتلامذتهم من الاستفادة منهم ؛ لأن الحق رائد الجميع ، ولو استبعدنا فى البحث تلك الاستفادة لترضية فريق دون فريق ، لضاعت الشريعة وضعف البحث العلمى، والاقتباس من اختلاف خير القرون عبرة وعظة واقتداء ، أكبر دليل على صحة منهج البحث ، وليستفيد منه كل مسلم .

5 – هذا الكتاب ليس كتابًا فقهيًا بحيث يأخذ القارئ منه أحكاماً فقهية ، إذ مجال الفقه كتب الفقه ، ومكان التفسير كتب التفسير ، فقد يكون الحديث المستشهد به منسوخًا من الناحية الفقهية، إلا أن القضايا الأخلاقية والتربوية لا يصاحبها نسخ ، على ماهو مذكور فى كتب

[1] () فى كتابه : إعلام الموقعين .

الاجتهاد[1] .

6 – عزوت تخريج الحديث الشريف إلى مصدره ، وإلى من درس إسناده ، بكل أمانة ما أمكن ذلك ، وكنت أحيانًا أذكره فى متن الصفحة وليس فى الهامش ليقرأ القارئ اسم الكتاب فيتعرف عليه ، وإن كانت الكتابات الأكاديمية تفضل أن يكون العزو فى الهامش، أو فى نهاية الفصل .

7 – حاولت التوازن فى الاستشهاد للفكرة ، بحيث تتغزى كل فكرة بالحديث النبوى وأقوال وأفعال الصحابة والتابعين ، وأقوال العلماء العاملين ، بحيث تصبح كل فكرة دسمة بالدليل ، مشبعة من كل حيثية ، حتى لو كانت الفكرة مكررة ، إلا أن تكرارها يكون من حيثية أخرى ، وبأسلوب آخر ، وأدلة أخرى ، لتترسخ الفكرة أكثر وأكثر ، وهذه استفدتها من كتاب (جامع العلوم والحكم) لابن رجب الحنبلى ـ رحمه الله ، وكتب ابن تيمية ـ رحمه الله ، وكتب الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ رحمه الله تعالى .

8 – استبعدت حوار ومناقشة المخالف فى الرأى ، لكون الكتاب عامًا لجميع المسلمين، كما أننى لم أُشر إليه ، إذ تثبيت الصح والصحيح و بالدليل والبرهان ، يغنى عن إثارة الرأى المخالف ، وليصبح القارئ المقتنع هو صاحب الفكرة فيدعو إليها .

9 – أكرر القول بأن الكتاب لا يفترض مشاكل ثم يحلها ، وإنما الكتاب ينشئ عقلية ونفسية تربوية تساعد صاحب المشاكل على حلها ، فهو أقدر الناس على حلها، كما أن حصول مشكلة ما مثلاً : مشكلة اجتماعية أو خلقية أو نفسية أو .. ليكون حلها بالرجوع إلى البناء الاجتماعى أو الخلقى أوالنفسى أو .. على حسب طبيعة المشكلة ، ويسأل نفسه : هل التزم المربى ذلك البناء أم لا ؟ فيعود إلى إنشاء وتطبيق ما تم ذكره ، مع الاهتمام كثيراً بمطالعة الأساليب التربوية النبوية وإمعان النظر فيها كثيرًا ، وذلك لمواجهة أى موقف وأى مشكلة وحلها . فالأب والأم والمربى

[1] () انظر كتاب : الاجتهاد لشيخنا الدكتور محمد فوزى فيض الله – حفظه الله .

يشاهد ويراقب حالة الطفل بدقة أكثر مما يشاهدها غيرهم . كما أنه يمكن أن يستخدم أكثر من أسلوب نبوى فى مواجهة موقف من المواقف ، فالاطلاع كثيرًا – فى الكتاب – يورث الملكة إن شاء الله .

10 – أخطأ البعض فى فهم فقرة عدم ملامة الطفل ، بحيث تركه على غاربه؛إذ عدم الملامة لا تعنى الإهمال ، ولا تعنى الترك الكامل ، فلابد من متابعة أخطاء الطفل وتصحيحها أولًا بأول فى البيت ، فإذا خرج الوالدان من البيت فيراقبان الطفل ، ويشاهدان درجة التزام الطفل ، ولا يلومانه أمام الناس ولا يجرحانه بالتشهير به ، بل إن الثناء عليه أمام الآخرين ،كثيرًا ما يصحح أخطاء الطفل .

فلا يجوز للبعض أخذ بعض أفكار المنهج وترك الباقى ، فالكل جزء لا يتجزأ ، ويحتاج إلى القراءة أكثر من مرة بل مرات .

11 – استبعدت نقل أى قصة أو كلام – حتى لكبار المربين – إن كان مخالفاً لحديث نبوى ، أو آية قرآنية ، ولم أشرك إلى ذلك ، فلا يظن أحد أننى حاطب ليل ، أو قماشٌ ، أو هماشٌ ، فعقليتى الهندسية أثَرت فى البحث عن الدليل ، والتشبث بالحق – ما أمكن ذلك – فكل نقل إنما هو نقل هادف ، وليس خبط عشواء لم تصب هدفها ، ومن يمارس تجربة تربوية، فسوف يجد مصداق هذا الادعاء ؛ لأنه بحاجة إلى شواهد عملية يركزها فى نفس الطفل وعقله ، وقد لا يوقظه أحد الشواهد ، فيوقظه الشاهد الآخر ، وهكذا .

12 – أنبه هنا بأنه لن ينتفع من هذا الكتاب عاق لوالديه ، فمن يريد إصلاح ولده ، فعليه ببر والديه ، لقوله ﷺ «اعمل ما شئت كما تَدين تُدان» رواه عبد الرزاق فى المصنف[1] .وإن بر الوالدين يكون فى حياتهم وبعد وفاتهما ، كما بينت أسسه فى هذا الكتاب ، وإن تأخر العمل الإسلامى المنشود كان وما زال أحد أسبابه : عقوق الوالدين من أبناء المسلمين المتحمسين ،

[1] () عن أبى قلابة مرسلاً ، بإسناد ضعيف – انظر ضعيف الجامع رقم 2369 .

فإذا أُريد الإصلاح ، فبر الوالدين يجب أن يكون فى أولويات المنهج التربوى .

إن الصغار والكبار مدعوون إلى بر الوالدين لاستئناف الحياة الإسلامية القيادية، ولا يمكن نجاح نجاح العمل الإسلامى مع العقوق ، ولا يمكن أن يكون دعوة إسلامية مع العقوق ، فالحذر الحذر من العقوق . وفقنى الله تعالى والمسلمين إلى البر والتقوى .

13 – تم ذكر الدعاء فى أغلب نهايات فقرات الكتاب ، وهو أسلوب جديد فى الكتابة ، لم يألفه الناس من قبل فى عالم الكتابة ، وإنما التزمته لترسيخ مفهوم جديد : أن التربية الصالحة تحتاج لتضرع وابتهال إلى الله تعالى ، وليست هى حتمية النتيجة على الله ـ تعالى ، فالله تعالى يحكم ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ [الرعد : 41]، وليست التربية فيها إبراز عضلات الإنسان وفهمه،وذكائه ،وشهاداته العليا ، فالواقع الحالى يصدق ذلك ؛ لذا لابد من الدخول فى عالم التربية والإصلاح والهداية من باب التذلل والتضرع إلى الله تعالى فى إصلاح الطفل ، أو إصلاح أى فرد ، كما فعل رسول الله ﷺ عندما دعا :

«اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين» فكان إسلام عمر بن الخطاب .

«اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون» فكان إسلام قريش والعرب قاطبة .

«إنى لأرجو من الله تعالى أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله» فكان أن أسلم أهل الطائف .

«اللهم نصرك الذى وعدتنى» فكان الانتصار فى بدر . وهكذا فى كل أمر من الأمور يحتاج الإنسان لقضاء حاجته التربوية والحياتية والمادية إلى التضرع والتذلل إلى الله تعالى ومناجاته . فأين التربية غير الإسلامية من هذا المنهج النبوى ؟ ! وأين التجارب المخبرية ، وأخذ العينات ،ودراسة المؤثرات من هذا المنهج النبوى الفريد؟! أيا ليت قومى يعلمون قو بما يسره لى ربى ، وجعلنى من المكرمين بالمنهج النبوى فى تربية الطفل ، والتنويه والدعوة إليه ، والبحث فيه .

14 – اتبعت نظام تحليل أفكار الحديث النبوى ، وما يمكن استنباطه من أفكار تربوية، ثم

استخرجت تلك العناوين وبدأت الربط بينها فى محور فكرى واحد ، ثم تجميعها بفقرات، ثم بأبواب ثم بفصول الكتاب عامة .

فالحديث النبوى هو أساس الكتاب وعمدته الأولى ، ولم يتم إخضاع الحديث ولىّ معناه لفكرة ما ، وإنما أينما يتوجه الحديث النبوى بالأفكار يتم التوجه نحوها ، وذلك لرؤية المنهج النبوى واضحًا ناصعًا دون تأويل أو تحريف، أو هوى .

وهذه الطريقة استفدتها من طريقة الحنفية فى كتابة أصولهم الفقهية ، وهى طريقة عملية علمية تقوم على أسس البحث العلمى وقواعده سواء الفكرية أو المادية .

وإن استنباط المعانى من القرآن والسنة دون فرض معانٍ مسبقة عليهما هو غاية الاستنباط الجيد المفيد ، الفعال ، المؤثر ، وتلك المعانى هى الثابتة على مدار التاريخ ، وهو منهج السلف الصالح فى الاستنباط . لذا خلدت استنباطاتهم الفقهية ، ومعانى تفسيرهم.

أما إخضاع القرآن والسنة لأفكار مسبقة فهى مخالفة لمنهج الصحابة والسلف الصالح، وهى طريقة ترقيعية ما تلبث زمنًا حتى تنكشف أخطاؤها ؛لأن القرآن والسنة وحى إلهى ، فإذا لم يخضع الباحث عقله ونفسه لهما ، فلن يعطياه شيئاً ، وإذا لم يجعلهما القاعدة التى ينطلق منها ويحاكم إليها ، فلن يذوق طعم الإيمان وحلاوته ، ولن تتكون لديه شخصية إسلامية متميزة .

وقدار تأينا إصدار كتاب (منهج التربية النبوية للطفل) إن شاء الله بإصدارين اثنين :

الإصدارالأول : وسميته الإصدار التمهيدى ، وهو الذى تم إصداره فيما سبق، حيث اعتاده غالبية القراء ، من الأمهات والآباء ، وبقاء حجمه كما هو .

والإصدار الثانى : وهو هذا – وسميته الإصدار الموسوعى ،وهو الذى تتم فيه الزيادات ، وما يستجد من البحث يتم إضافته إليه ، وهذا يفيد لمن يريد التوسع من الباحثين والأساتذة والمربين ، ولمن يطلبون المزيد من الأفكار التربوية ، وذلك حتى يبقى البحث مفتوحًا كلما اجتمعت مادة علمية

تفيد فى تغيير الإصدار من طبعة إلى أخرى .

ولهذا اقتضى التنويه والتنبيه لتحقيق الفائدة العامة بالإصدار التمهيدى ، والفائدة الخاصة بالإصدار الموسوعى ، وفى كل خير إن شاء الله تعالى .

وأما عن الزيادات فى هذا الإصدار الموسوعى ، فلقد تم إعادة هندسة الكتاب ، إلى فكرتين أساسيتين : الأولى التهيئة والإعداد للزوجين (الأب والأم) والثانية تكون وبناء شخصية الطفل .

فالأولى تمثل مرحلة التصميم ، لرفد الوالدين بالأفكار وتهيئتهما ، **والثانية** تمثل مرحلة التنفيذ فى عكس الأفكار على الواقع العملى ، وبناء على ذلك جرت عملية التقديم والتأخير حسب تلك الفكرتين الأساسيتين .

أما الزيادات الرئيسة فهى شرح رواية أوصاف الرسول ﷺ بتوسع ، وذلك بهدف تعريف المسلم الكبير والصغير بتلك الأوصاف الشريفة ، حتى تقترب شخصية الرسول ﷺ من النفوس أكثر فأكثر .

كما تم إضافة باب أخبار طفولة الرسول ﷺ من الحمل إلى الولادة إلى البلوغ ، لما فيها من عبر وعظات ، وهى أقل القليل الذى يتعرف الطفل المسلم عن أخبار طفولة حبيبه ورسوله سيدنا محمد ﷺ ، وذلك بأصح الروايات التى حصلت عليها نتيجة صدور عدد من كتب السيرة مع دراسة الأسانيد . وأما الزيادات الثانوية فهى زيادة فى بعض الأسس ، وزيادة فى مضمون الفقرات ، استجدت خلال الفترة الماضية .

وأما الزيادة الأخيرة فهى وضع ملاحق للكتاب عن الطفل المسلم فى عيون الغرب ، وعن رأى بعض مفكرين غير مسلمين فى التربية النبوية ، ثم تقرير عن منظمة اليونسكو للطفولة ، ثم تقرير موسع عن أخبار الطفولة فى كل من ألمانيا وانكلترا وفرنسا وأمريكا .

وهذه الملاحق هدفت من وضعها ليزداد المؤمنون إيمانًا بصحة منهج التربية النبوية ، وأنه لا حاجة للمسلم لاتباع غير نبيه ورسوله ﷺ ؛ولتكون عظة لمن يريد أن يربى طفله وفق النمط الغربى والأمريكى ، فيرى نتائج تلك التربية[1] .

أرجو من الله تعالى العلى القدير أن يتقبل منى ومن القارئ هذا العمل - وكل عمل - وأن يجعل من هذا الكتاب فتحًا للقلوب والعقول ، والدول الإسلامية وحكوماتها نحو الاهتمام بالطفولة وفق المنهج النبوى ، وأن تزداد مساعى الغيورين فى إصلاح الإعلام المرئى والمسموع والمقروء إلى تبنى المنهج النبوى للطفل فى إعلامهم ، ولابد من صيحة الإصلاح أن تجد صدىّ يوماً ما ، وما على المؤمنين إلا البلاغ والعمل: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة:105] .

ولا يسعنى فى نهاية المطاف إلا أن أشكر أساتذتى ومشايخى الأفاضل الذين تكرموا بتقديم الكتاب للقراء ، فجزاهم الله خير الجزاء .

اللهم اجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، ووفقنا لمرضاتك ، وارزقنا حسن الختام ، وارحم من يترحم علىّ إلى يوم الدين .

وصلى الله وسلم على خير خلقه ، محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مساء الجمعة 2 / محرم / 1418 هـ .

9 / 5 / 1977 م .

الكويت - ص ب - 3082

السالمية الرمز البريدى: 22031

(1) أقوم بعون الله تعالى بكتابة : (أحكام الطفل فى الفقه الإسلامى) ، ثم يتبعه كتاب (منهج التربية النبوية للطفل فى تقييم النظرات التربوية الحديثة) . أرجو من الله التوفيق ، ومن القارئ الدعاء .

وكتبه

محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

كلمة فى المنهج

منهج الكتاب : اتّبع فيه ، أن يكون النبعُ النبوى هو الأساسَ والمرتكزَ فى استنباط الأفكار وترتيبها ، ولم يكن لدى الكاتب ثمة أفكار مسبقة ليبحث لها عن دليل فى الأحاديث النبوية ، وإنما العكس هو الصحيح .

فكان كلما وجد حديثاً نبوياً انبهر قلبه بنور يقذفه الله فى قلبه ، وبعد أن كان أمضى وقتاً فى مطالعة الكتب الغربية حول تربية الطفل ، ولم يصل فيها إلى شىء ، سوى آراء ومذاهب مختلفة ، كلٌ يدلى بدلوه ، وبتجربته الناقصة ، فإذا بالحديث النبوى يجده يحسم أى خلاف ، ويضع الأمور فى نصابها ، ويُبيّنُ ، ويهدى ، ويأمر ، وينهى ، وبذلك كان يزداد إيمانه فى متابعة البحث والتنقيب عن مزيد من الأحاديث النبوية ، التى تخص الأطفال ، دون كلل أو ملل ، وازداد يقينه فى سلامة المنهج المتبع، الأمر الذى زاد فى نشاطه لمتابعة السير فى البحث عن علاقة الرسول ﷺ بالأطفال بالتوجيه المباشر ، وغير المباشر ، أو بالإقرار ، أو بالتصحيح .

وقد وجَّه على – كرم الله وجهه – نداءً للأمة جميعها بالأخذ من النبع النبوى ، وأن هذا الاتباع هو السلوك الصحيح ؛ فقال : «إذا حدثتُكُم عن رسول الله ﷺ حديثاً فظنوا به الذى هو أَهْيَأ ، والذى هو أهدى ، والذى هو أتقى» رواه أبو يعلى مسنده (1/ 444) بسند صحيح .

لذلك جاء هذا الكتاب يحمل فى طياته عدة مميزات ، وهى :

1 – الحديث النبوى هو أساس مادة هذا الكتاب ، ثم تطبيقات الصحابة ،

والتابعين، والسلف الصالح .

2 – وهذا يعنى أنه بتطبيقه فى هذا الكتاب : الأخذُ من النبع الصافى الـذى يتّصـف بالثبات والاستقرار ، بخلاف المذاهب الأخرى .

3 – الاقتداء بالرسول ﷺ وفى ذلك عبادة الله تعالى ، وتنفيذ أمره ، يقول سعيد بن إسماعيل الزاهد[1] : من أقَرَّ السُّنةَ على نفسه ،قولاً ،وفعلاً ، نطقَ بالحكمة ، ومن أَمَّرَ الهوى على نفسه ؛ نطق بالبدعة ؛ لأن الله يقول:﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾

[النور 54]

4 – عالمَ الطفل فيه كثير من المجاهيل ، وهو بحاجة إلى شخص كامل ، وعالم بخفايا الأمور ، وهو شخص رسول الله ﷺ ؛ لكى يكتشف هذا العالم الطفولى المجهول لنا .

5 – الكتاب لم يتعرض لحلّ المشكلات التى يعانى منها الآباء والمربون مع الأطفال، أو مشكلات الأطفال أنفسهم ، وإنما وضع الغذاء ،الذى يقضى على هذه الأمراض ، وتلك المشكلات ،من جذورها ، فإذا حصلتْ مشكلة ما ، فيعنى ذلك وجود خلل فى إعطاء هذا الغذاء التربوى النبوى ، فما على المربى سوى مراجعة الغذاء فى بطون هذا الكتاب ، وتقديمه للطفل بشكل جيد ؛ وبذلك يمكن القضاء على تلك المشكلات ، فإن كانت المشكلة اجتماعية مثلاً ،رجع إلى البناء الاجتماعى ، وهكذا .

6 – بإمكان أى مُرَبٍّ ، أو مسؤول ؛ أو الوالدَيْن ، أن يسيروا فى دراسة هذا الكتاب، والنهوض بأطفالهم ؛ من أى مستوى هم فيه ، والانطلاق بهم من جديد .

---

[1] كتاب الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى (1/ 80) .

7 – لم يتعرض الكتاب إلى المقارنة مع المدارس التربوية الغربية أو الشرقية ، وذلك لعدة أسباب أهمها :

أ – الخَوَاء العَقَدى الذى يعانى منه الباحث الغربى ، وبالتالى فإن استنباطه للأفكار سيكون ناقصاً .

ب – احتواؤه على آراء كثيرة تصل إلى حدّ التناقض مع بعضها ، فالطفل المسلم فى غنى أن يكون حقلاً لتجارب غير المسلم ، ما دام له رسول يقتدى به .

جـ– أنه يعتمد على تجارب معملية ، لها ظروفها، وظروف العينات المجربة، وظروف الباحث .

8 – صحيح أن هذا الكتاب موجه للأطفال ، إلا أنه كذلك يُربى الوالدين و المربين، ويكبح جماح نزواتهم ؛ وعنفوانهم ، وإهمالهم فى قيامهم بواجباتهم .

9 – امتاز الكتاب بالعرض المبسط للحديث النبوى، أو النموذج التطبيقى، والإقلال ما أمكن من كلام الكاتب ، والاستعاضة عن ذلك بكلام السلف الصالح ، والعلماء ، اتباعاً لنصيحة أحد الشيوخ العلماء العاملين[1] ؛ فجزاه الله خيراً .

10 – عرض الكاتب نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح ؛ لتزداد الفكرة وضوحاً، ولتكون مادة موجهه فى يد المربى ، يستفيد منها ، فيرسخها فى نفس الطفل ، وحسب الوقت المناسب الذى يختاره لغرسها ، وكما قيل : «عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمات» .

(1) هو الشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى مجدد علوم السنة فى هذا العصر ، قال لى : – عندما عرضت عليه أصل الكتاب ، فى زيارته لمدينتنا حلب الشهباء عام 1398 هـ – قال لى بالحرف الواحد: انتظر ، ولا تستعجل الكلام من عندك ، فسوف تجد من كلام العلماء السابقين من يعبر عن فكرتك ، فهو خير من أن يتكلم مثلى ومثلك ، فقلت فى نفسى : هذا درس عملى فى التواضع ودرس عملى فى التأليف ، فرحمه الله تعالى ، وعسى أن أدخل فى دعوته «ورحم الله من ترحم علىّ» قالها فى مقدمة تحقيقه لكتاب (ظَفَر الأمانى بشرح مختصر السيد الشريف الجُرجانى» .

11- كل نقل ، أو قصة مشار إليها بالمرجع الذى أخذت منه .

12 - جاء الكتاب - بقسميه - فى سبعة فصول : الفصلان الأول والثانى : وهما موجهان إلى الوالدين والمربين ، ثم الفصل الثالث ، وهو : الطفل من الولادة إلى الحولين، والفصل الرابع : تهيئة الرعاية الصحية للطفل ، والفصل الخامس: فى بناء عقلية الطفل الإسلامية،والفصل السادس : بناء نفسية الطفل الإسلامية، والفصل السابع : فى بناء سلوك الطفل الإسلامى .

13 - يمتاز الكتاب بالإضافة لما سبق بما يلى :

أ- **الشمولية** : لأنه تطرق إلى كافة ميادين الحياة التى يحتاج إليها الطفل .

ب- **الواقعية** : لأنه بُنىَ من واقع توجيهات الرسول ﷺ للصحابة فى تربية أطفالهم ، وتوجيهه ﷺ للأطفال مباشرة ، أى : ليس تجربة مخبرية ، أو إحصائية ، كما هو حال التربية الغربية .

جـ - **العالمية** : فهو يخاطب الطفل المسلم ، فى أى بقعة من الأرض يعيش عليها ، وفى أى زمن هو فيه .

د - **المساواة** : فهو سَوّى بين جميع الاطفال ، وخاطب كل الأطفال ، فلا تمييز بين الطفل الغنى والفقير ، وبين طفل الحاكم المحكوم ، وبين الطفل الأبيض والأسود .

هـ- **التوازن** : فبما أنه شامل فى بنائه ، فإنه بالتالى يلبى حاجات الطفل جميعها ، ويجعله يعيش فى توازن مستقر فى حاضره الطفولى ومستقبله .

و- **الوحدة** : فباعتبار أطفال المسلمين يتلقون من مصدر واحد ، هو رسول الله ﷺ، فإنه بالتالى حقق لهم الوحدة: الشعورية ، والسلوكية ، والأخلاقية ، والفكرية .

14 – مرّت كتابة البحث بمراحل : التجميع ، فالتبويب ، فالكتابة ، فالصياغة الأصولية ؛ المقعدة بقواعد أساسية ، وأساسيات ثابتة ، أشبه بالمعادلات الرياضية ، التى تستطيع بناء الطفل،وحل مشكلاته ، وبمثابة قوانين راسخة إذا ثبتت فى الطفل فإنها تجعل منه طفلاً مسلماً بإذن الله تعالى .

وينتهى دور الوالدين عند إعطاء هذا المنهج ، مع تقديمه للطفل بالأساليب النبوية المبينة بالفصل الخامس ، وتبقى النتيجة النهائية بيد الله تعالى ، وبذلك ترتفع مسؤولية الوالدين فى تربية طفلهم ؛ لأنهما أخذا بالأساليب التى أوجبها الله تعالى عليهم ، وهى الاقتداء برسول الله ﴿ﷺ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب] .﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾ [النساء] .

وقد تم تسهيل ذلك على الوالدين ؛ بأن ختم الكتاب بأربعين حديثاً ، يخاطبهم بها رسول الله ﷺ وبأربعين حديثاً موجهةً إلى الأطفال ليحفظوها .

15 – وأخيراً ، هو محاولة متواضعة ، أضعها بين يدى القارئ، استغرقت عشر سنوات ، فما كان من خير وصواب فهو من توفيق الله تعالى ، وما كان من نقص، وعجز ، وخطأ ، فهو منى ،وهذا ما توصلت إليه ، مع ضعف الإمكانيات ، وبداية الطلب العلمى الشرعى ، وهذا الاجتهاد التربوى لا أجزم بصوابه كله ، ولا أدعى أنه حكم الله وحكم نبيه ﷺ إذ هذا ليس من شأنى ، وحسبى فى ذلك ما رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذى أن النبى ﷺ كان يوصى أمير الجيش أو السرية بقوله : «وإذا حاصرت حصناً فأرادوك أن تُنزلهم على حكم الله ، فلا تُنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدرى أتصيب حكم الله أم لا ؟» .

«من أَلَّف فقد اسْتُشهد ؛ فإن أحسنَ فقد استعطف ، وإن أساءَ فقد

اسْتُقْذف»[1].

هذا ، وقد تم بحث الكتاب فى فكرتين أساسيتين هما :

القسم الأول : التهيئة والإعداد للوالدين : لكى تتكون لديهم الفكرة التربوية ومهماتها وواجباتها وأساليبها .

القسم الثانى : بناء شخصية الطفل الإسلامية : وهى مرحلة التنفيذ والعمل مع الطفل فى بناء شخصيته المكونة من بناء عقليته الإسلامية ونفسيته الإسلامية وسلوكه الإسلامى، حتى تنسجم جميعاً فى بوتقة واحدة ؛ فتتشكل شخصيته الإسلامية ـ إن شاء الله .

وختاما ، أدعو الله تعالى من أعماق قلبى ، لكل من ساعدنى ، وأسدى إلىّ معروفاً، وجزاه الله خير الجزاء ، وأثابنى وأثابه الأجر الوافر ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وأحسب القارئ المستفيد وَفىَّ العهدِ بالدعاء لى فى ظهر الغيب ، لِتُؤَمِّنَ الملائكةُ على دعائه ؛ وتقول : ولكَ مِثْل ذلكَ .

والله من وراء القصد .

الكويت 12 / ربيع الأول / 1404هـ

15 / كانون الأول / 1983م

وكتبه الفقير إليه تعالى

محمد نور بن عبد الحفيظ سويد

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

---

[1]() عن كتاب (الحلل فى إصلاح الخلل) من كتاب (الجمل) للبطليوسى ، المتوفى سنة (521هـ) ، تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودى .

القسم الأول

تهيئة وإعداد الوالدين لتربية الطفل

الفصل الأول : التهيئة للزواج والإنجاب .

الفصل الثانى:التهيئة والإعداد للوالدين بالأساليب التربوية النبوية للطفل .

الفصل الأول

التهيئة للزواج والإنجاب

*** تعريفات عنوان الكتاب .**

*** تمهيد .**

1 – مسؤولية التربية .

2 – السعى للزواج من امرأة صالحة مربية .

3 – ثواب الإنفاق على الزوجة والأولاد .

4 – أهداف الزواج الإسلامى .

5 – صفات المربى الناجح .

6 – بشرى للوالدين .

7 – الأولاد زينة الحياة الدنيا .

8 – صراع الشيطان مع الإنسان على الذرية .

9 – صلاح الوالدين وأثره على الأبناء .

10 – الدعاء عند الجماع رجاء الولد الصالح .

11 – الزواج والمصاهرة .

12 – الطفل لم يك شيئاً .

13 – الطفل نطفة .

14 – لمحة عن التصوير فى الأرحام وتطور الجنين .

15 – العلاج النبوى للعقيم .

16 – عقاب من تبرأ من ولده .

17 – المواصفات النبوية للبيت الصالح .

تعريفات عنوان الكتاب

1 – **مَنهج** – بفتح الميم وكسرها :

الطريق الواضح ، والخطة المرسومة ، ومنه :منهاج الدراسة ،ومنهاج التعلـيم ، ونحوهما ،وجمعه: مناهج [1] .

2 – **التربية** :

لأصل معنى التربية ثلاثة معان :

الأول : رَبَا يَرْبو ، بمعنى : زاد وَنَما .

الثانى : رَبَا يَرْبى ، على وزن : خفى ، يخفى ، ومعناها : نشأ وترعرع .

(1) المعجم الوسيط .

الثالث : رَبَّ يَرَبُّ ، على وزن مدّ يمدّ بمعنى : أصلح وتولى الأمر ، وقال البيضاوى فى تفسيره : الرّبّ فى الأصل ، بمعنى التربية ، وهى :تبليغ الشىء إلى كماله شيئاً فشيئاً ؛ ثم وُصف به تعالى للمبالغة . أما الراغب الأصفهانى

فقال فى كتابه «المفردات» : الربّ فى الأصل : التربية ، وهو إنشاء الشىء حالاً فحالاً إلى حد التمام [1] .

مما سبق يمكن القول :

التربية : عملية بناء الطفل شيئاً فشيئاً إلى حدّ التمام والكمال .

وقد جمعنا المعنى اللغوى للتربية بكلمة بناء ؛ لأنها تعنى بذل الجهد ، ووضع الشىء فى مكانه ، ومتابعة النظر إليه ؛ بالرعاية والإصلاح بعيداً عن الإهمال .

وشيئاً فشيئاً : على سبيل التدرج ، وأنَّ ما يصعب تحقيقه اليوم ، يمكن أن يتحقق غداً.

وإلى حدّ التمام والكمال : هو الحد الذى يصل فيه الطفل إلى أن يتمسك بشرع الله من ذاته ، ويحاسب نفسه بنفسه ، ويراقبها ، ويتابع تربية نفسه : بتلاوة القرآن ، والتمسك بالشرع الحنيف .

3 – **النبوية** :

المقصود بها : كل ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير يخص مرحلة الطفولة .

4 – **الطفل**:

(الطفل) الولد حتى البلوغ ، ويستوى فيه المذكر والمؤنث ، والجمع أطفال [2] .

والمقصود بمرحلة الأطفال من الولادة إلى البلوغ ، فمرحلة البداية تبدأ بالطفولة لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾ [الحج : 5]

ومرحلة النهاية تبدأ بالبلوغ؛ لقوله تعالى :﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ [النور : 59] .

غلمة : فِتية – جمع غلام ، وهو الطارّ الشارب ، أى : صبيان،وقال الزمخشرى :

---

(2) أصول التربية الإسلامية وأساليبها للنحلاوى (ص 12) .

(1) المعجم الوسيط .

والغلام هو الصغير إلى حدّ الالتحاء ،فإن قيل بعد الالتحاء فهو مجاز [1] .

الصِّبيان : قال النووى – رحمه الله : الصِّبيان بكسر الصاد ، هذه اللغة المشهورة، وحكى ابن دريد ضَمَّها [2] . وجاء فى «مختار الصحاح» : الصَّبى : الغلام. والجمع : صبية وصبيان . والجارية : صبية ، والجمع : صبايا مثل : مطية ، ومطايا. وقال ابنُ نجيم فى «الأشباه والنظائر»[3] فى باب أحكام الصبيان :

هو جنين ما دام فى بطن أمه ، فإذا انفصل ذكراً فصبى ، وسُمِّى رجلاً كما فى آية المواريث[4] إلى البلوغ ، فغلام إلى تسع عشرة ، فشاب إلى أربع وثلاثين ، فكهل إلى إحدى وخمسين ، فشيخ إلى آخر عمره ، هكذا فى اللغة .

وفى الشرع: يسمى غلاماً إلى البلوغ ؛ وبعده شاباً ، وفتى إلى ثلاثين ، فكهل إلى خمسين ، فشيخ .

---

(2) فيض القدير (6/ 354) ،وانظر التفسير الكبير للرازى (21/ 155) .

(3) شرح صحيح مسلم ، باب : حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله .

(1) غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر للحموى (3/ 309) ، طبع بيروت .

(2) يسمى رجلاً كما فى آية المواريث ، يعنى : مجازاً كما يفيده كلام العلامة ابن حجر فى شرح البخارى فى باب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ ﴾ [النور : 27] كما فى القاموس. (المصدر السابق) .

تمهيد

«الطفل أول ما يَرى من الوجـود منزلَـه وذويـه ، فترتسـم فى ذهنـه أولُ صـور الحياة، مما يراه من حالهم ، وطرق معيشتهم ، فتتشـكل نفسـه المرنـة ، القابلـة لكـل شىء ، المنفعلة بكل أثر بشكل هذه البيئة الأولى يقول الإمام الغزالى : الصـبى أمانـة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة ، خالية من كل نقش وصورة ؛ وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يمال إليه ، فإن عُوّد الخير وعُلِّمه نشأ عليـه ، وسـعد فى الدنيا والآخرة أبواه ، وكل معلم له ومـؤدب ، وإن عُـوّد الشّرـ ، وأهمـل إهمـال البهائم،شقى وهلك ، وكان الوزر فى رقبة القَيّم عليه ، والـوالى لـه . يقـول رسـول اللهﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يُهَوِّدانه أو يُمَجِّسانة أو يُنَصِّرانه»[1] وإلى هذا أشار أبو العلاء بقوله :

وينشـــأ ناشـــئ الفتيـــان منـــا ... عـــلى مـــا كـــان عـــوّده أبـــوه
ومـــا دان الفتـــى بحجًـــى ولكـــن ... يُعَـــوِّده التَّـــدَيُّنَ أقربـــوه

وإذا كان للمنزل كل هذا الأثر فى حياة الطفل ، وجب تحقيقاً للغايـة السـابقة ، أن يحاط بكل ما يغرس فى نفسه روح الدين والفضيلة»[2] .

«إن أطفال اليوم هم اللبنات الرطبة التى يشـاد عـلى كاهلهـا فى المسـتقبل بنـاء المجتمع ، هم رجال الغد ، وبقدر ما يبذل فى تربيتهْم وتقويتهم بقدر ما يكون للأمة من مكانة وعزة . وبقدر ما يهملون ، فتتمكن من قلوبهم أساليب الانحراف ، بقـدر ما يكون للأمة من اختلال ، وضعف فى القوى الموجهة لها ، القائمة بشؤونها»[3] .

1 – مسؤولية التربية :

«أيها الكفيل ، إذا ألقيتَ مسؤولية الطفل فى مراتع وخيمة ،أخشى أن يُضاعف لك العذاب ضعفين ، تُعذَّب على تشويه تلك الجوهرة المكرمة عذاباً نكـيراً، وتحـوز من تلك الجناية العامة نصيباً مفروضاً» [4] .

لهذا نجد الرسول ﷺ يُحَمِّلُ الوالدين مسؤولية تربية الأبناء مسؤولية كاملة.فعن

(1) فالأب والأم عنصران مهمان ، وإرسالهما لطفلهما إلى المدارس الخاصة – باسم التعلم والعلـم – إنـما هو هلاك للولد إن لم يتنبه والداه عليه ، كما أن إهمالهما إنما هو طريق لإهلاكه – والعياذ بالله .
(2) رسالة «أنجع الوسائل» .
(1) انظر : من توجيهات الإسلام للشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر سابقاً رحمه الله تعالى – ص 160 ، طبعة دار الشروق القاهرة ، ط7 .
(2) السعادة العظمى (ص 90) للشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله .

ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته ،الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته » متفق عليه. حتى إن الرسول ﷺ يضع قاعدة أساسية مفادها أن الابن يشب على دين والديه ، وهما المؤثران القويان عليه .

أخرج البخارى عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يُهودانه أو يُنصرانه أو يُمجسانه ، كما تنتج البهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء ؟» ثم يقول أبو هريرةﷺ: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم : 30][1].

وإن الله تعالى أمر الوالدين بتربية الأبناء ، وحضّهم على ذلك ، وحمّلهم مسؤولياتها بقوله :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم] .

عن على بن أبى طالب ﷺ فى قوله عز وجل : ﴿ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم :6] قال : علموا أنفسكم وأهليكم الخير . رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 494) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

قال الفخر الرازى فى التفسير[2] : ﴿ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التحريم : 6] أى : بالانتهاء عما نهاكم الله عنه .

وقال مقاتل : أن يؤدب المسلم نفسه وأهله ، فيأمرهم بالخير ، وينهاهم عن الشر. وقال فى «الكشاف» : ﴿ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التحريم : 6] بترك المعاصى وفعل الطاعات ، وأهليكم بأن تؤاخذوهم بما تؤاخذون به أنفسكم .

فلا بد من بذل الجهد ، والعمل الدؤوب ، فى إصلاح الأطفال ، وتصحيح أخطائهم على الدوام ، وتعويدهم الخير، وهذا سبيل الأنبياء والمرسلين ؛ فلقد دعا نوح ابنه إلى الإيمان ، ووصَّى إبراهيم بنيه بعبادة الله وحده ؛ وهكذا .

---

(3) رواه البخارى :كتاب (23) باب (80 و93) وكتاب (65) سورة (30) ، وكتاب (82) باب (3) ورواه مسلم : كتاب (46) حديث رقم (22 – 25) وسنن أبى داود كتاب (39) باب (17) والترمذى: كتاب (30) باب (5) والموطأ : كتاب (16) حديث (52) ومسند أحمد : الجزء الثانى من (233 و253و275و282و315 و 346و 393و 470و481) والجزء الثالث (ص 353 و435) ، والجزء الرابع (ص 22) انظر: مفتاح السنة (ص 535) .

(1) التفسير الكبير (30/ 46) .

وقد ذكر الإمام النووى فى كتابه «بستان العارفين»[1] عن الشافعى ، عن فضيل قال : قال داود النبى ﷺ : «إلهى ! كنْ لابنى كما كنتَ لى ! فأوحى الله تعالى إليه : ياداود ! قُل لابنكَ يكن لى كما كنتَ لى ، أكنْ له ، كما كنتُ لك» .

لذلك قرر الإمام الغزالى- رحمه الله - فى رسالته : «أيها الولد» أن معنى التربية يشبه عمل الفلاح الذى يقلع الشَّوْك ، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ، ليحسن نباته ، ويكمل ريعُهُ[2] .

وقد أكد ابن القيم - رحمه الله - هذه المسؤولية ، وتكلم كلاماً مفيداً نافعاً ، فقال[3] :«قال بعض أهل العلم : إن الله سبحانه - يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة، قبل أن يسأل الولد عن والده ؛ فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً ، فللابن على أبيه حق ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت : 8] . وقال تعالى : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : 6] . وقال على ابن أبى طالب : علموهم وأدبوهم . وقال تعالى :﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[النساء :36] وقال النبى ﷺ «اعدلوا بين أولادكم» [4] .

فوصية الله للآباء بأولادهم ، سابقة على وصية الأولاد بآبائهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإسراء] .

ويتابع ابن القيم قوله : «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه ، وتركه سدى ، فقد أساء غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم مِنْ قِبَلِ الآباء ، وإهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغاراً ، فلم ينتفعوا بأنفسهم ، ولم ينفعوا آبائهم كباراً؛ كما عاتب بعضهم ولده على العقوق ، فقال : يا أبت ! إنك عققتنى صغيراً ، فعققتك كبيراً، وأضعتنى وليداً فأضعتك شيخاً» .

وإن الزواج وإنجاب الأولاد مسؤولية كبيرة يحاسب عليها المرء يوم القيامة ، أخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : «يُؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له : ألم أجعلْ لكَ سمعاً وبصراً ومالاً وولداً؟ وسخَّرتُ لكَ الأنعام والحرث ؟ وتركتكَ ترأس وتربع ؟ فكنتَ تظن أنك ملاقى يومك هذا ؟ فيقول : لا ، فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتنى» وفى رواية :

---

(2) (ص 45) .

(3) الريع : النماء والزيادة . مختار الصحاح .

(1) أحكام المولود (ص 229) .

(2) «اعدلوا بين أولادكم فى النحل كما تحبون أن تعدلوا بينكم فى البر واللطف» صحيح ، رواه الطبرانى عن النعمان بن بشير . انظر صحيح الجامع الصغير برقم (1046) .

«ألم أزوجك ؟» .

«فأى شهادة على سخافة مدارك الرجل ، وفقد شعوره ، أعظم ممن يمثل أمام عينيه، الزمن الذى يبلغ فيه الطفل أشدّه ، ويرسم فى مخيلته ، كيف ينتظم فى دائرة رجاله ، ولا يؤهله بالتربية الحسنى لأن يكون سيداً نبيلاً»[1] .

أما هذه التربية فهى حق الابن على والديه ، وليست هبة أو هدية ، وهذا أكده النبى ﷺ بقوله : «إنما سماهم الله أبراراً ، لأنهم بروا الآباء والأبناء ، كما أن لوالدك عليك حقاً ، كذلك لولدك عليك حق» أخرجه البخارى فى الأدب المفرد[2] .

وروى النسائى ، وابن حبان فى صحيحه مرفوعاً : «إن الله سائل كل راع عما استرعاه أَحَفِظَ أم ضَيَّعَ ؟ حتى يسأَلَ الرجل عن أهل بيته»[3] .

وفى رواية عبد الرزاق :«إن الله ـ عز وجل ـ سائل كل ذى رعية فيما استرعاه، أقام أمر الله فيهم أم أضاعه،حتى إن الرجل ليسأل عن أهل بيته».

لهذا قال سعيد بن العاص ﷺ وهو يتحسس مسؤولية تربية ولده ، وحقه عليه ، فيقول : «إذا علّمتُ ولدى القرآن ، وحَجَّجْتُه ، وزوّجْتُه ، فقد قضيتُ حقَّه ، وبقى حقى عليه» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب«العيال» (1/ 331) .

وقال سفيان الثورى – رحمه الله : «كان يقال : حق الولدعلى والده أن يحسن اسمه ، وأن يزوجه إذا بلغ ، وأن يُحجِّجه ، وأن يُحسِن أدبه» رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب «العيال» (1/ 332) .

2 – السعى للزواج من امرأة صالحة ومربية :

روى البخارى – كتاب العتق – عن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «كُلُّكم راع فمسؤول عن رعيته ، فالأميرُ الذى على الناس راعٍ ، وهو مسؤولٌ عنهم ، والرجلُ راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤولٌ عنهم ، والمرأة راعيةٌ على بيت بعلها وولده، وهى مسؤولة عنهم ... الحديث» ،ورواه مسلم،والترمذى،وأبو داود،وأحمد.

فخص رسول الله ﷺ المرأة مسؤولية رعاية وتربية الأولاد؛لأنها أكثر تفرغًا،وقربًا من الطفل.

إن الإسلام دين أسرة ، ويقرر تبعة المؤمن فى أسرته ، وواجبه فى بيته ، والبيت المسلم هو نواة الجماعة الإسلامية ، وهو الخلايا التى يتألف منها ، ومن الخلايا الأخرى

---

(1) السعادة الغظمى (ص 90) للشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله .
(2) ورواه الطبرانى ، وفيه عبيد الله بن الوليد الوصافى ، وهو ضعيف ، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (8/ 146) .
(3) انظر :سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (1636) .

وإن مما يساعد الأب على تربية طفله ، ورعايته فى العملية التربوية : الزوجة الصالحة ، التى تتفهم دورها ، ووظيفتها ، وتقوم بهما على أحسن وجه ، وهى الركن الرئيسى فى هذا العمل ، وعملها هذا ، له دور تاريخى فى حياة المجتمعات ، فقد تنتج ولداً مصلحاً للمجتمع ، يقود الأمة إلى الخير والقوة .

يقول صاحب الظلال – رحمه الله :

«إن البيت قلعة من قلاع هذه العقيدة ، ولابد أن تكون قلعة متماسكة من داخلها، حصينة فى ذاتها ، كل فرد منها يقف على ثغرة لا ينفذ إليها ، وإلا تَكُنْ كذلك ، سهلَ اقتحام العسكر من داخل قلاعه ، فلا يصعب على طارق ، ولا يستعصى على مهاجم .

وواجب المؤمن ، أن يُؤمّن هذه القلعة من داخلها ، وواجبه أن يسد الثغرات فيها، قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيداً .

ولا بد من الأم المسلمة ، فالأب المسلم وحده لا يكفى لتأمين القلعة ، لا بد من أب وأم ليقوما – كذلك – على الأباء والبنات ، فعبثاً يحاول الرجل أن ينشئ المجتمع الإسلامى بمجموعة من الرجال ... لا بد من النساء فى هذا المجتمع ، فهن الحارسات على النشء ، الذى هو بذور المستقبل وثماره .

هذا أمر ينبغى أن يدركه الدعاة إلى الإسلام ، وأن يدركوه جيداً :

«إن أول الجهد ينبغى أن يوجه إلى البيت ، إلى الزوجة ، إلى الأم ، ثم إلى الأولاد ، وإلى الأهل بعامة ، ويجب الاهتمام البالغ بتكوين المسلمة ، لتنشئ البيت المسلم ، وينبغى لمن يريد بناء بيت مسلم أن يبحث له أولا عن الزوجة المسلمة،وإلا فسيتأخر بناء الجماعة الإسلامية ، وسيظل البنيان متخاذلاً ، كثير الثغرات» [1] .

«إن خير ما تنكح عليه المرأة دينها ، وصلاحها ، وتقواها ، وإنابتها إلى ربها ـ تبارك وتعالى ـ مثل هذه تقر العين بها ، وتؤتمن على نفسها ، ومال زوجها ، وتربية أولاده ، كى تغذيهم بالإيمان مع الطعام ، وتصب فيهم أحسن المبادئ مع اللبن ، وتسمعهم من ذكر الله ـ تعالى ـ ومن الصلاة على نبيه ﷺ ما يشربهم التقوى ، ويركز فيهم حب الإسلام إلى أن يموتوا ؛ والمرء يشيب على ما شبّ عليه ، وإن صفات الوالدين تنحدر إلى الأولاد .

---

(1) دستور الأسرة فى ظلال القرآن (ص 112) .

وكثيراً ما تظهر ملكة التقوى فى الولد ، تبعاً لأبويه ، أو لأحدهما ، أو للعم،أو الخال، وقد ورد الإرشاد النبوى ، منبهاً إلى هذا : فيما رواه ابن عدى وابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها ، عن سيدنا رسول الله ﷺ قال : «تَخَيّروا لنطفكم ؛ فإن النساء يَلِدْنَ أشباه إخوانهن وأخواتهن»[1] .

وروى الدراقطنى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة» .

«ومن حق الزوج أن يبتغى الثقافة فى زوجته ؛ لأن الثقافة تُعينها على تدبير المنزل، وتربية الولد تربية صالحة . وللمرأة أن تتعلم ما تشاء من العلوم ، بالطريقة التى تلائم كمالها . ومما صدر من الخواطر : «إن الرجل والمرأة كالبيت من الشِّعْر، ولا يحسن فى البيت أن يكون شطره محكماً والشطر الآخر متخاذلاً» [2].

وإن رسول الله ﷺ امتدح نساء قريش لما يتمتعن به من صفات جيدة تجاه أولادهن بالحنان ، وأزواجهن بالرعاية :

أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال : «خَيْرُ نساءٍ رَكِبْنَ الإبل صالح نساء قريش ، أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده».

قال أبو العباس القرطبى : ويعنى بالصلاح – هنا : صلاح الدين ، وصلاح المخالطة للزوج وغيره ، كما دلَّ عليه قوله : «أحناه ،وأرعاه» .

وقال زين الدين العراقى : «قوله : «أحناه» أى : أشفقه ، والحانية على ولدها التى تقوم عليهم بعد تيتمهم ، فإن تزوجت فليس بحانية ، قاله الهروى» .

وقوله : «أرعاه على زوج » أى : أحفظ وأصون .

وقوله : «فى ذات يده» أى : فى ماله المضاف إليه ، والمراد : حفظها مال الزوج ، وحسن تدبيره فى النفقة وغيرها ، وصيانته عن أسباب التلف .

قوله : «أحناه ، وأرعاه» : أصله : أحناهن ، وأرعاهن ، ولكنهم لا يتكلمون به إلا مفرداً ، قاله أبو حاتم السجستانى وغيره .كذا فى «طرح التثريب فى شرح التقريب» لزين الدين أبى الفضل العراقى (7/ 13) .

وإن من صلاح المرأة ، وتقواها ، وحبها لزوجها ، وأولادها ، ومن أدلة حسن

---

(2) رحمة الإسلام بالنساء للشيخ محمد الحامد – رحمه الله – (ص 40– 41) . وفى رواية ابن ماجه والبيهقى : «تخيروا لنطفكم ، فأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم» صحيح . انظر صحيح الجامع رقم (2928) .

(1) دراسات فى الشريعة الإسلامية (ص 98) للشيخ محمد الخضر حسين – رحمه الله .

تربيتها من والديها ، هو احترامها لزوجها ، والتأدب معه ، والتلطف إليه ، مما يساعد على تربية الأطفال ، ورؤيتهم للبيت الهادئ الساكن ، فينشؤون بسكينة ووقار .

فهذه ابنة سعيد بن المسيَّب تقول : ما كُنَّا نَعْلَمُ أزواجَنَا إلا كما تعلمون أنتم أُمَراءَكم . رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 739) .

هكذا تقول : «ما كُنا نعلم» أى : إن والدها قد علمها ، وهذّبها ، وأحسن تربيتها، وكانت عالمة تقية ، فمن تقوى المرأة ، وحبها لدينها أن تنظر إلى زوجها باحترام وتقدير ، حتى لو كان فقيرًا مثل زوج ابنة سعيد ، فالفقر ليس عيباً فى الرجل ، ما دام يسعى على قوت عياله من حلال ... تلك ابنة سعيد بن المسيب ابنة العالم العامل الداعية إلى الله ، يقول عنها زوجها الذى تحترمه ذلك الاحترام : «ثم دخلتُ بها ، فإذا هى من أجمل الناس، وإذا هى أحفظ الناس لكتاب الله ، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحق الزوج»[1] .

إن المرأة الصالحة مهما بلغت من الدرجات العلمية العليا ، تعرف أن مكانة زوجها أعلى من ذلك . إنها تنظر إليه بنور النبوة الذى جعل الزوج أحد مفاتيح الجنة لزوجته ، وتنظر إليه بعين الإيمان واليقين بما قاله الله تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء :34] .

وإن قيام المرأة بالعملية التربوية لأطفالها ، وأولادها ، وقيامها على خدمة زوجها ، يرقيها إلى أعلى الدرجات ، ويضعها فى مصاف النساء العظيمات ، وعملها هذا يعدل جهاد الرجل فى المعركة ، وصلاة الجمعة فى المساجد .

روى مسلم فى صحيحه أن أسماء بنت يزيد بن السكن – رضى الله عنها – أتت النبى ﷺ فقالت : إنى رسول من ورائى من جماعة نساء المسلمين ، كلهن يقلن بقولى، وعلى مثل رأيى ، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فآمنّا بكَ واتبعناكَ ؛ ونحن معشر النساء ، مقصورات مخدرات ، قواعد بيوت ، وإن الرجال فضلوا بالجُمُعَات ؛ وشهود الجنائز ، والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد ، حفظنا لهم أموالهم ، وربَّينا أولادهم ، أفنشاركهم فى الأجر يارسول الله ؟

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال : «هل سمعتم مقالةَ امرأةٍ أحسن سؤالاً عن دينها من هذه ؟!» .

---

[1] انظر : هامش كتاب العيال وعزاه محققه إلى حلية الأولياء لأبى نعيم .

فقالوا : لا يا رسول الله .

فقال رسول الله ﷺ :«انصرفى يا أسماء وأعلمى من وراءك من النساء : أن حُسن تَبَعُّلِ إحداكنَّ لزوجها ، وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته ، يعدل كل ما ذكرت» .

وهذا ما فعلته الفاضلة امرأة عمران ، عندما توجهت إلى الله تعالى فقالت :

﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران : 35] . قال العلامة أبو بكر الجصاص – رحمه الله – فى كتابه: «أحكام القرآن» (2/ 11) :

«والنذر فى مثل ذلك صحيح فى شريعتنا أيضاً ، بأن ينذر الإنسان أن يُنشئ ابنهُ الصغير على عبادة الله وطاعته ، وألا يَشغله بغيرهما ، وأن يُعلِّمه القرآن والفقه وعلوم الدين ، وجميع ذلك نذور صحيحة ؛ لأن فى ذلك قربة إلى الله تعالى ...» ثم قال :

«ويدل على أن للأم ضرباً من الولاية على الولد فى تأديبه وتعليمه وإمساكه وتربيته ، ولولا أنها تملك ذلك لما نذرته فى ولدها، ويدل أيضاً على أن للأم تسمية ولدها ، وتكون تسمية صحيحة ، وإن لم يسمه الأب لأنها قالت :﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران 36] وأثبت الله تعالى لوالدها هذا الاسم» .

وإن الماوردى يعتبر اختيار الزوجة حق الولد على أبيه ، اقتباساً من قول عمر ابن الخطاب ﷺ فيقول : «فمن أول حق الولد أن ينتقى أمه ، ويتخير قبل الاستيلاد منهن : الجميلة ، الشريفة ، الدّيِّنة ، العفيفة ، العاقلة لأمورها ، المرضية فى أخلاقها ، المجربة بحسن العقل وكماله ، المواتية لزوجها فى أحوالها»[1] .

وإن رسول الله ﷺ يقر النظرة التربوية التى نظرها جابر بن عبد الله فى اختياره لزوجته ؛ لتقوم بمهام تربوية فى بناء أخوات صغار لجابر ، بالإضافة إلى أبنائه فى المستقبل .

أخرج الخمسة عن جابر فى حديث طويل[2] أنه قال لرسول الله ﷺ حين سأله : «هل تزوجت بكراً أم ثَيِّباً ؟» قال : بل ثَيِّباً ، قال : «هَلا بِكراً تُلاعِبُها وتُلاعِبُكَ ؟» فقلت : يا رسول الله تُوفى والدى ، ولى أخوات صغار ، فكرهت أن أتزوج مثلهنّ «أى : فى السن» فلا تُؤدبهن ، ولا تقوم عليهن ، فتزوجت ثيباً ؛ لتقوم عليهن وتؤدبهن» .

لذلك فإن من واجبات المرأة الأم ، تجاه زوجها ، أن تحسن القيام بتربية أولادها

---

(1) كتاب نصيحة الملوك لأبى حسن الماوردى ، تحقيق : الشيخ الخضر محمد الخضر (ص 162) .
(2) انظر: الحديث بطوله فى تيسير الوصول (1/ 62) ، وجامع الأصول (1/ 15) .

منه ، فى صبر ، وحلم ، ورحمة، فلا تغضب على أولادها أمامه ، ولا تدعوا عليهم ، ولا تسبهم، ولا تضربهم ، فإن ذلك قد يُؤذيه منها ، وربما استجاب الله دُعاءَها عليهم ، فيكون مصابها بذلك عظيماً [1] .

وأخيراً ، فإن الزوجة الصالحة هى الكنز الحقيقى الذى يدخره الرجل فى دنياه وآخرته. روى الترمذى عن ثوبان ، قال : «لما نزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ [التوبة : 34] كنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره ، فقال بعض أصحابه : أُنزلت فى الذهب والفضة ، فلو علمنا أى المال خير لاتخذناه ؛ فقال رسول الله ﷺ: «أفضله لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وزوجة صالحة ، تُعين المؤمن على إيمانه» .

وروى أبو داود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ [التوبة: 34] كَبُر ذلك على المسلمين ، فقال عمر : أنا أُفَرِّجُ عنكم ، فانطلق ؛ فقال : يا نبى الله . إنه كَبُرَ على أصحابك هذه الآية ، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقى من أموالكم ، وإنما فرض المواريث ، لتكون لمن بعدكم» فَكَبَّرَ عمر ، ثم قال له: «ألا أُخبرك بما يكنز الرجل : المرأة الصالحة ، إذا نظر إليها زوجها سَرَّتْهُ ، وإذا أَمَرَها أطاعته ، وإذا غابَ عنها حفظته» .

اللهم اجعل زوجاتنا كذلك ، صالحات قانتات حافظات للغيب .

وهذه نماذج من الأمهات الصالحات اللواتى كن سبباً فى إنجاب وتربية أولادهن، فكن سبباً فى تغيير أحداث التاريخ حول أولادهن الأبطال ، العلماء ، الأتقياء ، الصالحين،ولم يكن يرغبن بالعمل خارج تربية أولادهن تربية صالحة ، ولم يرغبن فى الدرهم والدينار على أن يدخلن التاريخ عبر تربية أولادهن ، ولم يكن يستقبحن دورهن القيادى فى منازلهن ، وهن يُرضعن أولادهن الحليب مع التأديب، والحنان مع الصلاح ، والكلمة الحسنة مع العلم والحكمة .

ولم يكن أولئك الخالدات بحاجة إلى اتحاد نسائى يُعرفهن بحقوقهن ، ويُنسيهن واجباتهن ، وإنما كنَّ يُدركن رسالة الأمومة التى تهز العالم بيسارها ، وهى تهز سرير طفلها بيمينها .

إن إيمان الأم بدورها الريادى فى تربية أولادها ، يجعلها تدخل فى مؤثرات الأحداث من أوسع أبوابها ، إنه درس خصوصى فى بيت خصوصى ، الأم فيه

---

(3) المرأة المسلمة للشيخ وهبى سليمان الغاوجى (ص 153) .

المعلمة، والمربية ، والطباخة ، والقائمة بشؤون البيت ، والأولاد هم رعيتها المحبّبون إليها ، ولا يرضون عنها بديلاً ما دامت هى لا ترضى عنهم بديلاً .

إن الأم المربية لأولادها تساهم فى بناء أكثر المجتمع ، فهى تملك طفلاً ، أو طفلين على أقل تقدير ، وهى تملك أكثر فى توسط التقدير ، فقيامها على التربية الصالحة تحمى المجتمع من أن تنتج له مجرمين ، ورعايتها لبيتها توفر للدولة اقتصاداً أقوى ؛ لأنها تعلم قيمة المال الذى يأتى به زوجها . كما أنها تتيح للذكور من أمتها تقلد الأعمال بدلاً من أن يتيهوا فى الطرقات والشوارع ، فيكثر فراغهم ، فيؤدى بهم فى الوقوع فى حبائل العصابات الشريرة، وما أكثر أنواع هذه العصابات فى عصرنا الحالى !

إن الإسلام حفظ لكل أنثى نفقتها على الرجال سواء كانت بنتاً ، أم أختاً ، أم زوجة ، أم أماً ؛ وذلك لكى تتحرك رجولة الرجال فى العمل ، وتتحرك غيرة النساء إلى إنجاب وتربية الأبطال من الذكور ، والأمهات القادرات من الإناث .

فهذا [1] على بن أبى طالب أمير المؤمنين – كرم الله وجهه – يتربى على يدى أمه فاطمة بنت أسد ، وابن عمه رسول الله ﷺ وزوجته خديجة بنت خويلد ، فكانت نتيجة ذلك أن يكون على – رضى الله عنه – فداءً لرسول الله ﷺ فينام فى فراشه لكى يوهم المشركين ، وييسر هجرة رسول الله ﷺ وكانت أول عملية فدائية لعلى ﷺفى تاريخ الإسلام.

وهذا عبد الله بن جعفر يستشهد والده ، وهو صغير ، فتعاهدته أمه أسماء بنت عُمَيْس، فتكمل تربيته ، وتنشئته على الجود والكرم ، والفداء لدين الله ، فيهز التاريخ طرباً بفتوحاته ، وقيادته .

وهذا معاوية بن أبى سفيان ﷺ الذى كانت فتوحاته تمتد أربعين سنة ، عشرين سنة والياً لدمشق ، وعشرين سنة خليفة للمسلمين ، ربّته أمه على القيادة الحكيمة، والحلم،والأناة،وتتنبأ له بهذه المكانة وهو طفل صغير ، فيقال لها عنه وهو صغير: «إن عاش معاوية ساد قومه»،فإذا بجوابها يحفظه التاريخ لنا نبراسا للأمهات فترد: «ثَكِلْتُهُ إن لم يَسُدْ إلا قومه» . ولما نُعى إليها ولدها يزيد بن أبى سفيان قال لها بعض المعزين : «إنا لنرجو أن يكون فى معاوية خَلَفٌ عنه» ، فقالت :

«أو مثل معاوية يكون خلفاً من أحد ؟ والله لو جَمعت العربُ من أقطارها،ثم رُمى به فيها ؛ لخرج من أيها شاء» .

---

[1])نذكر هذه النماذج نقلاً من كتاب (عودةالحجاب) لمحمد أحمد إسماعيل المقدم (2/ 141) بتصرف .

وكان معاوية ﷺإذا نُوزع الفخر بالمقدرة ، وجُوذب المباهاة بالرأى ، انتسب إلى أمه ، فصدع أسماع خصمه بقوله : «أنا ابن هند» .

وأما سفيان الثورى – أحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة فى الفقه ، وإمام المحدثين– فقد روى الإمام أحمد بسنده عن وكيع قال : قالت أم سفيان لسفيان : «يابنى ، اطلب العلم ،وأنا أكفيك بمغزلى» .

ومما قالت له أيضاً : «يا بنى ، إذا كتبتَ عشرة أحرف فانظر : هل ترى فى نفسك زيادة فى خشيتك ، وحلمك ، ووقارك ، فإن لم تر ذلك ، فاعلم أنها تضرك ، ولا تنفعك» .

ومما رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب «العيال» (2/ 578 – 583) فى فضل عمل المرأة بالمِغْزَل : عن مجاهد – رفعه – قال : «نِعْمَ لهْوُ المرأةِ المغزل» . قال محقق الكتاب: حديث مرسل ، رجاله رجال الصحيح ، ما خلا حسين بن يزيد فهو ليّن .

وقال عمر ﷺ : «علموا أولادَكم العَوْمَ والرمايةَ ، ونِعْم لهو المرأة المِغْزَل» .

وقال على – كرم الله وجهه : «إن المِغْزَل من طيّباتِ الرزق» .

وعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : «المِغْزَلُ فى يَدِ المرأةِ مِثلُ الرُّمْح فى يد الغازى» .

وهذه أم الإمام الأوزاعى الفقيه ، المحدِّث ، الذى أفتى وله من العمر ثلاث عشرة سنة، تربية تربية صالحة تجعل منه إماماً ، رغم يتمه ، ولم يمنعها فقرها من تأديبه وتعليمه ، قال الذهبى [1] :«قال الوليد بن مزيد البيروتى :

«ولد الأوزاعى ببعلبك ، وربُى يتيماً فقيراً فى حجر أمه ، تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبَه فى نفسه ، ما سُمِعت منه كلمة فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه ، ولا رأيته ضاحكاً يقهقه ، ولقد كان إذا أخذ فى ذكر المعاد أقول : ترى المجلس لم يبك» .

وهذه أم «ربيعة الرأى» شيخ الإمام مالك ، أنفقت على تعليم ولدها ثلاثين ألف دينار، خلّفها زوجها عندها ، وخرج إلى الغزو فى سبيل الله ، ولم يعد لها إلا بعد أن استكمل ولده الرجولة ، والمشيخة ، وكانت أمه قد اشترتها له بمال الرجل ، فأحمد الرجلْ صنيعها ، وأربح تجارتها فى قصة طويلة ساقها ابن خلّكان ، فقال :

«كان فَرُّوخ أبو ربيعة الرأى ، خرج فى البعوث على خرسان أيام بنى أمية ،

---

[1] تذكرة الحفاظ (1/ 178– 179) .

وربيعة حمل فى بطن أمه ، وخَلَّف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار ، فقدم المدينة بعد سبعة وعشرين سنة ، وهو راكب فرساً ، وفى يده رمح ، فنزل ؛ ودفع الباب برمحه ، فخرج ربيعة، وقال : «يا عدو الله ! أتهجم على منزلى ؟ !» .

فقال فَرُّوح : «يا عدو الله ، أنت دخلت على حرمى ؟ !» فتواثبا ، حتى اجتمع الجيران ، وبلغ مالك بن أنس ، فأتوا يُعينون ربيعة ، وكثر الضجيج ، وكل منهما يقول : «لا فارقتك» ، فلما بصروا بمالك سكتوا ، فقال مالك : «أيها الشيخ ، لك سعة فى غير هذه الدار» .

فقال الشيخ : «هى دارى ، وأنا فَرُّوخ» .

فسمعت امرأته كلامه ، فخرجت ، وقالت : «هذا زوجى ، وهذا ابنى الذى خَلَّفَهُ وأنا حاملٌ به» . فاعتنقا جميعاً وبكيا ، ودخل فرّوخ المنزل ، وقال : «هذا ابنى؟!» قالت : «نعم» قال : «أخرجى المالَ الذى عندَكِ» ، قالت - تُعَرِّضُ : «قد دفنتُه وأنا أخرجُه» .

ثم خرج ربيعةُ إلى المسجد النبوى ، وجلس على حلقته ، فأتاه مالك والحسن ، وأشراف أهل المدينة ، وأحدقَ الناسُ به ،فقالت أُمُّه لزوجها فَرُّوخ :

«أُخرج فَصلِّ فى مسجد رسول الله ﷺ» ، فخرج ، فنظر إلى حلقة وافرة ، فأتاها، فوقف عليها ، فنكس ربيعةُ رأسَه يُوهمُه أنه لم يره ، وعليه قلنسوة طويلة ، فشك أبوه فيه ، فقال : «مَنْ هذا الرجل ؟» فقيل : «هذا ربيعة بن أبى عبد الرحمن» فقال : «لقد رفع الله ابنى» ، ورجَع إلى منزله ، وقال لوالدته : «لقد رأيتُ وَلَدكِ على حالةٍ ما رأيتُ أحداً من أهل العلم والفقه عليها» ، فقالت أمه : «فأيما أحب إليك : ثلاثون ألف دينار ؛ أوهذا الذى هو فيه ؟ !» . فقال : «لا والله بل هذا» فقالت : «أنفقتُ المالَ كُلَّه عليه» . قال : «فوالله ما ضَيَّعْتِهِ» .

هكذا الأمهات الخالدات ، تصرف المال فى تعليم أولادهن ، وليس فى زيادة كسوتهنّ ، وحليهنّ ، وزينتهن ، وهذا هو الحب الحقيقى للأولاد ، سواء من الأمهات العاملات بمغزلهن فى بيوتهن ، أو ممن يَصرفن المال فى تحصيل أولادهن أفضل العلوم الشرعية .

ومن لطائف ما قيل فى فضل الأم ، وأثرها على أولادها :

قال رافع بن هُريم :

فَلَوْ كُنْتُم لِكْيِسَةٍ لَكَاسَتْ ... وكَيْسُ الأمُّ يُعْرَفُ فى البنينا

وقال حافظ إبراهيم - رحمه الله :

الأُمُّ مَدْرَسَـــةٌ إذا أَعْدَدْتهـــا ... أَعْدَدْتَ شَعْبَاً طَيِّبَ الأَعْـرَاقِ
الأُمُّ رَوْضٌ إنْ تَعَهَّـــدَهُ الحَيَـــا ... بـالــرّيِّ أَوْرَقَ أَيُّـــما إيـــراقِ
الأُمُّ أُسْتـــاذُ الأَسَـــاتِذَةِ الأُلَى ... شَغَلَتْ مَـآثرُهُم مَـدى الآفَـاقِ

3 - ثواب الإنفاق على الزوجة والأولاد :

إن الإنفاق له أثر طيب فى العملية التربوية ، وخاصة عندما يكون مصدرها الموجه هو الشرع : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [الطلاق : 7] فلا إسراف ؛ ولا تبذير ، ولا تقتير ؛ ولا شُحّ ، وإنما اعتدال فى الإنفاق والبذل ؛ وذلك تدريب أيضا للطفل الناشئ ، على البذل المستطاع ، والإدارة الجيدة للاقتصاد المنزلى .

ولما كان الإثم كبيراً أن يُضَيَّعَ الرجلُ من يعيل من أطفال وغيرهم ، كان لخروجه للسعى فى الرزق أجر الجهاد فى سبيل الله .

روى ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 154) وأسنده إلى أبى المُخارق قال : كنا عند رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ، فطلعتْ ناقة له ، فأقام عليها سبعاً ،فمرَّ عليه أعرابى شابٌّ شديد قوى ، يَرعى غُنيمة له ، فقالوا : لو كان شبابُ هذا ، وشدتهُ ، وقوتُه فى سبيل الله عز وجل ! فقال رسول الله ﷺ :

«إن كان يسعى على أبوين كبيرين له ليغنيهما فهو فى سبيل الله .

وإن كان يسعى على صبيان له صِغَارٍ ليُغْنيهم فهو فى سبيل الله .

وإن كان يسعى على نفسه ليغنيها ويكافَ الناسَ فهو فى سبيل الله .

وإن كان يسعى رياءً وسمعةً فهو للشيطان» .قال محقق الكتاب : حديث مرسل، رجاله ثقات .

وعن ثوبان ﷺ مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «أفضلُ دينار ينفقهُ الرجلُ دينار يُنفقه على عياله ، ودينار يُنفقه على فَرَسه فى سبيل الله ، ودينار يُنفقه على أصحابه فى سبيل الله» قال أبو قِلاَبة : بدأ بالعيال ، ثم قال أبو قِلابة : أىُّ رَجُلٍ أعظمُ أجْراً من رجل يُنفق على عيالٍ صغارٍ يُعفُّهُمُ الله به ، أو ينفعهم الله به ؟ ! رواه مسلم والترمذى [1] .

بل الإنفاق على العيال من الكسب الحلال سبب لدخول الجنة مع الثلاثة الأوائل . عن أبى هريرة ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : «عُرِضَ علىَّ أولُ ثلاثةٍ يَدخلون الجنةَ ؛

(1، 2)انظر: الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ، الجزء الثالث ، باب : الترغيب فى النفقة .

وأولُ ثلاثةٍ يدخلون النار .فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة:فالشهيد،وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده،وعفيف متعفف ذو عيال.

وأما أولُ ثلاثة يدخلون النار :فأميرٌ مُسلَّطٌ ، ودو أثَرٍ من مال ، لا يؤدى حقَّ الله فى ماله ، وفقيرٌ فخور» رواه ابن خزيمة فى صحيحه ، ورواه الترمذى ، وابن حبان بنحوه [1].

وهكذا ترتبط الدنيا بالآخرة فى مفهوم التربية النبوية ، فليست عملية الإنفاق غريزة أو شهوة ، بل مع استحضار النية لله تعالى ، وبذلك تسمو النفقة إلى أفق الجنة، وتدبُ فيها الروح الإيمانية ، مما تزيد الوالدين على صدق العزم فى الكسب الحلال؛ لأنه طريق الجنة . اللهم ! وفقنا لذلك أبداً .

وقد جاءت أحاديث كثيرة توجه الإنسان إلى الإنفاق ، وأنه مأجور عليه ؛ بل إنه يتقدم كل الصدقات :

أخرج مسلم عن أبى هريرة ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : «دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين،دينارٌ أَنفقتَه على أهلك ، أعظمُهَا الذى أنفقته على أَهْلِكَ» .

وعن سعد بن أبى وقاص ﷺ أن النبى ﷺ قال : «إنك مهما أنفقتَ على أهلك من نفقةٍ ، فإنك تؤجر ، حتى اللّقْمَة ترفعُها إلى فى امرأتك» رواه أبو يعلى فى مسنده (2/ 81) بسند صحيح ، ورواه أحمد (1/ 172) .

وروى عن العرباض بن سارية ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الرجلَ إذا سقى امرأته من الماء أُجِرَ» قال : فأتيتُها ، فسقيتُها ، وحدثتها بما سمعتُ من رسول الله ﷺ ،رواه أحمد،والطبرانى في الكبير والأوسط.

وعن أبى هريرة ﷺ أنه قال : يا رسول الله ، أى الصدقة أفضل ؟ قال : «جهد المقل ، وابدأ بمن تعول» رواه الحاكم فى مستدركه (1/ 414) وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى ، ورواه أحمد (2/ 4، 94) .

وروى أحمد بإسناد جيد – عن المقدام بن معد يكرب ﷺ قال : قال رسول اللهﷺ : «ما أطعمتَ نفسكَ فهو لك صدقة ،وما أطعمتَ ولدَكَ فهو لك صدقة ، وما أطعمتَ زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمتَ خادمك فهو لك صدقة» .

وروى أبو حنيفة فى مسنده عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : قال

رسول الله ﷺ: «إذا ماتَ أحدُكم مغموماً مهموماً ، كان أفضل عند الله ، من ألف ضربة بالسيف فى سبيل الله» وقال العلامة مُلا على القارى فى شرحه لهذا الحديث : «مغموماً» أى : حزيناً بحيث يغم فؤاده «مهموماً» تأكيد لما قبله ، من : سبب العيال وكسب الحلال، الذى هو فرض عين عند أهل الكمال . «كان» فى تلك الحال «أفضل عند الله من ألف ضربة بالسيف فى سبيل الله» فإنه فرض كفاية فى غالب الأحوال .

وقد روى القضاعى عن ابن عباس ، وأبو نعيم فى الحلية : «طلبُ الحلالِ جهادٌ».

وروى الطبرانى عن ابن مسعود : «طلب الحلال فريضة» .

وروى الديلمى عن أنس : «طلب الحلال واجب على كلِّ مسلم» .

وروى ابن عساكر عن أنس : «من باتَ كالاًّ فى طلب الحلالِ باتَ مغفوراً له»[1].

وعن ابن عمرو – رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «كفى بالمرء إثماً أن يُضَيِّعَ من يقوت» . رواه الحاكم فى مستدركه (1/ 415) وقال : صحيح الإسناد، ولم يخرجه ، وأقره الذهبى .

وعن عامر بن سعد بن أبى وقاص قال : كتبت إلى جابر بن سَمُرة مع غلامى نافع : أن اكتب إلىَّ بشىء سمعته من رسول الله ﷺ ، فكتب إلىّ : سمعته – يعنى النبى ﷺ – يقول : «إذا أعطى الله – عز وجل – أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه ، وأهل بيته» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 160) . وقال محقق الكتاب : أخرجه مسلم (3/ 1454) وأحمد فى المسند (5/ 86و88و89) .

وقال عمر رضي الله عنه: «لأن أموت من سعى على رجلى ، أطلب كفاف وجهى ، أحب إلىّ من أن أموت غازياً فى سبيل الله»[2].

وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 559) عن محمد بن المثنى قال : حدثنا معتمر ، عن أبيه ، حدثنا مسلمٌ قال :

لقينى معاوية بنُ قرَّة ، وأنا جاءٍ من الكَلأ (أى : كلأ الدين : تأخر دفعه)

فقال : ما صنعتَ ؟ قلتُ : استبرأت لأهلى كذا وكذا (أى : دفعت قيمة الدّين)

قال : وأصبتَهُ من حلالٍ ؟ قال : قلت : نعم ، قال : لأن أغدو فيما غدوتَ فيه كلَّ يوم أحبُّ إلىّ من أن أقوم الليل ، وأصومَ النهار .

---

(1) شرح مسند أبى حنيفة للمحدث الملا على القارى – رحمه الله تعالى – (ص 62) .

(2) أورده الكتانى فى التراتيب الإدارية (2/ 23) ، وعزاه لابن الجوزى فى كتابه (تلبيس إبليس) .

وعن أيوب السختيانى أنه كان يقول لأصحابه كثيراً : تعاهدوا أولادكم وأهليكم بالبرّ والمعروف ، ولا تدعوهم تطمعُ أبصارُهم إلى أيدى الناس .

قال : وكان له (أى : لأيوب) زنبيل يغدو به إلى السوق فى كل يوم ، فيشترى فيه الفواكه ؛ والحوائج لأهله وعياله قال : وكان يقول : أفضلُ الجودِ ، كلُّ ما أُحْرِزَ به أجر . قال : وكان لأيوب أهلُ بيت فقراء ، كانَ يأتيهم بالنفقة ، والكسوة بنفسه ، فقيل له : لو أرسلتَ بها إليهم ؟ قال : ذهابى بها إليهم بها أعطفُ لى عليهم .

وعن الحسن قال : أول ما يوضع فى ميزان ابن آدم يوم القيامة نفقته على أهله إذا كانت من حلال .

وهذا عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يعلِّم ابنه أن يطلب الكسب الحلال لأولاده : أورد ابن المبارك فى كتابه «الزهد» وأسنده إلى الحسن ، قال : بينما عمر ابن الخطاب يمشى ذات يوم فى بعض أزقة المدينة، إذا صَبِيَّة بين يديه تقوم مرة ، وتقعد أخرى ، فقال : يابؤسها ! من لهذه ؟ فقال ابن عمرو : هذه إحدى بناتك يا أمير المؤمنين ، قال : فما لها ؟ قال : مَنَعْتَها ما عندكَ ، قال : أَفعجزتَ إذا منعتُها ما عندى، أن تكسَبَ عليها ، كما يكسبُ الأقوام على بناتهم ؟ والله مالكَ عندى ، إلا ما لرجلٍ من المسلمين ، وبينى وبينك كتاب الله قال الحسن : فَخصَمَه والله [1] . وكان عبد الله ابن المبارك يقول : «لا يقع موقع الكسب على العيال شىء ولا الجهاد فى سبيل الله عز وجل»[2] .

وقال أبو الأحوص : سمعت سفيان يقول :عليك بعمل الأبطال : الكسب من الحلال ؛ والإنفاق على العيال .

رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 158) ، ورواه أبو نعيم فى «الحلية» (6/ 381) من طريق المصنف نفسه ، قاله محقق كتاب العيال .

وجاء رجل إلى الشبلى – رحمه الله – يشكو إليه كثرة العيال ، فقال : «ارجع إلى بيتك ، فمن ليس رزقه على الله تعالى فاطرده عنك» [3].

ولا بد أن نذكر ثواب إنفاق الزوجة على زوجها وأولادها :

فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ انصرف يوماً من الصبح، فأتى النساء فى المسجد ، فوقف عليهن ، فقال :«يا معشر النساء ، ما رأيتُ من نواقص عقولٍ قَطُّ

---

(1) الزهد والرقائق للإمام عبد الله بن المبارك ، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى – رحمه الله تعالى (ص 375) .

(1) مقدمة كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك ، تحقيق : الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى – رحمه الله .

(2) الرسالة القشيرية ، باب : التوكيل .

ودين أذهبَ بقلوب ذوى الألباب منكنَّ ، وإنى قد رأيتُ أنكنَّ أكثرَ أهل النار يوم القيامة ، فَتَقَرَّبْنَ إلى الله بما اسْتَطَعْتُنَّ» ، وكان فى النساء امرأةُ عبدِ الله بن مسعود فانقلبت إلى عبدِ الله بنِ مسعود ، أين تذهبين بهذا الحلى ؟ قالت : أتقربُ به إلى الله ورسوله ، قال : ويحك ، هلمى ؛ تصدقى به علىَّ وعلى ولدى ، فإنا له موضع ، فقالت : لا ، حتى أذهب إلى رسول الله ﷺ قال : فذهبتْ تستأذن على رسول الله ، فقالوا : يا رسول الله ، هذه زينب ؛ تستأذن ؛ قال : «أى الزيانب هى؟» قالوا : امرأة ابن مسعود ، قال : «ائذنوا لها» فدخلتْ على النبى ﷺ فقالت :يا رسول الله ، إنى سمعت منكَ مقالةً ، فرجعت إلى ابن مسعود ، فحدثتُه ، وأخذتُ حلياً لى ، أتقرب به إلى الله وإليك ، رجاء ألا يجعلنى الله من أهل النار ، فقال لى ابنُ مسعود : تصدقى به علىَّ ، وعلى ابنى ، فإنا له موضع ، فقلت : حتى أستأذن رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «تصدقى به عليه ، وعلى بنيه ، فإنهم له موضع» . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 106) وإسناده صحيح .

وفى رواية : «صدقَ ابن مسعود ، زوجك ، وولدك ، أحق من تصدقت به عليهم» وفى رواية : «نَعم ، لهما أجران : أجر القرابة ،وأجر الصدقة» .

بل إن الأمر ليتعدى الإنفاق فى الحياة الدنيا فقط ، فيتخطاه إلى ترك الورثة أغنياء يستغنون عن الناس بوراثة مال أبيهم وأمهم :

روى أحمد والشيخان عن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال : كنت مع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع ، فمرضتُ مرضاً أشفيت منه على الموت ، فعادنى رسول الله ﷺ ، فقلتُ : يا رسول الله ، إن لى مالاً كثيراً ، وليس يرثنى إلا ابنة لى ، أَفأُوصِى بثلثى مالى؟ قال «لا» ، قلتُ : فثلث مالى ؟ ، قال : «الثلثُ ، والثلثُ كثير ، إنكَ يا سعد أن تَدَعَ وَرَثَتَكَ أغنياء ، خيرٌ لكَ مِنْ أنْ تَدَعَهُم عَالةً يتكفَّفون الناس» .

وإنَّ همَّ الإنفاق ليكفِّر الذنوب والمعاصى :

روى الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة ﷺمرفوعاً : «إن من الذنوب ذنوباً لا يُكفِّرُها الصلاةُ ، ولا الصومُ ، ولا الحَجُّ ، ويُكفِّرُها الهمُّ فى طلب المعيشة» . وفى لفظ : «ويكفرها عَرَقُ الجبين فى طلب المعيشة» .

وللديلمى عن أبى هريرة ﷺمرفوعاً : «إن فى الجنة درجةً لا ينالها إلا أصحاب الهموم» [1] . يعنى : فى طلب المعيشة .

ولأبى سليمان الدارانى : «مَنْ باتَ تَعِبًا من كسب الحلال ، فإن الله عنه راض».

---

(1) انظر: المقاصد الحسنة (ص 218) .

وروى ابن الدنيا عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «من طلب الدنيا حلالاً ، استعطافاً عن المسألة ، وتعطُّفاً على جاره ، وسعياً على عياله ، جاء يوم القيامة ووجهُهُ مثلُ القمر ليلة البدر ، ومن طلب الدنيا حلالاً مُفاخِراً ، مُكاثراً ، مُرَائياً ، لقىَ الله وهو عليه غضبان»[1].

وعندما يكون الزوج بخيلاً شحيحاً ، فقد أجاز النبى ﷺ للزوجة أن تأخذ من مال زوجها من غير إذنه ما تحتاجه ، لضروريات الأسرة ، وليس لكمالياتها ، فالكماليات لا تنتهى ، وهى تدخل فى حب الدنيا وزينتها ؛ فعن عائشة ﷺ أن هندًا أُمَّ معاويةَ جاءت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيانَ رجلٌ شحيحٌ ، وإنه لا يُعطينى ما يَكفينى وَبَنِىَّ ؛ فهل علىَّ جناح أن آخذ من ماله شيئاً ؟ فقال ﷺ : «خُذى من ماله ما يكفيك وبنيكِ بالمعروف» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 707) قال محقق الكتاب : ورواه البخارى ومسلم .

وعن عكرمة أن امرأةً سألت ابن عباس – رضى الله عنهما – فقالت : ما يَحِلُّ لى من بيت زوجى ؟ فذكر الخُبزَ والتمر ، ونحو ذلك ، قالت : فالدراهم ؟ قال ابن عباس : أَتُحِبِّين أن يأخُذَ حُلِيَّكِ ؟ قالت : لا ، قال : فلا تأخذى من دراهمه . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 712) .

وقدحارب القرآن العقول الجاهلية القديمة والحديثة التى تمتنع عن الإنجاب خشية عدم الإنفاق ؛ لأن الرزق لأن من عند الله ، وليس الأب والأم والدولة والأمم التى ترزق، إنما الله هو الرزاق ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء] ، وقوله تعالى :﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام : 151].

ولم يأمر الله ـ تعالى ـ بالإنفاق الكثير بل :﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة] ، وقوله : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق : 7] ، وقوله : ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق : 7] . وبذلك ينسجم اعتقاد المسلم بـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات] ، مع سلوكه العملى اليومى بالإنفاق على أهله وعياله ؛ لأن الله تعالى تكفل برزق الآباء والأبناء على السواء.

---

(1) قال محقق كتاب العيال (1/ 168) : رجاله ثقات ، ومكحول لم يثبت سماعه من أبى هريرة ، فروايته عنه مرسلة ، وشيخ المصنف مستور الحال .

4 – **أهداف الزواج الإسلامى :**

الزواج الإسلامى ليس غاية جنسية بين الزوجين ، وإن كان هذا هـدفاً ثانويـاً ، تلبية لدوافع الجسد ، وإنما له أهداف سامية أهمها :

أ – تكثير عدد المسلمين ، وإدخال السرور على قلب الرسـول ﷺ : فعـن معقـل ابن يسار قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى أصبتُ امرأةً ، ذات حسن وجمال ، وإنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ فقال : «لا» ، ثم أتـاه الثانيـة ، فنهـاه ، ثـم أتـاه الثالثـة ، فقال:«تزوجوا الولود ، فإنى مكاثرٌ بكم الأمم» رواه أبو داود والنسائى .

وروى ابن ماجه عن عائشة – رضى الله عنهـا – قالـت : قـال رسـول الله ﷺ : «النكاح من سنتى ،ومن لم يعمل بسنتى فليس منى ، وتزوجوا ، فـإنى مكـاثر بكـم الأمم يوم القيامة» .

وقال عمر ﷺ : «ما آتى النساءَ لشهوةٍ ، ولولا الولدُ مـا آتـى النسـاء» ، وقـال أيضاً : «إنى لأُكْرِهُ نفسى على الجماع كى تَخْرُجَ منى نَسَمةٌ تُسبح اللهَ تعـالى» . رواهمـا ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 573–571) .

ب – إعفاف النفس ، والتقرب إلى الله ـ تعالى : وذلـك لقولـه ﷺ : «وفى بضـع أحدكم له صدقة» ، قالوا : يا رسول الله ، أيأتى أحدُنا شهوته ويكون له فيها أجـر ؟ قال : «أرأيتم لو وضعها فى حرام ، أكان عليه وِزْر ؟» قالوا : بلى ، قال : «فكـذلك ، لو وضعها فى الحلال كان له فيها أجر» رواه مسلم ، والنسائى ، وأحمد .

جـ ـ إنشاء الجيل المسلم : حيث ينوى عند الجماع طلب الولـد الصـالح ؛ أورد البخارى فى صحيحه – باب من طلب الولـد للجهـاد – عـن أبـى هريـرة ﷺ عـن رسول الله ﷺ قال : «قال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلـة عـلى مائـة امرأة ، أو تسع وتسعين ، كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ، فقال له صـاحبه : قل : إن شاء الله ، فلم يقل : إن شاء الله ، فلم تحمل منهنّ إلا امرأة واحدة، فجـاءت بشق رجل ، والذى نفس محمد بيده ، لو قال : إن شاء الله ، لجاهـدوافى سـبيل الله ، فرساناً أجمعون» .

قال الحافظ ابن حجر فى «الفتح»[1]:«قوله : باب من طلب الولد للجهـاد ، أى : ينوى عند المجامعة حصول الولد ليجاهد فى سبيل الله ، فيحصل لـه بـذلك أجـر ،

---

(1) فتح البارى (7/ 272) .

وإن لم يقع له ذلك» .

وإن من استمرار الذرية الصالحة سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً استمرار الأجر للوالدين : عن عطاء بن أبى رباح قال : قال رسول الله ﷺ : «ما مِنْ عبدٍ مؤمن ترك ذريةٌ مؤمنةً تعبدُ الله وحدَه بعده ، إلا أجرى الله عز وجل على أبيها مِثلَ عملها ، لا يُنْقصُ ذلك من عملها شيئاً» .رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (2/ 611) قال محققه : حديث مرسل ، إسناده حسن .

فالذرية المؤمنة هى الادخار الحقيقى للإنسان فى الدنيا والآخرة : روى مسلم وأحمد وابن أبى الدنيا عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : «إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملُهُ إلا من ثلاثة : من صدقة جارية ، أو عِلْمٍ يُنتفع به ، أو وَلَدٍ صالحٍ يدعو له» .

وقد عقدت مؤتمرات دولية لتحديد النسل ؛ بحجة مشكلة الإسكان ، وإذا تأملنا فى واقع المسلمين بين أعدادهم والمساحات التى يسكنونها ، لرأينا أن نصيب الفرد المسلم كبير جداً من المساحة ، فالانفجار السكانى إنما هو فى عالم الغرب ، نتيجة الإنجاب غير الشرعى ، واللامسؤول ، أما فى الإسلام فالأمر يختلف ؛ لأن الهدف الذرية الصالحة ، والإنجاب الشرعى ، وتحمل مسؤولية الأسرة ، والعمل والتوكل على الله فى جلب الرزق من باطن الأرض وظاهرها ، فليس لتلك الدعوات أى مجال لتتسرب إلى المسلمين لا من ناحية الشرع ، ولا من ناحية العقل . ولله الحمد والمنة .

ويقول أبو الحسن الماوردى مؤكداً هذا المعنى عند الجماع : «وأن ينوى فى ذلك كله نية الولد ، وأن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وينوى فى الولد : أن الله لعله يرزقه من يعبد الله ويوحده ، ويجرى على يديه صلاح الخلق ، وإقامة الحق ، وتأييد الصدق ، ومنفعة العباد ، وعمارة البلاد» [1] .

د – استمرار ذرية الإنسان : روى الطبرانى عن أبى حفصة – رضى الله عنهما – أن النبى ﷺ قال : «لا يدع أحدكم طلب الولد ، فإن الرجل إذا مات وليس له ولد انقطع اسمه»[2] .

ومن الملاحظة فى العصر الحديث أن الكفار من غرب وشرق ، وأذنابهم فى بلاد المسلمين، يُروجون فكرة تحديد النسل بين المسلمين ، وفى الوقت نفسه يشجعون الكفار على الإنجاب ، وذلك لكى يقل عدد المسلمين ، ويزداد عدد الكفار .

---

(1) كتاب نصيحة الملوك للماوردى، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر (ص 66) .
(2) انظر : كنز العمال (16/ 281) . وإسناده حسن ، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (4/ 258) .

ولهذا حضّ النبى ﷺ على الإنجاب ليكون عزاً للمسلمين ، وقوة لهم : فعن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : «ما ولد فى أهل بيت غـلام ، إلا أصبح فيهم عِزّ لم يكن» . رواه الطبرانى فى الأوسط[1] .

وإن الرسول ﷺ ليباشر الزواج والإنجـاب عمليـاً ؛ ليكـون لـه عَقِـبٌ إلى يـوم القيامة، تلتف الأمة المسلمة حول أولاده ، وليكون برهاناً عملياً أن الإنجـاب سـنة الأنبياء والمرسلين ، وليكون تأكيداً على وجوده بآثاره .

قال ابن إسحاق : فولـدت (أى خديجـة رضى الله عنهـا) لرسـول الله ﷺ ولـدَه كلَّهم إلا إبراهيم : القاسمَ ، وبه كان يُكنى ﷺ والطاهرَ والطيبَ ، وزينبَ ، ورُقيَّـةَ ، وأُمَّ كلثومٍ ، وفاطمةَ ، عليهم السلام . قال ابـن هشـام : أكـبرُ بنيـه : القاسـمُ ، ثـم الطيب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته: رُقيةُ ثم زينبُ ، ثم أُمُّ كلثومٍ ، ثم فاطمة [2].

وروى ابن سعد (1/ 133) عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : كـان أول من وُلد لرسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة القاسمُ وبه كانُ يكنى ، ثم وُلِدَ له زينبُ ، ثم رُقيَّةُ ثم فاطمة ، ثم أم كلثوم ، ثم ولـد لـه فى الإسـلام عبـدُ الله ، فسُـمّى الطيـبُ ، والطاهرُ ، وأمُّهم جميعاً خديجةُ بنتُ خُويلد .

5 – صفات المربى الناجح :

هناك صفات أساسية ، كلـما اقـترب منهـا المربـى كانـت لـه عَوْنـاً فى العمليـة التربوية، والكمال البشرى هو للرسل – عليهم الصلاة والسلام – ولكـن الإنسـان يسعى بكل جهده ، وبقدر المستطاع ،يراقب فيها نفسه بنفسه ، وذلـك للتوصـل إلى الأخلاق الطيبة ، والصفات الحميدة ؛ وخاصة أنه فى مركز القدوة التربوية ، فينظـر إليه الجيل الجديد على أنه مربيه وموجهه ، وإليك أهم الصـفات التـى يسـعى إليهـا المربى – وفقنى الله وإياك إليها :

أ – الحِلْمُ والأناة : أخرج مسلم عن ابن عباس – رضى الله عنهما ـ قـال : قـال رسول الله ﷺ لأشجّ عبد القيس : «إن فيك خَصلتين يحبهما الله : الحِلْمُ والأناة» .

وهذه قصة لطيفة ، تبين أهمية الحلم والأناة فى بناء أخلاق الجيل الجديـد . قـال عبد الله بن طاهر : «كنتُ عند المأمون يوماً ، فنادى الخادم : ياغلام ، فلم يُجبه أحـد، ثم نادى ثانياً وصاح : يا غلام ، فدخل غلام تركى ، وهو يقول : أما ينبغـى للغـلام

---

(3) قال الهيثمى فى المجمع (8/ 155) : وفيه هاشم بن صالح ذكره ابن أبى حاتم ، ولم يجرحه ، ولم يوثقه ، وبقية رجاله وثقوا .

(3) انظر : الجامع فى السيرة النبوية ، تأليف سمير زايد (1/ 206) ، ففيه تفصيلات أخرى .

أن يأكل ويشرب ؟ كلما خرجنا من عندك ، تصيح : ياغلام ، ياغلام ، إلى كم ياغلام! فنكس المأمون رأسه طويلاً ، فما شككت فى أن يأمرنى بضرب عنقه ، ثم نظر إلىَّ فقال : ياعبد الله ، إن الرجل إذا حسَّن أخلاقه ، ساءت أخلاق خَدمه ؛ وإنا لا نستطيع أن نُسِيء أخلاقنا ، لنحسِّن أخلاق خدمنا» [1].

ب - **الرفق والبعد عن العنف** : أخرج مسلم عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ : «إن الله رفيق ، يحب الرِّفْقَ ، ويعطى على الرِّفْق ما لا يُعطى على العُنْفِ ، وما لا يعطى على ما سواه» . وعنها أن النبى ﷺ قال : «إن الله رفيق ، يحب الرفق فى الأمر كله» متفق عليه .وعنها أيضاً أن النبى ﷺ قال : «إن الرفق لا يكون فى شيء إلا زانَه ولا يُنزع من شيء إلا شانه» . رواه مسلم .

وأخرج مسلم عن جرير بن عبد الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من يُحرم الرِّفْقَ ؛ يُحْرَم الخير كله» .

وروى أحمد عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال لها : «يا عائشة ، ارفقى ، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دَلَّهم على الرِّفْقِ» . وفى رواية : «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً ، أدخل عليهم الرفق» .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : كنا نصلى مع رسول الله ﷺ العشاء ، فكان يصلى ، فإذا سجدت وثبَ الحسنُ والحسينُ على ظهره ، وإذا رفعَ رأسَه أخذهما ، فوضعهما وضعاً رفيقاً ، فإذا عاد عادا ، فلما صلى جعل واحداً ها هنا وواحداً ها هنا ، فجئْتُه ، فقلتُ : يا رسول الله ، ألا أذهبُ بهما إلى أمهما ؟ قال «لا» ، فبرقت برقة فقال : «الحقا بأمكما» فما زالا يمشيان فى ضوئها حتى دخلا .رواه الحاكم فى مستدركه (3/ 167) وقال : صحيح الإسناد ؛ ولم يخرجاه ، وقال الذهبى : صحيح .

وروى أبو هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «عَلِّموا ولا تُعنِّفوا ، فإن المُعَلِّمَ خيرٌ من المُعَنِّف » رواها ابن عدى والبيهقى فى شعب الإيمان ورمز السيوطى لضعفه [2].

وإليك عزيزى القارئ : هذه القصة البديعة فى موعظتها ، لنرى تعامل السلف الصالح وحلمهم :

روى أن غلاماً لزين العابدين كان يصبّ له الماء بإبريق مصنوع من خزف ، فوقع الإبريق على رجل زين العابدين ، فانكسر ، وجرحت رجله ، فقال الغلامُ على الفور : يا سيدى ، يقول الله تعالى : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [آل عمران : 134] فقال زين العابدين :

---

(1) تربية الأولاد فى الإسلام للشيخ عبد الله علوان - رحمه الله - (2/ 285) .
(1) انظر : الجامع الصغير 3/ 328 .

لقد كظمتُ غيظى ، ويقول : ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران : 134] فقال : لقد عفوتُ عنك ، ويقول :﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران]، فقال زين العابدين: أنت حرٌّ لوجه الله[1].

جـ ـ القلب الرحيم : عن أبى سليمان مالك بن الحويرث ﷺ قال : أتينا رسول اللهﷺ ونحن شبَبَةٌ متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً ، فظن أنا قد اشتقنا أهلنا ؛ فسألنا عمن تركنا من أهلنا ، فأخبرناه ، فقال : «ارجعوا إلى أهلكم ، فأقيموا فيهم ، وعلِّموهم ، وبرُّوهم ، وَصَلّوا كذا فى حين كذا، وصلوا كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة ، فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكبركم» . متفق عليه .

وروى البزار عن ابن عمر – رضى الله عنهما – عن النبى ﷺ قال : «إن لكل شجرة ثمرة ، وثمرة القلب الولد ، إن الله لا يرحم من لا يرحم ولده ؛ والذى نفسى بيده ، لا يدخل الجنة إلا رحيم» . قلنا : يا رسول الله ، كلنا يرحم ، قال : «ليس رحمته أن يرحم أحدكم صاحبه ، وإنما الرحمة أن يرحم الناس» .

وعن أبى أمامة ﷺ قال : أَبْصَر ـ النبىُّ ﷺ امرأةً معها صبيتان ؛ قد حملت إحداهما وهى تقود الأخرى ، فقال رسول الله ﷺ : «والدتٌ حاملاتٌ رحيمات ، لولا ما يأتين إلى أزواجهن لدخل مُصلِّياتهن الجنة» . رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 173) وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، وقد أعضله شعبة عن الأعمش .

وعن أبى أمامة ﷺ أن امرأة أتت النبى ﷺ ومعها ولدان ، فأعطاها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدمنهما تمرة تمرة ، ثم إن أحد الصبيين بكى ، فشققتها ، فأعطت كل واحد منهما النصف ، فقال رسول الله ﷺ : «والدتٌ ، حاملات ، رحيمات بأولادهن ، لولا ما يصنعن بأزواجهن دخل مصلِّياتهن الجنة» . رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 174) وسكت عنه .

د – أخذ أيسر الأمرين ما لم يكن إثماً : عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : «ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط ، إلا أخذ أيسرهما ، ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه من شىء قط ، إلا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم الله تعالى» . متفق عليه .

---

(2) تربية الأولاد فى الإسلام للشيخ عبد الله علوان – رحمه الله – (2/ 285) .

هـ – **الليونة والمرونة** : وهنا يجدر بنا فهم الليونة بمعناها الواسع ، وهى : قدرة فهم الآخرين بشكل متكامل ، لا بمنظار ضيق ، وليس معناها : الضعف ، والهوان، وإنما التيسير الذى أباحه الشرع . فعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ:«ألا أُخبركم بمن يحرم على النار ، أو بمن تحرم عليه النار ؟ تحرم على كل قريب هيّن لـيّن سهل» . رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن [1] .

و – **الابتعادُ عن الغضب** : إنّ الغضب والعصبية الجنونية من الصفات السلبية فى العملية التربوية ، بل كذلك من الناحية الاجتماعية . فإذا ملك الانسان غضبه، وكظم غيظه، كان ذلك فلاحاً له ولأولاده ، والعكس بالعكس .

وقد حَذّر منه النبى ﷺ الرجلَ الذى سأله وصية خاصة له ، فكان جوابه فى المرات الثلاث : «لا تغضب» رواه البخارى عن أبى هريرة .

كذلك اعتبر ﷺ الشجاعة هى القدرة على عدم الغضب ؛ فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «ليس الشديد بالصُّرَعَة ، إنما الشديدُ الذى يملك نفسه عند الغضب» . متفق عليه .

ومما يروى أن زين العابدين بن الحسن – رضى الله عنهما – استدعى غلاماً له ، وناداه مرتين ، فلم يُجبه ، فقال له زين العابدين : أما سمعتَ ندائى ؟ فقال : بلى ، قد سمعته ، قال : فما حملك على ترك إجابتى ؟ قال : أمنتُ منكَ ، وعرفتُ طهارةَ أخلاقِك فتكاسلتُ، فقال : الحمد لله الذى أَمِنَ منى غلامى[2].

ز – **الاعتدالُ والتوسط** : إن التطرف صفة ذميمة فى كل الأمور ؛ لهذا نجد أن رسول الله ﷺ يحب الاعتدال فى عمود الدين ، فما بالك فى باقى الأمور الحياتية الأخرى ، والتى أهمها العملية التربوية ؟

فعن أبى مسعود عقبة بن عمرو البدرى ﷺ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى لأتاخر عن صلاة الصبح ، من أجل فلان ؛ مما يُطيل بنا ، فما رأيت النبى ﷺ غضب فى موعظة قط ، أشد مما غضب يومئذٍ . فقال : «يا أيها الناس ، إن منكم مُنفرين ، فأيكم أمّ الناس فليوجز ، فإن من ورائه الكبير ، والصغير ، وذا الحاجة» . متفق عليه .

ح – **التخولُ بالموعظة الحسنة**: إن كثرة الكلام فى كثير من الأحيان لا تؤتى

---

(1) ورواه ابن حبان والخرائطى وأحمد والطبرانى . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (938) .
(1) تربية الأولاد (2/ 352) .

أكلها ، فى حين نجد أن التخول بالموعظة الحسنة تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ؛ لذلك نصح الإمام أبو حنيفة ﷺ تلاميذه بقوله [1]: «لا تُحدث فقهكَ من لا يشتيه».

كما أن الصحابة أدركوا هذا من فعل النبى ﷺ ، فعن أبى وائل شقيق بن سلمة قال : كان ابن مسعود ﷺ يُذكرنا فى كل خميس مرة ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، لوددتُ أنك ذكرتنا كلَّ يوم فقال : أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملّكم ، وإنى أتخولكم بالموعظة ؛ كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا أى : يتعهدنا بها ؛ مخافة السآمة علينا» . متفق عليه .

6 – بشرى سارة للوالدين فى بركة الأولاد عليهم :

أخرج مسلم عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» .

وروى ابن أبى حاتم[2] عن أبى الدرداء ﷺ قال : «ذَكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادةَ فى العمر ، فقال : «إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة فى العمر: أن يرزق الله العبد ذرية صالحة ، يدعون له ، فيلحقه دعاؤهم فى قبره» [3].

وروى البخارى فى الأدب المفرد ، عن أبى هريرة ﷺ قال : «تُرفع للميت بعد موته درجته فيقول : أىّ ربى ، أى شىء هذا ؟ فيقول له : ولدكَ استغفرَ لكَ»[4].

وروى أبو يعلى عن أنس ﷺ مرفوعاً : «المولود حتى يبلغ الحِنْث ، ما عمل من حسنة كتبت لوالده أو لوالديه ، وما عمل من سيئة لم تُكتب عليه ولا على والديه»[5].

7 – الأولاد زينة الحياة الدنيا وفتنتها :

الأبناء هبة الله للإنسان ، تسر الفؤاد مشاهدتهم ، وتقرّ العين رؤيتهم ، وتبتهج النفس بمحادثتهم ، فهم زهرة الحياة الدنيا ، وهذا ما أكدته الآيات الكريمة :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران : 14] ،﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ

---

(2) مقدمة حاشية ابن عابدين .

(1) ذكره ابن كثير فى التفسير (4/ 373 و2/ 573) .

(2) رواه الحكيم . انظر : كنز العمال (16/ 281) .

(3) ورواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه ضعفاء قد وثقوا ، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (10/ 210) بألفاظ متقاربة .

(4) انظر الفتح الربانى فى ترتيب مسند الإمام أحمد للشيخ البنا الساعاتى(7/ 51) .

ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف] ، ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ ﴾ [الحديد : 20]

لهذا نجد الكفار انخدعوا بهذه الزينة ، فبدؤوا يتفاخرون بالأولاد ؛ إذ لديهم حاشية تمنعهم ، وظنوا أن الإله راض عليهم ؛ لأنه أعطاهم هذه الكثرة من الأولاد، واستَعْلوا بها على المؤمنين ، فإذا بالآيات تلاحقهم ؛ وتطاردهم ، على هذه الأفكار البالية ، والتفاخر الجاهلي ، وتقرر للمؤمنين أن هذه الكثرة لن تنفعهم ، ولن تغني من الله شيئاً :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [آل عمران] ، ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة] ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [التوبة] ،﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون] ،﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ].

وقد جاءت الخطابات القرآنية تحذر الإنسان فتنة الأولاد ،من أن يطغى حبهم إلى درجة انتهاك الأوامر الربانية ،وأن يكونوا سبباً لمقت الله وغضبه ؛ لهذا كانت الآيات تقرر: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنفال] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ ﴾ [التغابن] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان] .

أما التهديد والوعيد لمن قدم حب ولده على شرع الله تعالى ، فكان بالشكل التالي :

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة] .

ولكن ما هى الوسيلة عندما يختار الابن طريقاً بعيداً عن الإيمان ، ويسلك سلوك الفجار الفساق – أعاذنا الله من هؤلاء الأبناء – إنها المفاصلة الجسدية ، والشعورية ، والنفسية : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة] .

وتستمر دعوة الوالدين لولدهما بالإيمان ، رغم أَنفته عليهما ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف]

ويتابع الوالدان دعوة ولديهما حتى الرمق الأخير ، كما فعل سيدنا نوح – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – مع ولده ، فى أشد الساعات حرجاً ساعة إنزال الله تعالى العقوبة بقومه ، ساعة الغرق :

﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود] .

وبعد أن هدأت المياه ، وغرق الكفار ، وقف سيدنا نوح يدعو الله ـ تعالى :﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود] .

وفى ذلك حكم كثيرة: منها استمرار طلب الولد الصالح من الله تعالى ، وتعليم للأب بمفاصلة ولده على أساس العقيدة ، اللهم ارزقنا أولادًا صالحين برحمتك ياأرحم الراحمين.

ومما يكفِّر فتنة الولد : الصيام ، والصلاة ، والصدقة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . كما ورد فى الحديث : أخرج الشيخان والترمذى عن حذيفة فى حديث طويل قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : «فتنة الرجل فى أهله ، وماله ، ونفسه ، وجاره يكفِّرها : الصيام، والصلاة ، والصدقة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر» .

رزقنا الله جميعاً الولد الصالح الذى يُعيننا على طاعة الله ، ويذكِّرنا إن نسينا ، وينصحنا إن ابتعدنا .

8 – صراع الشيطان مع الإنسان على الذرية :

ثم إن هناك صراعاً بين الإنسان والشيطان على الذرية والأولاد ، فالشيطان أقسم أن يسعى لإبعاد الذرية عن منهج الله ، ويصرفهم عن طاعته ، وهذا ما أخبرنا به سبحانه وتعالى ؛ لنكون على بينة من أمرنا ، فننتبه لذلك ، وقد خصص الله تعالى لنا فترة الطفولة البريئة ، لنكسبها جولة قبل الشيطان ، فإذا ما خسرها الوالدان فإن جولة أساسية قوية قد فاتتهما ، فهما بحاجة إلى جهد أكثر ، وعمل أكبر فى المستقبل ، لإصلاح ولدهما :﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء] .

وأخرج الإمام مسلم عن عياض بن حمار ، أن رسول الله ﷺ قال : «قال الله تعالى :إنى خلقْتُ عِبادى حُنفاء ، فجاءَت الشياطينُ فاجْتالتهم» .

وأمام ظاهرة الأبوة والأمومة ، نلاحظ صنفاً من الناس قد امتحنهم الله بفقدان هذه النعمة ، واختبرهم بحرمانها ؛ لحكمةيقتضيها سبحانه ، ولكى تبقى القلوب موجهة إليه ، تجأر إليه بالدعاء فى طلب الولد ، وخاصة الولد الصالح : ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى] .

ولكن المجتمع الجاهلى كان يعالج هذه المشكلة بعملية تعويضية ، وذلك بتبنى أولاد غير أولادهم ، فيربونهم ، وينسبونهم لأنفسهم ، وقد جاءت الآياتُ بإبطال هذه الأفكار ، وإعادة الأمور إلى نصابها ، ونسبة الابن لأبيه الحقيقى :﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ

فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥﴾

[الأحزاب]

9 – صلاح الوالدين ، وأثره على الأبناء :

إن لصلاح الوالدين – وهما القدوة الحسنة للطفل الناشئ – أثراً كبيراً على نفس الطفل ، فبالإضافة إلى تقواهم لله ، واتباعهم لمنهجه ؛ مع شيء من الجهد ، والتعاون بينهما، ينشأ الطفل على الطاعة والانقياد لله ؛ وهذا ما أكدته الآيةالكريمة : ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ﴾ [آل عمران: 34] ، ولكن قد نلاحظ خروجاً عن هذه القاعدة ؛ لحكمةٍ يعلمها الله سبحانه ، ولتبقى القلوب حذرة يقظة متنبهة ،تتضرع إليه بطلب الولد الصالح .

وقد نفع صلاح الآباء الذرية والأولاد ؛ فهذا سيدنا الخضر[1] عليه السلام يبنى جداراً متبرعاً ، فيسأله سيدنا موسى عليه السلام عن سبب عدم أخذ الأجر ، فكان جوابه: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا ﴾[2] [الكهف :82] .

وأكده الحديث النبوى كذلك : فعن محمد بن المنكدر قال : قال رسول الله ﷺ:«إن الله عز وجل ليحفظُ المرءَ المسلمَ من بعده فى ولده ، وولد ولده ، وفى داره، والدويرات حوله» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 538) . وقال محققه : حديث مرسل ، رجاله رجال الصحيح .

وحتى إن الملائكة لتدعو للمؤمن ووالديه وذريته:﴿ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غافر] .

فإذا ما نشأت الذرية على الطاعة لله ، والدعوة لدينه ، كان اللقاء بينهم فى جنات الخلد، كما أخبر به سبحانه ، فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾﴾ [الطور] . ولهذا قال أحد الصالحين : «يا بنى ، إنى لأستكثر من الصلاة لأجلك» .

وإن سهلًا التسترى يتعهد ولده ، وهو فى صلبه ، فيباشر العمل الصالح ، رجاء

---

(1) كما فى صحيح البخارى :أن اسمه الخضر .

(2) روى ابن كثير أن الجد السابع كان صالحاً ، فنفع الله به الحفيد . وقال الفخر الرازى فى تفسيره (21/ 162) معلقاً على الآية : «هذا يدل على أن صلاح الأباء يفيد العناية باحوال الأبناء» . ثم قال : «ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما إضافة إلى الله تعالى ؛ لأن المتكفل بمصالح الأبناءلرعاية حق الآباء ليس إلا الله سبحانه وتعالى» .

أن يكرمه الله تعالى بالولد الصالح ، فيقول : «إنى لأعهد الميثاق ؛ الذى أخذه الله تعالى علىّ ، فى عالَم الذَّرّ ، وإنى لأرعى أولادى من هذا الوقت ، إلى أن يخرجهم الله تعالى إلى عالم الشهود والظهور»[1] .

وهذا دليل على حرص السلف الصالح على الولد الصالح ، رزقنى الله وإياك ذرية صالحة – إنه سميع مجيب .

وروى البيهقى فى كتاب الاعتقاد [2] بسنده إلى ابن عباس : أنه لما نزل ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم] أنزل الله تعالى بعد هذا : ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور :21] قال : يعنى بإيمان ، فأدخل الله عز وجل الأبناء بصلاح الآباء الجنة .

وفى رواية : «أَلْحَقْنَا بهم ذريتهم» قال ابن العباس : الله ـ عز وجل ـ يرفع ذرية المؤمن معه فى درجاته ؛ فى الجنة ، وإن كانوا دونه فى العمل ؛ ثم قرأ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الطور:21]. يقول : وما نقصناهم .

وروى ابن شاهين [3] أن الحارثة بن النعمان ﷺ أتى النبى ﷺ وهو يُناجى رجلاً، فجلس ولم يسلم . فقال جبرائيل : وأما إنه سلَّم لرددنا عليه ؟فقال لجبرائيل : «وهل تعرفه ؟» فقال : نعم ، هذا من الثمانين الذين صبروا يوم حنين ، رزقهم ، ورزق أولادهم على الجنة فى الجنة .

وقال سعيد بن المسيب : إنى لأُصلى فأذكر ولدى ، فأزيدُ فى صلاتى ، وقد روى أن الله يحفظ الصالح فى سبع من ذريته ، وعلى هذا يدل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [الأعراف] قاله القرطبى[4] .

وأما الحافظ ابن الجوزى – رحمه الله – الذى لم يصنف أحد مثلما صنف ، فيقول عن نفسه : «فإنى لما عَزَمْتُ شرف النكاح ، وطلب الأولاد ، ختمت ختمة (أى : قرأ القرآن كله) ، وسألت الله تعالى أن يرزقنى عشرة أولاد ، فرزقنيهم»[5] .

وقال ابن عباس – رضى الله عنهما : « إن المعروف ليُجْزَى به ولد الولد»[6].

---

(1) حاشية ابن عابدين (1/ 53، ط2) .
(2) كتاب الاعتقاد للحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ، المتوفى سنة (458هـ) ص (74 – 75) .
(3) ذكره ابن حجر فى الإصابة (1/ 312) .
(1) انظر : حسن الأسوة ، رقم (94) .
(2) لفتة الكبد فى نصيحة الولد لابن الجوزى (ص 21) .
(3) رواه الخرائطى فى : مكارم الأخلاق انظر : المنتقى له (ص 37) .

10 – **الزواج والمصاهرة :**

نعمة الزواج نعمة ربانية للإنسان ، وهو سُنَّة الرسل أجمعين ، جعله الله سُنَّة لاستمرار الحياة البشرية ، بالتزاوج بين الذكر والأنثى ، وهذا الاتصال يتجلى فيه قَدَرُ الله أن جمع الزوجين ، ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل] ، ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗ ﴾ [الرعد : 38] .

وقد وجه الله تعالى الإنسان إلى التفكر فى ظاهرة الزواج هذه ، والتأمل فيها، وهى آية من آياته فى الأرض ، لها عظمتها ، ولها سلطانها على النفس ، بالتوجه إليه سبحانه ، فى طلب العون منه ، والإيمان والتصديق بمنهجه : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم] .

وهذه المصاهرة العجيبة التى قدرها الله بين البشر ، ووجهها بعنايته ، ورعاها برعايته : يغذيها بالمودة والرحمة والسكن : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الفرقان] .

11 – **الدعاء عند الجماع رجاء الولد الصالح :**

روى عبد الرزاق بإسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «لو أن أحدهم إذا أتى أهله قال : باسم الله ، اللهم جَنِّبْنَا الشيطان ، وَجَنِّب الشيطانَ ما رُزِقْنَا ، فيولد بينهما ولد ، فلا يصيبه الشيطان أبداً» وأخرجه الشيخان .

وفى رواية : «لو أن أحدهم إذا جامع قال : اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رُزِقْنَا ، فَقُضِى بينهما ولد لم يضره الشيطان إن شاء الله» .

وروى عبد الرزاق عن الحسن قال : إذا أتى الرجل أهله فليقل : «باسم الله ، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا ، ولا تجعل للشيطان نصيباً فيما رزقتنا ، قال : فكان يُرجى إن حملت ، أو طلقت أن يكون ولداً صالحاً» .

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى الشافعى فى كتابه «فتح العلام» ص (532) معلقاً على الحديث :

«وفيه سنّ التسمية والدعاء المذكور عند إرادة الجماع ، وأنه إذا قال ذلك وقدِّرَ بينهما ولدٌ ، لم يضرّه الشيطان ، بل يُحفظ مِنْ إضلاله، وإغوائه ، وإن طعنه ، فلا

يُنافيه خبر «كل مولود يطعنُ الشيطانُ فى خاصرته إلا ابن مريم فإنه جاء ليطعن فطعن فى الحجاب»[1] ، فالطعن لا يلزم منه الضرر ، بدليل أنه قد طعن كثير من الأولياء والأنبياء ، ولم يضرهما ذلك ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر] ، وكذا لا يلزم من وسوسته له ضرره ، و(لو) فيه للشرط وجوابها : لسلم من الشيطان ، بقرينة قوله : «فإنه ...» إلخ ، وجوّز بعضهم أن تكون للتمنى ، والمعنى : أنه ﷺ تمنى لهم هذا النوع من أنواع الخير يقولونه ليحصل لهم السعادة الأبدية ، وإذا ظرف لقال» .

وأما الاجتهاد فى الحصول على صبى أوبنت ، فقد أرشدت الأحاديث النبوية لكيفية حصول ذلك بإذن الله ـ تعالى ـ مع مراعاة بعض الأسباب[2] :

وروى البخارى عن أنس رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام بلغَه مَقْدمُ النبىِّ ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء ... وما بال الولد ينزعُ إلى أبيه أو أمه ؟ فأجاب الرسول ﷺ : «وأما الولَدُ فإذا سَبَقَ ماءُ الرجلِ ماءَ المرأة نَزَعَ الولدُ ، وإذا سَبَقَ ماءُ المرأة ماء الرجل نزعت الولد ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسولُ الله ... الحديث» . ورواه الإمام أحمد .

وروى مسلم عن عائشة – رضى الله عنها – أن امرأةً قالت لرسول الله ﷺ : هل تغْتسلُ المرأةُ إذا احتلمت وأبصرت الماء ؟ فقال : «نعم» ، فقالت لها عائشة تَرَبتْ يداكِ وألّت ،قالت:فقال رسول الله ﷺ :«دعيها وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك، إذا علا ماؤها ماءَ الرجل أشبه الولدُ أخواله ، وإذا علا ماءُ الرجل ماءها : أشبه أعمامَه» . رواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد ومالك والدارمى .

وروى مسلم عن ثوبان أن حبراً من أحبار اليهود جاء يسأل النبى ﷺ ... قال : جئتُ أسألك عن الولد ؟ قال : ماءُ الرجل أبيضُ وماء المرأة أصفرُ ، فإذا اجتمعا ، فعلا مَنِىُّ الرجل المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا مَنِىُّ المرأةِ مَنِىَّ الرجل آنثا بإذن الله ، قال اليهودى : لقد صدقتَ وإنك لنبى» .

وروى النسائى عن أنس – رضي الله عنه– قال : قال رسول الله ﷺ :«ماءُ الرجل غليظٌ أبيض ، وماء المرأة رقيق أصفر ، فأيهما سَبَقَ كان الشَّبَهُ» ، وفى رواية ابن ماجه: «فأيهما سَبَقَ أو علا أشبَهَهُ الولدُ» . وفى رواية أحمد : «فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة

---

[1] الخبر رواه البخارى ومسلم .

[2] الاجتهاد فى طلب الصبى أو البنت ، مثل الاجتهاد فى طلب الرزق ، فقد سعى كثيراً ويرزق قليلاً ، فالاجتهاد فى الطلب جائز ، والباقى على الله ـ تعالى ـ فى تحقيق كل المراد أونصفه أو ثلثه أولا ، والله أعلم.

نَزَعَ إليه الولد ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزع إليها» . وفى رواية لأحمد أيضاً : «إذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة ذهب بالشبه ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل ذهبت بالشبه» .

قال الإمام القرطبى فى (المفهم) 1/ 572 : «وقد بنى القاضى أبو بكر بن العربى على اختلاف هذه الأحاديث بناءً ، فقال : إن للماءين أربعة أحوال :

الأول : يخرجَ ماءُ الرجل أولًا .

والثانى : أن يخرجَ ماءُ المرأة أولًا .

والثالث : أن يخرجَ ماءُ الرجلِ أولًا، ويكون أكثر .

والرابع : أم يحرج ماءُ المرأة أولًا، ويكون أكثر .

ويتم التقسيم :

– بأن يكون ماءُ الرجل أولًا، ثم يخرج ماء المرأة بعده ، فيكون أكثر ، أو بالعكس .

– وبالعكس فإذا خرج ماء الرجل أولًا، وكان أكثر ، جاء الولد ذكرًا، بحكم السبق ، وأشبه الولد أعمامه بحكم الكثرة .

– وإن خرج ماءُ المرأة أولًا، وكان أكثر ، جاء الولد أنثى ، بحكم السبق ، وأشبه أخواله بحكم الغلبة .

– وإن خرج ماء الرجل أولًا، لكن لما خرج ماء المرأة بعده كان أكثر ، كان الولد ذكراً بحكم السبق ، وأشبه أخواله بحكم غلبة ماء المرأة .

– وإن سبق ماءُ المرأة ، لكن لما خرج ماء الرجل ، وكان أعلى من ماء المرأة ، كان الولدُ أنثى بحكم سبق ماء المرأة ، وأشبه أعمامه بحكم غلبة ماء الرجل .

وقال – أى ابن العربى :«وبانتظام هذه الأقسام ،يستتب الكلام ، ويرتفع التعارض عن هذه الأحاديث .» انتهى .

فيتضح أن سبق الماء يحدد الذكورة أو الأنوثة ، وأن كثرة الماء تحدد الشبه بالأعمام أو الأخوال .

فدلت الأحاديث على تعليم النبى ﷺ أصحابه طريقة إنجاب الصبى والبنت مع الاعتقاد الجازم بأن ذلك يتم بإذن الله تعالى ، فالاجتهاد فى الحصول على الصبى أو البنت جائز شريطة الاعتقاد بأنه يتم بإذن الله تعالى فى كل مراحله والله أعلم .

12 – الطفل لم يك شيئًا:

بعد أن تتم عملية الزواج يتوجّه الزوجان ويطلبان من الله تعالى النسل الطيب ، وأن يمنّ عليهم بالذرية الصالحة ، وكلما تأخرت هذه النعمة ازداد الزوجان طلبًا وإلحاحًا على الله ، وهنا يتذكر الإنسان آية من كتاب الله تذكره أنه لم يك شيئًا، وأن الذى أتى به إلى هذا العالم هو الله،فحق على الإنسان أن يقدم العبودية لمن أوجده : ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ ﴾ [الإنسان] .

13 – الطفل نطفة :

وجهت الآيات الإنسان للتفكير فى أصله ، وفى المواد المركب منها ؛ ليتعرف على نعمة الله عليه ، فلا يتكبر ، ولا يتعجرف ، ولا يستكبر ، ولا يستنكف عن عبادة الله:﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧ ﴾ [الطارق] ، ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ﴾ [عبس] ، ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٥٩ ﴾ [الواقعة] ، ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ ﴾ [الإنسان] .

14 – لمحة عن التصوير فى الأرحام ، وتطوير الجنين :

بعد أن يتم التلاحم بين الماء من صلب الرجل ومن ترائب المرأة ، تبدأ عملية تشكيل الجنين الأولى ، والله تعالى يحدد ذكرًا أم أنثى ، وتبدأ معها عملية التصوير : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦ ﴾ [آل عمران] ،﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤ ﴾ [لقمان] ،﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ﴾ [الحج] ، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ

يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [فاطر] ،﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر :6] .

وهنا تبدأ عملية الحمل ، ورعاية الله للجنين الجديد ، أما نفسية الأم الحاملة تتأثر وتعانى من آلام لم تجدها من قبل ، وهذا صورته الآية : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ﴾ [الأحقاف :15] . أما أقل الحمل فهى ستة أشهر ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف :15] . فالحمل والرضاع يساوى ثلاثين شهراً . وبما أن الرضاع سنتان ، فتبقى فترة الحمل ستة أشهر . وهذا ما أفتى به على – كرم الله وجهه – أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنهما .

وقد جمع هذا التطور الجنينى حديث البخارى ومسلم عن ابن مسعود ﷺ قال:حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق :«إن أحدكم يُجمع خَلْقُهُ فى بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقةمثل ذلك ، ثم يكون مضغةً مثل ذلك ، ثم يُرْسَلُ الملك ، فَينْفُخ فيه الروح ، ويُؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد».

أما كيفية توزيع خلقة الطفل ووراثته من أبيه وأمه ، فقد روى الإمام أحمد بسند حسن عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : مَرْ رجل يهودى برسول الله ﷺ وهو يُحدِّثُ أصحابَه ، فقالت قريشٌ : يا يهودى ، إن هذا يَزْعُمُ أنه نبىٌ ، فقال : لأسألنَّهُ عن شىء لا يعلمَهُ إلا نبى . قال : فجاء ، حتى جلس ؛ ثم قال : يا محمد ، مِمَّ يُخلقُ الإنسانُ ؟ قال : «يا يهوديُّ من كُلٍّ يُخلَقُ : من نُطفةٍ الرجل ، ومن نُطفةِ المرأة ، فأما نُطفةُ الرجل فنطفة غليظةٌ منها العَظْمُ والعَصَبُ وأما نُطفةُ المرأةِ : فنُطفةٌ رقيقةٌ : منها اللحمُ والدم» فقام اليهوديُ فقال : هكذا كان يقولُ من قَبْلَكَ .

وروى الإمام أحمد بسند صحيح عن وأم سلمة أم سُلَيم – رضى الله عنهما – قالت : يا رسول الله ، المرأة ترى زوجها فى المنام يَقَعُ عليها ، أَعَلَيْها غُسْلٌ ؟ قال : «نعم إذا رأتْ بَلَلاً» ، فقالت أم سلَمةَ : أو تَفْعَلُ ذلك ؟ فقال : «تَرِبَتْ يمينُكِ ، أنَّ يأتى شَبَهُ الخُؤُولَةِ إلا من ذلك ، أىُّ النُطفتين سبقتْ إلى الرِّحِمِ غَلَبتْ على الشَّبَه» . وروى بعضه البخارى ومسلم والترمذى .

ولا بد من التحذير من سجع الكهان والعرافين الذين تنخدع بهم كثير من النساء فى القديم والحديث ، والمؤمنة تعلم أن كل شىء بأمر الله وقدره ، ولا تأثير لسجع وتمتمات الكهان.

روى الإمام أحمد بسند حسن عن أبى سعيد الخدرى ﷺأنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ فى سَفَرٍ ، فنزلُوا رُفَقَاءَ ، رُفْقَةٌ مع فلانٍ ، ورُفْقَةٌ مع فلانٍ ، قال : فنزلتُ فى رُفْقَةِ أبى بكر ﷺ فكان معنا أعرابىٌّ من أهل الباديةِ ، فنَزَلنا بأهل بيت من الأعراب ، وفيهم إمرأة حاملٌ ، فقال لها الأعرابىُّ : أيَسُرُّك أن تَلِدى غلاماً ، إن أَعْطيْتنِي شاةٌ وَلَدْتِ غلاماً ، فأعطتْهُ شاةً ، وسَجَعَ [1] لها أساجيعَ ، قال : فذبَحَ،الشاةَ ، فلما جلسَ القومُ يأكلون قال رجلٌ : أتدرونَ ما هذه الشاةُ ؟ فأخبرَهم، قال : فرأيتُ أبا بكرٍ مُتَبَرِّيا مُسْتَنْبلًا مُتَقَيِّئًا»[2] .

15 – العلاج النبوى للعقيم :

روى أبو حنيفة فى مسنده عن جابر بن عبد الله – رضى الله تعالى عنهما : أنه جاء رجل من الأنصار إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما رُزِقْتُ ولدًا قط ، ولا وُلِدَ لى، قال ﷺ : «فأينَ أنتَ من كثرة الاستغفار ، وكثرة الصدقة تُرْزَقُ بها» . قال : فكان الرجل يُكْثر الصدقة ، ويكثر الاستغفار ، قال جابر : فولد له تسعة ذكور .

قال العلامة ملا على القارى فى شرحه على الحديث : ولعله مقتبس من قوله تعالى حكاية عن نوح –عليه السلام– : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح] .

وقد ورد : «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل غمٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب» . رواه أحمد والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما [3].

16 – عقاب من تبرأ من ولده ، أو أحد والديه :

عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : رسول الله ﷺ : «من انتفى من ولده ؛ ليفضحه فى الدنيا ، فضحه الله تبارك وتعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ؛ قصاص بقصاص» . رواه أحمد ، والطبرانى فى الكبير والأوسط ، ورجال الطبرانى رجال الصحيح خلا عبد الله بن أحمد ، وهو ثقة إمام ، قاله الهيثمى فى المجمع (5/ 15) .

وعن معاذ بن أنس عن النبى ﷺ أنه قال : «إن لله تعالى عباداً لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم ، ولا ينظر إليهم» ، قيل : مَنْ أولئك يا رسول الله ؟ قال :

---

(1) السَّجع : الكلام المقفى غير الشعر .

(2) مُتَبَرِّياً : أى معترضاً له ، مُستَنْبلاً : أى تهيأ للشىء واستعد له ، والمراد : تهيأ للقىء ، القىء استخراج مافى الجوف عمداً .

(3) شرح مسند أبى حنيفة لعلى القارى (ص 587) .

«متبرئ من والديه ؛ راغب عنهما ، ومتبرئ من ولده» . رواه أحمد ، والطبرانى ، وزاد: «ولهم عذاب أليم» ، وفيه : زبان بن فائد ، ضعفه أحمد وابن معين ، وقال أبو حاتم : صالح ، كذا قاله الهيثمى (5/ 15) .

وروى أحمد بإسناد صحيح وابن ماجه وأبو يعلى والبغوى وابن قانع وابن منده والطبرانى وسعيد بن منصور ، أن الخشخاش العنبرى قال : أتيت النبى ﷺ ، ومعى ابن لى، قال : فقال (أى : النبى ﷺ) : « ابنك هذا» قال : قلت : نعم ، قال : «لا تجنى عليه ، ولا يجنى عليك»[1] .

وروى الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وأقره الذهبى ، عن أبى رمثة قال : انطلقت مع أبى نحو رسول الله ﷺ ؛ فسلم عليه أبى ، وجلسنا ساعة، فقال رسول الله ﷺ لأبى : «ابنك هذا ؟» قال :إى ورب الكعبة ، قال : «حقًا» قال : أشهد به، فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا من ثبت شبهى بأبى ، ومن حلف أبى على ذلك قال : ثم قال : «أَمَا إن ابنك هذا لا يجنى عليك ، ولا تجنى عليه» ، قال : وقرأ رسول الله ﷺ : ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ إلى قوله تعالى ...هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾﴾

[النجم] .

وعن أبى ذر رضي الله عنه أ نه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ : «ليسَ مِنْ رجل ادّعى لغير أبيه ، وهو يعلمه ، إلا كفرَ ، ومن ادّعى ما ليس له فليسَ منا ، وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلًا بالكفر ، أو قال : عَدُوّ الله وليس كذلك ، إلا حار عليه» رواه أحمد والبخارى ومسلم . قال القرطبى فى شرح الحديث [2] .

«وقوله : ليس من رجل ادعى لغير أبيه ، وهو يعلمه ، إلا كفر ، أى : انتسب لغير أبيه، رغبةً عنه ، مع علمه به ، وهذا إنما يفعله أهلُ الجفاءِ والجهل والكِبْرْ ؛ لخَسّةِ منصبِ الأب؛ ودناءتهِ ، فيرى الانتسابَ إليه عارًا، ونقصًا فى حقه ، ولا شك فى أن هذا مُحَرَّم و معلوم التحريم ، فمن فعل ذلك مستحلاً فهو كافرٌ حقيقةً ، فيبقى الحديثُ على ظاهره ، وأما إن كان غيرَ مستحلّ ، فيكون الكفرُ الذى فى الحديث محمولاً على كُفران النِّعم والحقوق ، فإنه قابَلَ الإحسانَ بالإساءة ، ومن كان كذلك صدقَ عليه اسم : الكافر ، وعلى فعله : أنه كَفَرَ ، لُغةً وشرعاً ، على ما قرَّرْناهُ ، ويُحتملُ أن يقال : أطلق عليه ذلك ؛ لأنه تَشَبَّهَ بالكفار أهل الجاهلية ، أهل الكبر

---

[1] انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (990).

[1] كتاب : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1/ 254) تحقيق مجموعة من الأساتذة ، نشر دار ابن كثير (دمشق – بيروت) .

والأَنَفَةِ ، فإنهم كانوا يفعلون ذلك ، والله تعالى أعلم»[1].

وعن سعد بن أبى وقّاص وأبى بَكْرَةَ ، كِلاهُمـا قـال : سَـمِعَتْهُ أُذُنَـايَ ، ووعَـاهُ قلبى، محمداً ﷺ يقول : «مَنِ ادّعى إلى غير أبيه ، وهو يعلمُ أنه غير أبيه ، فالجنّةُ عليـه حرامٌ» . رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه .

وفى عصرنا ظهر مفسدة الأبناء المثقفين حملة الشهادات والمناصب ، بالتبرى من آبائهم بصور مختلفة ، محزنة مبكية ، تشمئز منها النفوس والعياذ بالله .

17 – **المواصفات النبوية للبيت الصالح** :

بيّن الرسول ﷺ فى عدد من الأحاديث صفات البيت الصالح الذى تعـيش فيـه الذرية الصالحة ، وبقدر ما يلتزم الوالدان بتـوفير تلـك الصـفات ، بقـدر مـا يلتـزم أطفالهم بذلك .

أ – إعـمار البيـت بـذكر الله تعـالى : روى الإمـام مسـلم عـن أبـى موسـى الأشعرى رضي الله عنه: أن النبى ﷺ قال : «مَثَلُ البيتِ الذى يُذكَرُ الله فيـه ، والبيـت الـذى لا يُذكرُ الله فيه: مَثَلُ الحىّ والمَيِّت» ،

وقال ﷺ: «إن البيت الذى يُذكرُ فيه اسمُ الله ليضىء لأهل السـماء ، كـما تُضىء النجـوم لأهـل الأرض» . رواه أبـو نعـيم فى «المعرفـة» عـن سـابط ، كنـز العـمال (1/ 424) .

ب – إعمار البيت بالرفق : قال ﷺ: «إذا أراد الله بأهل بيتٍ خيرًا أدخل علـيهم الرفق» . رواه الإمام أحمد (6/ 71) ، وقال الهيثمى : ورجال أحمد رجال الصـحيح (المجمع 8/ 19) ، وصححه المناوى فى فيض القدير (1/ 263) .

جـ – حرمة تعليق الصور : روى البخارى عن عائشة – رضى الله عنها – قـول النبى ﷺ : «إن البيت الـذى فيـه صـورُ لا تدخلُـهُ الملائكـة» . ورواه مسـلم وأحمـد ومالك ، وروى النَّسائى عن أبى الهَيَّاج قال : قال علىٌ رضي الله عنه: أَلاَ أَبْعَثُكَ على مـا بَعَثنـى عليـه رسـولُ الله ﷺ : «لا تَـدَعَنَّ قَـبْراً مُشْرِفَاً إلا سَـوَّيْتَهُ ، ولا صـورةً فى بيـتٍ إلا طَمَسْتَها» . ورواه مسلم والترمذى وأبو داود وأحمد .

د – إعمار البيت بتلاوة القرآن : روى الدارمى بسند صحيح أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول : إن البيت ليتسعُ على أهله ، وتحضُرُه الملائكـةُ ، وتهجُـرُه الشـياطينُ ، ويكثـرُ خيرهُ أن يُقرأ فيه القرآن ، وإن البيتَ ليضيقُ عـلى أهلـهِ وتهجُـرُهُ الملائكـةُ وتحضُـره

(2) يطلب بقية شرح الحديث من المصدر السابق .

الشياطينُ، ويَقِلّ خيرهُ أن لا يُقرأ فيه القرآن» .

وروى الدارمى بسند حسن عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال :« لا أُلْفينَّ أحدَكُم يضعُ إحدى رجليه على الأخرى ، يتغنَّى ، ويدع أن يقرأ سورة البقرة، فإن الشيطان يفِرُّ من البيت يُقرأ فيه سورةُ البقرة ، وإن أصفرَ [1] البيوتِ الجَوْفُ ، يَصْفَرُ من كتاب الله »، وروى مسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «لا تَجعلوا بيوتكم مقابرَ ، إن الشيطان ينفِرُ من البيت الذى تُقرأُ فيه سورة البقرة» . ورواه الترمذى وأبو داود وأحمد .

هـ – إعمار البيت بالنوافل : عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : جئتُ ورسولُ الله ﷺ يُصلى فى البيت ، والبابُ عليه مغلق ، فمشى حتى فَتَحَ لى ، ثم رجع إلى مكانه ، ووصفت الباب فى القبلة» . رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب . ورواه النسائى وأبو داود وأحمد .

و – إعمار البيت بأهل الصلاح والتلقى وإبعاد أهل الأهواء والفلسقة : روى النسائى عن على – كرم الله وجهه – أنه قال : حدثنى النبى ﷺ بأربع كلمات وأنا وهو فى البيت ، فقال : «لعن الله من لعن والديه ، ولعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى مُحْدِثَاً ، ولعن الله من غيَّرَ منار الأرض» ،وروى مسلم عن أنسﷺ أن جدته مُلَيْكَةَ دعتْ رسولَ الله ﷺ لطعامٍ صنعته ، فأكل منه ، ثم قال : «قوموا ، فأصَلِّىَ لكم» ، قال أنس بن مالك : فقمتُ إلى حصير لنا قدِ اسْوَدّ من طولِ ما لُبسَ ، فَنَضَحْتُهُ بماءٍ ، فقام عليه رسولُ الله ﷺ ، وصَفَفْتُ أنا واليتيمُ وراءَهُ ، والعجوزُ من ورائنا ، فصّلَى لنا رسولُ الله ﷺ ركعتين، ثم انصرف» . ورواه البخارى والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه ومالك والدرامى وأحمد .

فإعمار البيت بأهل الصلاح والعلماء يُضفى على البيت روحًا جديدة؛ إذ يتفاعل أطفال البيت مع الزائر الجديد ، ويأتون إليه فيقبلهم ويدعو لهم ، ويذكر الله تعالى فى بيوتهم . ويقوم فيصلى فيه ، فيشاركه أطفال البيت ، فتتأجج مشاعرهم الإيمانية ويرون أن المجتمع فيه رجال صالحون .

وروى ابن ماجه عن أنس ﷺقال : صنع بعضُ عمومتى للنبى ﷺ طعامًا ، فقال للنبى ﷺ : إنى أحب أن تأكل فى بيتى ، **وتصلى** فيه ، قال : فأتاه ، وفى البيت فَحْلٌ من هذه الفحول ، فأمَرَ بناحيةِ منه فكُنِّسَ ، ورُشَّ ، فصلى وصلَّينا معه» . **قال ابن ماجه : الفحل هو الحصير الذى قد اسودّ ، ورواته ثقات . ؟**

---

[1])الصفر:الخالى من كل شىء أى: أكثرها خلوا.

ز – الإكثار من قول الخير فى البيت وخاصة عند الوفاة : روى ابـن ماجـه عـن شداد بن أوس قال:قال رسول الله ﷺ:«إذا حضرتم موتـاكم فأغمضـوا البصر،فإن البصر يتبع الروح،وقولوا خيرا،فإن الملائكة تؤمن عـلى مـا قـال أهـل البيـت»رواه أحمد.

ح ـ الحفاظ عـلى نعمـة الطعـام، والخبـز فى البيـت، وعـدم رمـيهم: روى ابـن ماجه.بسند ضعيف – عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : دخلَ النبىُّ ﷺ البيتَ ، فرأى كِسْرَةً ملقاةً فأخذها ، فمسحَهَا ، ثم أكلها ، وقال : «ياعائشة ، أكرمـى كـريمًا، فإنها ما نَفَرَتْ عن قومٍ قطُّ فعادت إليهم» .

ط – إكرام الضيف بذبح البعير أو غيره : روى ابن ماجه بسند ضـعيف – عـن أنس ﷺقال :قال رسول الله ﷺ : «الخير أسرع إلى البيت الذى يُغشى من الشـفْرةِ إلى سِنام البعير» . وفى رواية : «الخير أسرعُ إلى البيت الذى يُؤكـل فيـه مـن الشـفرة إلى سِنام البعير» . الشفرة السكين العريض .

ى– لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب أو جنب أو صورة روح : روى الإمام أحمد أن النبى ﷺ آتاه جبريل فقال له : اخرج إلىَّ ، فلما حرج النبى ﷺ قال لـه جبريـل : إن فى بيتك شيئاً لا يدخله مَلَك ما دام فيه ، قلت : ما أعلمُهُ يا جبريل ، قـال : اذهـب ، فانظر ، ففتحت البيت فلم أجد فيه شيئاً غير جَرْو كلـب كـان يلعـب بـه الحسـن ، قلتُ : ما وجدتُ إلا جَرْواً ، قال جبريل : إنها ثلاثٌ لن يَلجَ مَلَكٌ ما دام فيهـا أبـداً واحدٌ منها: كلبٌ ، أو جنابةٌ أو صورةُ روح» . ورواه النسائى وابن ماجه والدارمى.

ولكن رخص النبى ﷺ فى الكلب المفيد للصيد أو الحرث أو الغنم ، ونهـى عـن غيرهم : روى الترمذى – وقال : حديث حسن – عن عبد الله بن مُغَفَّلٍ قـال : إنـى لِمَّن يرفعُ أغصانَ الشجرةِ عن وجهِ رسولِ الله ﷺ وهـو يخطُـبُ ، فقـال : «لـولا أن الكلابَ أُمّةٌ من الأمم لأمرتُ بقَتْلها ، فاقتُلُوا منها كُلَّ بهـيم ، ومـا مـن أهـل بيـتٍ يرتبِطُون كَلبةً إلا نَقَصَ من عملهم كلَّ يوم قراطٌ ، إلا كَلْبَ صَيْدٍ ، أو كلبَ حَرْثٍ ، أو كلب غَنَمٍ» . ورواه مسلم والنسائى وأبو داود وابن ماجه وأحمد .

وأما حرمة وجود التماثيل فقد روى البخارى أن مسروقًا رأى فى دار يسـار بـن نُميرَ فى صُفّتِهِ تماثيل ، فقال : سمعت عبد الله (أى : ابن مسعود) ﷺ قال : سـمعتُ النبى ﷺ يقولُ : «إن أشدَّ الناسِ عذابًا عند الله يوم القيامة المُصَوِّرُون» . ورواه مسلم والنسائى وأحمد .

ك – التسوك والوضوء وقيام الليـل : روى الإمـام أحمـد بسـند صـحيح عـن ابـن

عباس – رضى الله عنهما – أنه بات عند نبى الله ﷺ ذات لَيلة ، فقام نبىُّ الله ﷺ من الليل ، فخرج ، فنظر إلى السماء ، ثم تلا هذه الآية التى فى آل عمران﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران] ، ثم رجع إلى البيت ، فتسوك وتوضأ ، ثم قام فصلى ، ثم اضطجع ، ثم قام فخرج ، فنظر إلى السماء ، ثم تلا هذه الآية ، ثم رجع فتسوك ، وتوضأ ، ثم قام فصلى». رواه ـ أيضاً ـ البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه ومالك والدارمى .

ل – **إغلاق الباب وإطفاء المصابيح أثناء النوم مع التسمية** : روى البخارى عن النبى ﷺ قال : «إذا اسْتَجْنَح الليلُ أو قال : جُنْحُ الليل : فكفُّوا صبيانكم ، فإن الشيطان تنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعةٌ من العشاء فخلّوهم ، وأغلِقْ بابَك واذكر اسم الله ، وأطفِئ مصباحكَ واذكر اسم الله وأوْكِ (أى غطِّ) سِقَاءك واذكر اسم الله، وخَمِّر إناءكَ واذكر اسم الله ، ولو تعرُضُ عليه شيئًا» . ورواه مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه ومالك وأحمد والدارمى .

وروى مسلم – كتاب الأشربة – عن أبى موسى ﷺ قال : احترق بيتٌ على أهله بالمدينة من الليل ، فلما حُدِّثَ رسولَ الله ﷺ بشأنهم قال : «إن هذه النارَ إنما عَدُوٌّ لكم ، فإذا نِمْتُمْ فأطفئوها عَنْكم» . ورواه البخارى وابن ماجه وأحمد .

وروى الإمام أحمد عن أبى ذر ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن مَرَّ رُجلٌ على بابٍ لا سِتْر له ؛ غير مُغلقٍ ؛ فنظر ؛ فلا خطيئةَّ عليه ، إنما الخطيئةَ على أهل البيت» . ورواه الترمذى .

م – **التقليل من زينة البيت ما أمكن** : روى الإمام أحمد – بسند صحيح – أن رجلاً أضافَهُ علىٌّ بن أبى طالب ﷺ فَصنَع له طعامًا، فقالت فاطمةُ : لو دَعَوْنا رسول الله ﷺ ، فَدَعَوْهُ ، فجاء فوضع يده على عِضادَتَى[1] الباب ، فرأى قِرامًا[2] فى ناحيةِ البيت ، فرجع ، فقالت فاطمةُ لعلى : الحَقْهُ ، فقل له : لِمَ رجعتَ يا رسول الله؟ فقال : «إنه ليس لى أن أدخل بيتاً مُزَوَّقاً»[3] ورواه أبو داود وابن ماجه .

وفى رواية للبخارى أن النبى ﷺ أتى بيت فاطمةَ فلم يدخل عليها ، وجاء علىٌّ فذكرتْ له ذلك ، فذكرَه للنبى ﷺ قال : «إنى رأيتُ على بابها سِتْراً موشياً»[4] فقال :

---

(1) أى : جانبى .
(2) القرام : ستر رقيق فيه ألوان ونقوش.
(3) مزوقاً : أى مزيناً .
(4) مَوْشياً : مزخرفاً منقوشاً .

«مالى وللدنيا»فأتاها على ، فذكر ذلك لها ، فقالت (أى فاطمة) :لِيَأْمُرْنى فيه بما شاءَ، قال : «ترُسِلُ به إلى فلانٍ ؛ أهل بيتٍ بهم حاجة» .

ن – إلقاء السلام فى البيت ولو كان غير مسكون : روى الإمام مالك أنه بلغه إذا دُخل البيتُ غيرُ المسكون يُقال : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[1].

فتلك أهم الصفات النبوية للبيت المسلم ، كلما التزمت بها الأسرة المسلمة ، كانت أقرب إلى السنة النبوية، وكلما اتصفت بها كانت عوناً لنشوء الطفل نشأة إسلامية نبوية ، وكلما تساعد الأبوان على ذلك ، دل على حبهما للسنة ولأولادهم ، وكلما كانت سرعة التطبيق أكثر دل على زيادة الإيمان ، وكلما كان التصديق بما أخبره الرسول ﷺ عن البيت المسلم ، دل على صدق الحب والإخلاص لرسول الله ﷺ ، فالأمة الإسلامية لا تعرف إلا الجد والاجتهاد فى سبيل العلا ونشر الدعوة : «رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله » وأولى درجاته تربية الأجيال ، فهم رصيد المستقبل القريب ، وهم رجال الوطن ووزراؤه المقبلون ، وهم معدن الإسلام فى فتوحاته شرقاً وغرباً» . اللهم وفقنا إلى الاتصاف بذلك، وأعنا على اتباع سنة نبيكﷺ، وسَهِّل علينا إقامة دينك فى بيوتنا وحياتنا يا رب العالمين .

س – إعمار البيت بالأغذية النبوية : سيأتى معنا فى القسم الثانى – الفصل الثانى: الرعاية الصحية للطفل – موضوع الأغذية التى خصَّها النبى ﷺ بالذكر ، فتطلب هناك وأهمها التمر . روى مسلم فى كتاب الأشربة عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : «يا عائشة ، بيت لا تمر فيه جياعٌ أهلُه ، أو جاع أهله – قالها مرتين أو ثلاثاً». ورواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه وأحمد والدرامى.

ع – ذبح الأضحية عن أهل البيت فى كل عام : روى الترمذى – وقال :حديث حسن غريب – عن مِخْنَفِ بنِ سُلَيْم قال : كنا وُقُوفاً مع النبى ﷺ بعَرَفاتٍ ، فسمعته يقول : «يا أيها الناسُ ، على كلِّ أهل بيت فى كل عام أُضحْيَةٌ وعتَيرةٌ ، هل تدرون ما العتيرة ؟ هى التى تسمونها الرَّجبية»[2].ورواه النَّسَائى وأبو داود وابن ماجه وأحمد.

ف – تنوير البيت برواية العلم فيه : نشأ الإسلام فى عهده السرى الأولى فى بيت دار الأرقم بن أبى الأرقم ، يستضيف النبى ﷺ وصحبه المؤمنين ، وتابع صحابته يروون أحاديثه ﷺ فى بيوتهم وبيوت إخوانهم :

فقد روى الإمام أحمد عن عمرة بن مُرَّة قال : حدثنا رجل فى بيت أبى عُبيدة أنه

---

(5) من (جـ ـن) تم استخراجها بوساطة برنامج الحديث الشريف صخر .

(1) الرَّجبية : هى العتيرة وهى شاة تذبح فى رجب .

سمعَ عبد الله بن عمرو يُحدِّثُ عبدَ الله بن عمرَ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : من سَمَّعَ الناس بعمَله ، سَمَعَّ الله به سامِعَ خلقْهِ ، وصَغَّرَهُ ، وحَقَّرَهُ ، قال : فَذَرفت عينا عبد الله بن عمر .

وروى الإمام أحمد بسند حسن عن أبى هريرة – رضي الله عنه – قال : جاء نِسْوَةٌ إلى رسول الله ﷺ فَقُلْنَ : يا رسول الله ، ما نَقْدِرُ عليكَ فى مجلسكَ مِنَ الرجال ؛ فواعدْنا منكَ يومًا نأتيكَ فيه ، قال : «موعِدُكُنَّ بيتُ فلانٍ وأتاهُنّ فى ذلك اليوم ، ولذلك المَوْعِدِ، قال : فكان مما قال لهُنَّ : يعنى «ما مِنْ امرأةٍ تُقَدِّمُ ثلاثاً من الولدِ تحتَسِبُهُنّ إلا دخلتِ الجنةَ» فقالت امرأةٌ منهُنَّ : أوِ اثنان ؟ قال : «أو اثنان» . ورواه مسلم .

وروى الإمام أحمد- بسند صحيح - عن أبى المليحِ يُحَدِّثُ عن أبيه أنه سمِعَ النبىَّ ﷺ فى بيتِ يقول : «إن الله عَزَّ وجَلَّ لا يَقْبَلُ صلاةً بغير طُهُورٍ ، ولا صَدَقةً من غُلُولٍ» . ورواه النَّسائى وأبو داود وابن ماجه والدرامى .

وفى العراء وفى البيوت : روى الإمام أحمد – بسند حسن – قال : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا شعبة ، حدثنا أبو إسرائيل فى بيت قَتَادةَ قال : سمعتُ جَعْدَة وهو مولى أبى إسرائيل ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ ورجلٌ يَقُصُّ عليه رُؤْيا ، وذكر سِمَنَه وعِظَمَهُ ، فقال له رسولُ الله ﷺ : «لو كان هذا فى غير هذا كان خيراً لك» .

ص : **إعمار البيت بالولائم الرمضانية ، وتفطير الصائم** : روى الإمام أحمد – بسند صحيح – عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : كان النبى إذا أفطر عند أهل بيتٍ قال : «أَفْطَرَ عنْدكُمُ الصائمون ، وأَكَلَ طعامكُمُ الأبرارُ ، وتَنَزَّلتْ عليكم الملائكة» . ورواه أبو داود والدرامى .

* * *

المبحث الثالث

أسس الأساليب النفسية المؤثرة في نفس الطفل

الأساس الأول: صحبة الطفل.

الأساس الثانى:إدخال السرور والفرح إلى نفس الطفل.

الأساس الثالث:زرع التنافس البنَّاء بين الأطفال،ومكافأة الفائز.

الأساس الرابع:مبدأ تشجيع الأطفال.

الأساس الخامس:المدح والثناء.

الأساس السادس:ملاعبتهم والتصابى لهم.

الأساس السابع:تنمية ثقة الطفل بنفسه.

الأساس الثامن:حسن النداء.

الأساس التاسع:الاستجابة لميولهم،وترضيتهم.

الأساس العاشر:أثر التكرار في نفس الطفل.

الأساس الحادى عشر:التدرج في الخطوات.

الأساس الثانى عشر:الترغيب والترهيب.

«إن الأرواح لتنمو بالتربية اللطيفة ، كما تنمو الأجسام بالغذاء الصحيح ، ولـنماء الجسم حد معلوم ، وغاية لا تُتَجاوَز ، إذا أَدْرَك شأوها أخـذ فى التقهقـر إلى الـوراء، أما نماء الروح فموصول بحياة الإنسان ، لا يقـف إلا إذا خمـدت أنفاسـه ، وبـارح[1] مدرسة هذا العالم الكبرى» .

الشيخ محمد الخضر حسين

– رحمه الله –

أسس الأساليب النفسية المؤثرة

فى نفس الطفل

الأساس النفسى الأول : صحبة الطفل :

تلعب الصحبة دورًا كبيراً فى التـأثير عـلى نفـس الطفـل ، وهـى مـرآةُ الصـديق لصديقه ، وهى أشبهُ بعملية التلقيح بين الصديقين ، فيتعلمان من بعضهما البعض .

وكان ﷺ يصـحب الأطفـال فى كافـة الميـادين ، فتـارة يصـحب ابـن عبـاس ، ويسيران فى الطريق ، وتارة يصحب أطفال ابـن عمـه جعفـرًا ، وأخـرى يصـاحب أنساً، وهكذا يصحب النبى ﷺ الطفل معه من غير تأفف ولا استكبار ، ومـن غـير

(1) أى : فَارَقَ .

تعجرف ، ولا استعلاء ، فهذا حقُّ الطفل أن يصحَب الكبار ليتعلم منهم ، فتتهذب نفسه ، ويتلقح عقله ، وتتحسَّن عاداته .

وعن أنس –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ، وهو يلعبُ مع البيان، فأخذه فصرعه ، فشقّ عن قلبه ... الحديث . رواه الحاكم فى مستدركه ، وقال: صحيح الإسناد ، وأقره الذهبى .

وروى الحاكم [1] أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيتنى وقثم وعبيد الله بن العباس نلعب ، إذ برسول الله ﷺ على دابة فقال : «احملوا هذا إلى» ، فجعلنى أمامه، ثم قال لقثم: «احملوا هذا إلى» فجعله وراءه ، ما استحيا من عمه العباس أن حمل قثم ، وترك عبيد الله ، ثم مسح برأسى ثلاثاً ، فلما مسح قال : «اللهم اخلفْ جعفراً فى ولده» قلت لعبد الله بن جعفر : ما فعل قثم ؟ قال : استشهد ، قلت لعبد الله : الله ورسوله كان أعلم بخبره ، قال: أجل .

وهذا الطفل الصحابى يُحدِّث كيف اصطحبه قومه إلى رسول الله ﷺ مما جعله بعد ذلك يروى الأحاديث النبوية ، ويحدث عما رآه ، وسمعه من رسول الله ﷺ ، إنه أبو جحيفة رضي الله عنه فيقول :

أتينا رسول الله ﷺ فى نفر من بنى عامر بن صعصعة بالأبطح ، فقال : «مرحبًا ، أنتم منى» ، فلما حضرت الصلاة خرج بلال ، فأذن ، وجعل أصبعيه فى أذنيه ، وجعل يستديرُ فى أذانه ، فلما أقام غَرَزَ النبى ﷺ عَنَزَةٌ ، فصلى إليها . رواه أبو يعلى فى مسنده (2/ 191) بسند صحيح .

وهكذا فعل الصحابة – رضوان الله عليهم – فعمر كان يصحب ابنه ، وابن عباس . والزبير يصحب طفله إلى المعركة ليتعلم فنون القتال ، فينشأ قويًّا صلباً ، ثم ركّز ﷺ على صحبة الطفل للطفل ، فكان ﷺ فى طفولته يلعب مع الأطفال ، ويعيش معهم ، فيغدو ويروح معهم ، وهكذا نشأ .

ثم يشاهد ﷺ مجموعة من الأطفال يلعبون ، فلا يفرقهم ، ولا يفسد عليهم لعبهم ، بل إنه يشجعهم على هذه الروح الجماعية ، والمتابعة فى اللعب .

فإذا لابد للطفل من صحبة الأطفال فى عمره ، والأصدقاء فى طفولته ، فإذا أحسن الوالدان اختيار الصديق الصالح لطفلهما ، وراقبا سلوكَ هذه المجموعة من

(1) السعادة العظمى للشيخ محمد خضر حسين – رحمه الله – (ص 90) .

الأصدقاء ، ورعوها برعايتهم ، واجتمع الآباء لمدارسة أحوال أطفالهم ، واجتمعت الأمهات فى مدارسة سلوك أطفالهم ، فإن هذا سيأتى بالخير كله ؛ لأنه كما أن الوالدين مطالبان بتأمين الطعام الحلال للطفل؛لينشأ جسمه بالحلال ، وينبت لحمه بعيداً عن السحت ، فإن الوالدين مطالبان بتأمين الصديق الصالح لطفلهما ، يحادثه، ويسامره ، ويلعب معه .

والحذر ، الحذر من أطفال السوء أن يلتقطوا طفلك فيهووا به إلى مهاوى الرذيلة، وارتكاب الجرائم ، وأنت فى غيّك لاهٍ ، وفى الدنيا منهمك ، والأم فى استمتاعها بالزيارات لصديقاتها ذاهبة عائدة ، والطفل يعيش بين براثن أطفال السوء . وما الجرائم وسجون الأحداث إذا زرتها ، أو سمعت عنها ، إلا من أطفال السوء انتشلوا طفلك فى غفلة منك .

أتريد أن تشاهد طفلك فى سجون الأحداث ، أم فى بيوت الله والمساجد ؟ ! فلتسارعْ فى البحث عن طفل صالح يصادق طفلك ، ويصاحبه فى غدوّه ورواحه . فإن لم تجد الطفل الصالح ، فسارع إلى أستاذ صالح يرشدك إلى الأطفال الصالحين ، ويضم طفلك معهم .

أَمَا آن للوالدين أن يستيقظا ؟ ! فلقد استيقظ الأعداء على سرقة طفلكم من بين أحضانكم ، وذلك بالمنظمات الكافرة ، والاتحادات الفاسدة ، والنوادى القذرة .

الأساس النفسى الثانى : إدخال السرور والفرح فى نفس الطفل :

السرور والفرح يلعب فى نفس الطفل شيئًا عجبًا ، ويؤثر فى نفسه تأثيرًا قويًّا . فالأطفال ، وهم براعم البراءة والصفاء يحبون الفرح ، بل هم أداة الفرح للكبار ، ويحبون الابتسامة أن يشاهدوها على وجوه الكبار .

وبالتالى فإن تحريك هذا الوتر المؤثر فى نفس الطفل سيورث الانطلاق ، والحيوية فى نفسه ، كما أنه يجعله على أهبة الاستعداد لتلقى أى أمر أو ملاحظة ، أو إرشاد .

وكان النبى ﷺ يُدخل دائماً السرور والفرح إلى نفوس الأطفال ، ويتبع فى ذلك شتى الأساليب ، فمن ذلك :

- الاستقلال الجيد لهم .
- تقبيلهم ومازحتهم .

- مسح رؤوسهم .

- حملهم ، ووضعهم فى حجره الشريف .

- تقديم الأطعمة الطيبة لهم .

- الأكل معهم .

كل ذلك كان يفعله ﷺ على نحو ما سيأتى معنا فى البناء العاطفى ؛ لما للفرح من قوة فى التأثير ، ولما للسرور من براعة فى إسعاد الطفل .

قال الحسن : «ما يعلم أهل السماء ، وأهل الارض ، ما يثيب اللهُ العبدَ على الشيء ، يُفْرح به عياله ، وأهله ، وولده» . رواه ابن الدنيا فى كتاب العيال (2/ 558) .

وهذا تطبيق عملى واقعى فى إدخال الفرحة والبهجة والسرور على الأطفال ، وفى مجلس الخلفاء :

أورد ابن حجر الهيتمى المكى فى كتابه (الصواعق المحرقة) (ص 274) فقال : دخل عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط على عمر بن عبد العزيز ، وهو حديث السنّ ، وله وفرة ، فرفع عمر مجلسه ، وأقبل عليه ، فلامه قومه ، فقال : إن الثقة حدثنى ، حتى كأنى أسمعه من فِى رسول الله ﷺ : «إنما فاطمة بضعة منى يسرُّنى ما يَسرُّها» وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية ، لسرّها ما فعلتُ بابنها .

الأساس النفسى الثالث : زرع التنافس البنّاء بين الأطفال ، ومكافأة الفائز :

إنَّ التنافس يحرك فى الإنسان عامة ، فضلاً عن كون الطفل ذا مشاعر ، وطاقات مكنونة ، لا يعرفها الإنسان إلا عندما يضع فى نفسه و منافسة فلان أو فلان؛ للفوز عليه ، ورسول الله ﷺ يثيرُ فى نفس الطفل روحَ المنافسة ؛ ليحرك هذه الطاقة الهائلة فى الإنسان ، فمن أمثلة ذلك : المنافسة الفكرية ، حينما طرح رسول الله ﷺ سؤالًا على أصحابه ، وكان من بين الحاضرين ابن عمر رضى الله عنهما وكان أصغر القوم :

أخرج البخارى عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : «إن من شجر البوادى شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها المسلم ، فحدِّثونى ما هى ؟» ، فوقع الناسُ فى شجر البوادى ، قال عبد الله : وقع فى نفسى أنها النخلة . ثم حدثنا رسول الله قال : «هى النخلة» .

وفى رواية يبرر فيها ابن عمر عدم جوابه : «فإذا أنا أصغر القوم ، فسكتّ» ، فالأسئلة تنبّه عقلَ الطفل ، وتفتح مغاليق فهمه ، وتُوقِظ حركةَ الذاكرة الجامدة ... وهذا النوع من الأسئلة يسمّى فى بلاد الشام «بالتحازير» وفى مصر «بالفوازير» .

فهذا الطفلُ ابن عمر نافس الكبار فى المعرفة والجواب ، إلا أنه التزم بالأدب لصغر سِنّه .

ومن الأمثلة كذلك : التنافس الرياضى بين الأطفال ، حيث كان ﷺ يجرى مسابقة الجرى بين الأطفال ؛ لتنمو عضلاتهم ويقوى جسمهم :

أخرج أحمد عن عبد الله بن الحارث ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يصفُّ عبد الله، وعبيد الله ، وكُثيرًا بَنى العباس رضى الله عنهم ثم يقول : «من سبق إلىّ فله كذا وكذا» . قال : فيستبقون إليه ، فيقعون على ظهره وصدره ، فيقبِّلهم، ويلتزمهم .

فإذاً المنافسة ، والمسابقة أسلوب بيد الوالدين والمربِّين يستخدمونه فى الأوقات المناسبة، فتنشط نفوس الأطفال ، ويرتفع منسوب همتهم ، ونشاطهم ، وتنمو مواهبهم ، ويُقدِّمون للفائز منهم الهدايا والعطايا ، كما فعل رسول الله ﷺ : «ومن سبق إلىّ فله كذا وكذا» .

فيشعر الطفل باللذة ، ونشوة السعادة ، ويسارع كل طفل أن يقدم كل طاقته ، ويبذل كل وسعه فى الوصول إلى الفوز ، ويستعد ليوم المسابقة ، فيغدو إلى البيت ، ويهيئ نفسه ، ويتدرب ، ويتعلم ، ويسأل ، وينقب عن المعرفة ، ويُرى والديه إلى أى درجة وصل ، وهكذا تتفجر الطاقة المكنونة .

وثمة ملاحظة ، وفائدة أخرى لهذا الأسلوب ؛ إذ ينمى فيه روح الجماعة ، والابتعاد عن الفردية ، ويتدرَّب على فهم الحياة ، فتارة يربح ، وأخرى يخسر ، ومرة يعرف الجواب، وأخرى يُغلق عليه ، ومرة يصيب ، وتارة يخطىء ، وهكذا ...

الأساس النفسى الرابع : مبدأ تشجيع الطفل :

إن التشجيع الحسى ، أو المعنوى ، خير كله ، وعنصر ضرورى من عناصر التربية، لا غِنى عنه[1]، ولكن بدون إفراط .

وللتشجيع دور كبير فى نفس الطفل ، وفى تقدم حركته الإيجابية البناءة ، وفى كشف طاقاته الحيوية ، وأنواع هواياته ، كما أنه يزيد فى استمرارية العمل ، ودَفعه

(1) منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب (2/ 141) .

قُدُمًا نحو الأمام بمردود جيِّد .

وما الحديث الذى تقدم فى صف النبى ﷺ للأطفال ، وتشجيعهم على السباق ، وأنه : «من سبق إلىّ فله كذا وكذا» إلا دليل على ذلك .

وهذا عمر ﷺ يخرج من مجلس رسول الله ﷺ بصحبة ابنه عبد الله، الذى قال لأبيه عمر عندما خرجا : «فلما خرجتُ مع أبى ، قلتُ : يا أبتاه ، وقع فى نفسى النخلة ، قال : ما منعك أن تقولها ؟! لو كنت قلتها كان أحب لى من كذا وكذا قال إلا أنى لم أرك ولا أبا بكر تكلَّمتُما ، فكرهتُ» . رواه البخارى .

قال ابن حجر – معلقاً على الحديث : «كأنه أشار بإيراده إلى أن تقديم الكبير ، حيث يقع التساوى ، أما لو كان عند الصغير ما ليس عند الكبير فلا يمنع من الكلام بحضرة الكبير ؛ لأن عمر تأسَّف حيث لم يتكلم ولده ، مع أنه اعتذر له بكونه بحضوره وحضور أبى بكر ، ومع ذلك تأسَّف على كونه لم يتكلم» [1].

وعلق ابن القيم على الحديث فى كتابه «الطب النبوى» (ص 398)

بقوله :وفيه : فرح الرجل بإصابة ولده ، وتوفيقه للصواب .

وفيه : أنه لايكره للولد أن يُجيب بما يعرف بحضرة أبيه ، وإن لم يعرفه الأب ، وليس فى ذلك إساءة أدب عليه» .

وهذا مثال آخر لاهتمام عمر ، وتشجيعه للأطفال أن يتكلموا فى مجلس الكبار ، وتقديم آرائهم وأفكارهم : روى ابن المبارك فى الزهد ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم، والحاكم فى المستدرك عن عمر ﷺ، قال : فيم ترون أنزلت هذه الآية : ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة : 266] فقالوا : الله أعلم ، فغضب عمر، فقال : قولوا نعلم، أو لا نعلم ، فقال ابن عباس : فى نفسى منها شىء يا أمير المؤمنين ! فقال عمر : قل يا بن أخى ولا تُحقِّرْ نفسك ، فقال ابن عباس : ضرب مثلًا لعمل ، فقال عمر : أىّ عملٍ ؟ فقال : العمل، فقال عمر: لرجل غنى يعمل بالحسنات ، ثم بعث الله إليه بشيطان ، فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله كلها[2].

فليكن شعار الوالدين والمربين فى تشجيع الأطفال : « قل يا بنى ، ولا تحقر نفسك».

(1) فتح البارى (13/ 153) .
(2) فتح البارى (13/ 153) .

ومن التشجيع الحسن : تشجيع الأطفال على الأمور الحسنة ، ومن بينها : شراء الكتب النافعة ؛ ليصبح للطفل مكتبة علمية تنموه فهذا ابن عابدين – العالم الكبير– يُحدّث ابنه عن نشأته فيقول[1] :

«وكان السبب فى جمعى لهذه الكتب العديمة النظير : والدىّ ، فإنه كان يشترى لى كل كتاب أريده ، ويقول: اشتر ما بدا لك من الكتب ،وأنا أدفع لك الثمن ، فإنك أحييتَ ما أمتُّه أنا من سيرة سلفى . فجزاك الله تعالى خيراً يا ولدى» . وأعطاه كتبَ أسلافه الموجودة عنده من أثرهم ، الموقوفة على ذراريهم .

ومن أمثل التشجيع على الحفظ : ما حدّث به الأديب اللغوى ابن دريد صاحب كتاب (جمهرة اللغة) قال : كان أبو عثمان الأشناندانى معلمى ، وكان عمى الحسين ابن دريد يتولى تربيتى ، فكان إذا أراد الأكل استدعى أبا عثمان يأكل معه ، فدخل يوماً عمى ؛ وأبو عثمان يروينى قصيدة الحارث بن حلزة ؛ التى أولها :

آذنتنـــا ببينهـــا أسمـــاء ربَّ ثاوٍ يمـــل منـــه الثـــواء

فقال لى عمى :«إذا حفظت هذه القصيدة ، وهبتُ لك كذا وكذا» ثم دعا المعلم ؛ ليأكـل معـه ، فـدخل إليـه ، فـأكلا ، وتحـدثا بعـد الأكـل سـاعة ، فـإلى أن رجـع المعلم،حفظتُ ديوانَ الحارثِ بـنِ حلـزة بـأسره ، فخـرجَ المعلـمُ ، فعرّفتـهُ ذلـك ، فاستعظمه ، وأخذ يعيده علىّ ، فوجدنى قد حفظتُـه ، فـدخلَ إلى عمـى ، فـأخبره ، فأعطانى ما كان وعدنى به»[2].

والحذر الحذر من عدم إعطاء الأطفال مكافآتهم التشجيعية التى وعدوا بها ، فإن ذلك يورث السآمة فى نفوسهم ، كما يتعلمون الكذب ، وعدم الوفاء .

فإذا وُعد الطفل بشىء فليعط له ، فإن ذلك يثير همته ، ويحرك نفسه ، ويتقـدم إلى العطاء ، ويتفاعل مع والديه أو مربيه ، ويتعلم الجدية فى الحياة .

الأساس النفسى الخامس : المدح والثناء :

لا شك أن لمدح الطفل أثرًا فعالًا فى نفسه ، فيحرِّك مشاعره ، وأحاسيسه ، فيسرع الطفل إلى تصحيح سلوكه ، وأعماله ، وترتاح نفسه ، وتزهو لهذا الثناء ، وتُتابع فى النشاط، وتستمر به ، ورسول الله ﷺ – وهو عالم النفس الحقيقى – يُنبِّه

(1) حاشية ابن عابدين (1/ 7 ط 2) .
(2) الرسالة القشيرية ، باب : الشكر .

على هذا الوتر الحسَّاس فى نفس الغلام ، فإذا به تتحرك نفسه نحو الاستجابة والتطبيق :

أخرج البخارى عن ابن عمر[1] - رضى الله عنهما - قال : كان الرجل فى حياة النبى ﷺ إذا رأى رؤيا قصَّها على رسول الله ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا ، فأقصّها على رسول الله ﷺ ، وكنت غلامًا شابًا ، وكنتُ أنام فى المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت فى النوم كأن ملكين أخذا بى ، فذهبا بى إلى النار ، فإذا هى مطويةٌ كطىِّ البئر، وإذا لها قرنان ، وإذا فيها أناسٌ قد عَرَفْتُهم ، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار ، قال : فلقينا ملك آخر ، فقال لى : لم تُرَع . فقصصتها على حفصة ، فقصَّتها حفصةُ على رسول الله ﷺ ، فقال : «نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يُصلى من الليل» ، فكان بَعْدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً . هكذا أثر مدح رسول الله ﷺ : «نعم الرجل عبد الله» فنبَّهه إلى أمر غفل عنه ، وبأسلوب رائع ، مُحبب إلى النفس : «لو كان يُصلى من الليل» .

وهكذا المدح والثناء فى مكانه المناسب ، وزمنه المناسب ، وباعتدال من غير مراء، ولا تبجيل ، يؤتى ثماره فى كل حين .

وسيأتى معنا كذلك قول النبى ﷺ للغلام الناشئ ، الذى تعلَّم العربية والسريانية لخدمة النبى ﷺ ، فمما قاله النبى ﷺ له -يوم الخندق : «أما إنه نِعْم الغلام» .

الأساس النفسى السادس : ملاعبة الطفل ، والتصابى له :

مصاباة الطفل وملاعبته تُنمى فى نفسه ، وتساعده على إظهار مكنوناتها ، وسيمر معنا ملاعبة النبى ﷺ للحسن والحسين ، وركوبهما على ظهره ، والمسير بهما ، كذلك واللعب مع أولاد العباس ، كل ذلك يدلُّ على أهمية ملاعبة الوالدين للطفل .

ومن شدة اهتمام النبى ﷺ بتصابى الوالدين لأطفالهم فإنه يُوجِّه نداءً عامًا لكل والدين : أن يتصابيا لطفلهما :

روى ابنُ عساكر عن أبى سفيان قال : دخلتُ على معاوية وهو مُستلقٍ على ظهره، وعلى صدره صبىٌ ، أو صبية تناغيه ، فقلت : أمط هذا عنك يا أمير المؤمنين ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «مَن كان له صبىٌّ فليصابَ له» .

(1) ولد عبد الله بن عمر فى السنة الثانية أو الثالثة من البعثة ، وأسلم مع أبيه وهو صغير ، لم يبلغ الحلم ، ولم يجزه النبى ﷺ فى أحد ، وأجازه يوم الخندق .

وأورد البخارى فى صحيحه : «باب : من ترك صبية غيره حتى تلعب ، أو قبّلها، أو مازحها» : عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت : أتيت رسول الله ﷺ مع أبى ، وعلى قميص أصفر ، فقال رسول الله ﷺ «سَنَهْ سَنَهْ» ، قال عبد الله : وهى بالحبشية: حَسَنة ، قالت : «فذهبتُ ألعبُ بخاتم النبوة ، فزجرنى أبى ، فقال رسول الله ﷺ : «دعها» ثم قال: «أبْلِى وأخْلِقى ، ثم أبْلِى وأخْلقى ، ثم أبلى وأخلِقى» ، قال عبد الله : فبقى حتى ذكر ، يعنى : من بقائها .

قال الحافظ ابن حجر – معلقاً : «وأن الممازحة بالقول والفعل مع الصغيرة إنما يُقصده به التأنيس ، والتقبيل من جملة ذلك»[1] .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ ليُدلع لسانه للحسن بن على ، فيرى الصبى حمرة لسانه ، فَيَهشّ إليه . رواه ابنُ حبان فى صحيحه ، وإسناده حسن[2] .

وهذا نموذجٌ جديدٌ من تصابى النبى ﷺ للحسن ، فيفتح فمه ، ويضع فمه فى فيه :

روى الحاكم عن أبى هريرة ﷺ قال : ما رأيتُ حسناً قط إلا فاضت عيناى دموعًا ، وذلك أن النبى ﷺ خرج يومًا ، فوجدنى فى المسجد ، فأخذ بيدى ، فانطلقتُ معه ، فما كلمنى حتى جئنا سوق بنى قينقاع ، فطاف فيه ، ونظر ، ثم انصرف ، وأنا معه حتى جئنا المسجد ، فجلس ، فاحتبى ، ثم قال «أين لُكَع ! ! ادع لى لُكَع» فجاء حسن يشتدُّ ، فوقع فى حجره ، ثم أدخل يده فى لحيته ، ثم جعل النبىُّ ﷺ يفتح فاه ، فيدخل فاه فى فيه ، ثم قال : «اللهم ، إنى أحبه فأحبه ، وأحب من يحبه» .

وروى الترمذى وأبو داود عن أنس : أن رسول الله ﷺ قال : «يا ذا الأذنين» يعنى : يمازحه . وزاد رزين : كان يقول لى : «يا ذا الأذنين» يمازحنى[3] .

وعن أنس ﷺ قال : كان ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة ، ويقول: «يا زوينب يا زوينب» مرارًا . رواه الضياء بسند صحيح[4] .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : كان النبى ﷺ يصلى ، فإذا سجد وثب الحسن

---

(1) فتح البارى (13/ 31) .
(1) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم (70) .
(2) إسناده ضعيف . انظر : جامع الأصول (11/ 55 – 56) تحقيق : الأرناؤوط .
(3) انظر : صحيح الجامع رقم (5025) .

والحسين على ظهره ، فإذا أرادوا أن يمنعوهما ، أشار إليهم أن دعوهما ، فلما قضى الصلاة وضعهما فى حجره ، وقال : «من أحبنى فليحبَّ هذين» . رواه أبو يعلى بسند حسن[1] .

الأسا س النفسى السابع : تنمية ثقة الطفل بنفسه :

اتبع رسول الله ﷺ لتنمية ثقة الطفل بنفسه عددًا من الطرق وذلك لينشأ طفلًا قويًّا ، وذلك بالطرق التالية :

1 – تقوية إرادة الطفل :

وذلك بتعويده على أمرين اثنين ، وهما :

أ – تعويده حفظ الأسرار : كما فعل أنس رضي الله عنه وعبد الله بن جعفر؛إذ عندما يتعلم الطفل كتم الأسرار ، ولا يفضحها ، فإن إرادته تنمو وتقوى ، وبالتالى تكبر ثقته بنفسه .

ب – تعويده الصيام : عندما يصمد أمام الجوع والعطش فى الصوم يشعر الطفل بنشوة الظفر ، والانتصار على النفس ، وبالتالى فإنه إرادته تقوى على مواجهة الحياة، مما يزيد فى ثقته بنفسه .

2 – تنمية الثقة الاجتماعية :

عندما يقضى الطفل حاجيات المنزل ، وأوامر الوالدين ،ويجالس الكبار ، ويجتمع مع الصغار، فإن ذلك ينمى ثقته الاجتماعية بنفسه .

3 – تنمية الثقة العلمية :

وذلك بتعلمه للقرآن ، ولسُنَّة رسوله ﷺ وسيرته العظيمة ، فينشأ الطفل ، وقد حمل علمًا غزيرًا فى صغره ، فتنمو ثقته العلمية بنفسه؛لأنه يحمل حقائق العلم بعيدًا عن الخرافات ، والأساطير .

4 – تنمية الثقة الاقتصادية والتجارية :

وذلك بتعويد الطفل البيع والشراء ، والتجول فى الأسواق بصحبة والديه ، وقضاء حاجتهما : أخرج مالك عن سليمان بن يسار قال : فَنِيَ عَلَفُ حمار سعيد بن أبى وقاص ، فقال لغلامه : خُذْ من حنطة أهلك ، فابتع به شعيرًا ، ولا تأخذ إلا مثله .

ويشاهد النبى ﷺ الطفل عبد الله بن جعفر ، وهو يبيع بيع الغلمان ، فدعا له بالبركة . وهكذا تجدُ حرصَ رسول الله ﷺ على تنمية ثقة الطفل بنفسه .

(4) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (312) .

الأساس النفسى الثامن : حسن النداء للطفل :

نلاحظ أن النبى ﷺ فى خطابه للأطفال كان يُنوِّع فى ذلك ؛ لإثارة انتباه الطفل ، ووضعه فى حالة استعداد لتلقى الكلام .

فتارة يخاطب الطفل باسمه فيداعبه بقوله : «يا أبا عمير ، ما فعل النغير ؟» وتارة يخاطبه بطفولته ، فيناديه : «يا غلام ، إنى أعلمك كلمات ... يا غلام ، سم الله تعالى، وكُلْ بيمينك» . وكثيرًا ما يناديه بنداء العاطفة فيناديه : «يا بنى ، إذا دخلت على أهلك فسلم» . «يا بنى ، إذا قدرت أن تصبح وتسمى ، وليس فى قلبك غشّ لأحد ، فافعل» .

وكان الصحابةُ – رضوان الله عليهم – ينادون الطفل المسلم الذى أدرك والده الإسلام بالنداء : «يا بن أخى» ، كما قال عمر بن الخطاب لابن عباس : «قل يابن أخى ، ولا تحقر نفسك» . أما الطفل المسلم الذى لم يدرك والده الإسلام فكانوا ينادونه:«يابنى».

كما روى البخارى فى «الأدب المفرد» عن الصعب بن حكم ، عن أبيه ، عن جده قال : أتيت عمر بن الخطابﷺ فجعل يقول : يا بن أخى ، ثم سألنى فانتسبت له، فعلم أن أبى لم يدرك الإسلام ، فجعل يقول : «يا بنى ، يابنى!» [1].

وروى مسلم فى صحيحه عن إسحاق بن مالك قال : قال لى رسول الله ﷺ : «يابنى!».

وروى أيضًا عن المغيرة بن شعبة قال : ما سأل رسولَ الله ﷺ أحد عن الدجال أكثر مما سألته عنه فقال لى : «أى بنى!» الحديث .

قال الإمام النووى – رحمه الله : «وفى هذين الحديثين جاز قول الإنسان لغير ابنه ممن هو أصغر سنًا منه : يا بنى مُصَغَّرًا ، ويا ولدى ، ومعناه التلطف ، وأنك عندى بمنزلة ولدى فى الشفقة ، وكذا يقال له ، ولمن هو فى مثل سن المتكلم يا أخى للمعنى الذى ذكرناه ، وإذا قصد التلطف كان مستحبًّا كما فعله ﷺ » [2] .

وروى الإمام أحمد فى مسنده [3] عن عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما :

أن النبى ﷺ قال : «ابن أخى ، إن هذا اليوم مَنْ ملك فيه سمعه وبصره ولسانه ،

---

(1)الأدب المفرد ، باب : قول الرجل يا بنى لمن أبوه لم يدرك الإسلام . ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (9/ 82) باب : فى الرجل يقول لا بن غيره : يا بنى !

(1) شرح صحيح مسلم للإمام النووى ، باب : جواز قوله لغير ابنه يا بنى ، واستحبابه للملاطفة .

(2) المسند (1/ 329) .

غفر له، يعنى : يوم عرفة» [1]. وفى رواية البيهقى فى «شعب الإيمان» بلفظ : «يا بن أخى ، إن هذا يوم ... الحديث» [2]. وفى رواية الطيالسى «مه يا غلام ! ...) [3].

وروى أحمد فى مسنده (3/ 307) حديث ابن عباس قال : كنت رديف النبى ﷺ فقال : «يا غلام – أو يا غليم – ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟» فقلت : بلى ، فقال : «احفظِ الله يحفظك ... الحديث» فهنا تجد النداء : «يا غليم» .

مما تقدم نجد أن حسن نداء الطفل ، تارة باسمه الصريح ، وأخرى بيا غلام ، وثالثة يا بن أخى ، ورابعة يابنى ... كل هذا يوقظ نفس الطفل لتلقى النداء ، ويشعره بمحبة المخاطب له .

ومن حسن نداء الطفل مناداته بكنيته ، حيث كان ﷺ يداعب الصغير فيقول له: «يا أبا عمير ، ما فَعَلَ النُّغير ؟» ، وما رواه أبو الدرداء عن أنس رضي الله عنه قال : كنانى رسول الله ﷺ ببقلة ، كنتُ أجْتنيها وكان يُكنى : «أبا حمزة» ومعنى حمزة: بقلة[4].

فالتنويع فى نداء الطفل يشعره بأهميته بين الكبار ، مما هو أدعى لاستجابته ، وتنفيذ الأوامر الموجهة إليه ، بكل فرح وسرور .

ومن حسن النداء كذلك النداء للخادم الصغير والصغيرة ، فعن أبى هريرة رضي الله عنه يُحدِّثُ عن النبى ﷺ أنه قال : «لا يَقُلْ أحدُكم ، أَطْعِمْ رَبَّكَ ، واسْقِ ربَّكَ ، وليقُلْ : سيدى ، مولاى ، ولا يقُلْ أحدكم: عبد،أمتى وليقل: فَتَاىَ ، وفتاتى ، وغلامى» . رواه البخارى ومسلم وأبو داود وأحمد .

فأى رحمة وعطف وحنان ، ورقة وعذوبة من تربية المجتمع أن يقولوا لخدامهم : فتاى، وفتاتى ، وغلامى ، فيسوى بينهم وبين أولادهم فى العطف برقة النداء وعذوبته ، إنه فقط فى المنهج النبوى .

وفى رواية أخرى تعليل نبوى لطيف فى تعريف السادة أنهم عبيد الله ، قوله ﷺ : «لا يقولَنَّ أحدُكم عَبْدى ، وأمتى ، كلكم عبيد الله ، وكُلُّ نسائكم إماءُ الله ، ولكن ليقُلْ غُلامى ، وجاريتى ، وفتاىَ وفتاتى» .

إنها التربية القرآنية التى ترسخ فى نفوس المؤمنين : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[الحجرات:13]

الأساس النفسى التاسع : الاستجابة لميول الطفل ، وترضيته :

(3) الكنز (5/ 68) .
(4) المصدر السابق ، نفس الصفحة.
(5) المصدر السابق، نفس الصفحة .
(6) أدب الكاتب لابن قتيبة ، باب : أصول أسماء الناس .

من الأساليب الناجحة فى كثير من المواطن – وليس كلها : الاستجابة لميول الطفل ، وترضيته حتى يرضى .. وذلك كلما كان أقرب إلى الصغر ، فالصغير لابد من ترضيته ، ولابد من تنفيذ مطالبه ، وذلك لشعوره بالحاجة التى يطلبها ، فإذا تمت الاستجابة انشرحت نفسه ، وفرح ، وانطلق بحيوية فائقة ، وإذا لم يلب طلبه ازاداد غيظًا ، وحمقًا ، وتصرف بما لايرضى ، ولا يحب .

والرسول ﷺ يقرر قاعدة نفسية عظيمة جدًّا فى حل كثير من مشاكل الطفل النفسية ، وقد استجاب الصحابة لهذه القاعدة وغدوا إلى تطبيقها :

روى ابن عساكر[1] عن واثلة بن الأسقع ﷺ كما فى «الجامع الكبير » أن رسول الله ﷺ خرج إلى عثمان بن مظعون ومعه صبى صغير له ، يلثمه ، فقال له : « ابنك هذا ؟ » قال : نعم ، قال : « تحبه يا عثمان ؟ » قال : إى والله يا رسول الله إنى أحبه ، قال « أفلا أزيدك حبًّا له ؟ » قال : بلى ، فداك أبى وأمى ، قال : « إنه من ترضى صبيًّا صغيراً من نسله حتى يرضى ترضاه الله يوم القيامة حتى يرضى » .

وقد حدثت مناقشة بين معاوية والأحنف بن قيس ، حيث تبين الثانى للأول أهمية ترضية الولد ، وتلبية طلبه :

« قال يزيد بن معاوية : أرسل أبى إلى الأحنف بن قيس فلما وصل إليه ، قال له : يا أبا بحر ما تقول فى الولد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، فيمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولاتكن عليهم ثقلاً ثقيلاً ، فيملوا حياتك ، ويودوا وفاتك ، ويكرهوا قربك .

فقال له معاوية : لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وأنا مملوء غضباً وغيظاً على يزيد ، فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد وبعث إليه بمائتى ألف درهم ، ومئتى ثوب ، فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب ، فقاسمه إياها على شطر »[2] .

وقال عدى بن حاتم ﷺ أتيت رسول الله ﷺ – وهو جالس فى المسجد فقال القوم : هذا عدى بن حاتم ، وجئت بغير أمان ولا كتاب ، فلما دفعت إليه أخذ بيدى وقد قال قبل ذلك : إنى لأرجو أن يجعل الله يده فى يدى – قال : فقام بى، فلقيته امرأة وصبى معها، فقالا إن لنا إليك حاجة ، فقام معهما حتى قضى

(1) عن : البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف لابن حمزة (2/ 135) .
(2) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى (2/ 218) .

حاجتهما... الحديث رواه الترمذى وقال: حسن غريب .

ولعل الطفل حين يصرخ يكون فى أزمة غير قادر على حلها ، فالمسارعة إليه والاستجابة لندائه ، تكون إنقاذًا له ، من خطر نفسى أو مادى ، يكاد ينزل به ، وقد يكون الأبوان – أو أحدهما – فى صلاة غير المكتوبة ، فماذا يكون التصرف عندئذ ؟:

فعن الأشجعى قال : كنا مع سفيان الثورى فمرّ ابنهُ سعيد ، فقال : ترون هذا ؟ ما جفوته قط ، وربما دعانى وأنا فى صلاة غير مكتوبة فأقطعُها له . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 319) .

ولقد بلغ من بر سفيان الثورى بولده الوحيد أن يستجيب له من بعد ، فيجهز نفسه للسفر إليه تحقيقاً لندائه .

فعن يحيى بن يمان قال : خرجت إلى مكة ، فقال لى سعيد بن سفيان : أقرئ أبى السلام ، وقل له تقدم ، فلقينى سفيان بمكة ، فقال : ما فعل سعيد ؟ قلت: صالح ويقول لك:أقدم فتجهز للخروج وقال: إنما الأبرارَ لأنهم أبَرّوا الآباء والأبناء . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 322) .

الأساس النفسى العاشر : أثر التكرار فى نفس الطفل :

الطفل كأى كائن بشرى ينسى ، ويغفل ، وقد خَصَّه الله ـ تعالى من بين جميع الكائنات الحية بهذه الطفولة الطويلة ، وهى مرحلة غير تكليفية ، وإنما هى تتهيأ للتكلف .

والقلم الملائكى عنها مرفوع : «رفع القلم عن الثلاث ... وعن الصبى حتى يحتلم» .

فإذا أدركنا هذا ، فإنه من السهل علينا أن نؤمن بمبدأ التكرار ، أى : تكرار الأمر أكثر من مرة حتى يؤثر فى نفس الطفل ، فينصاع للأمر ، ويستجيب للنداء .

أما دليل مبدأ التكرار ، فهو من قوله ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة ، وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم وهم أبناء عشر سنين » . رواه أبو داود وغيره .

فقد خصص النبى ﷺ ثلاث سنوات متواصلة لتأصيل أمر هام فى الإسلام ، وهو أمر الصلاة ، ومعلوم لدى الجميع أهمية الصلاة ؛ لذلك جاء الخطاب القرآنى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾[طه: 132] .

فلابد من الصبر فى هذه السنوات ، وتكرار طلب الصلاة من الطفل ، ونظرة حسابية ، إلى هذه المدة نجد أنه خلال ثلاث سنوات ، وفى كل صلاة يأمر الوالدان

ابنهما بالصلاة ، فيصبح لدينا رقم ضخم من أوامر التكرار وهو : (5× 365) × 3 = 5475 مرة [1] .

وهو رقم إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية التكرار ، وأن نفس الطفل قد لا يستجيب للأمر فى المرة الأولى ، ولا الثانية ، ولا الثالثة ، فلا بُدَّ من التكرار من غير يأس ، ولا قنوط .

فهذا الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود يدرك مبدأ التكرار مع الأطفال ، فقال فى توجيهه للآباء نحو أبنائهم : «عودوهم الخير ؛ فإن الخير عادة» .

وحتى يعتاد الطفل ، فلا بُدَّ من تكرار الملاحظة أكثر من مرة ؛ لأنه سيخطئ ، ولهذا كان أنس ـ رضي الله عنه ـ يطبق سُنَّة رسول الله ﷺ ، فيمرّ على الصبيان ، ويسلّم عليهم، ويقول : كان رسول الله ﷺ يفعله .

فعندما يرى ويسمع الطفل السلام من الكبار عليه أكثر من مرة ، يتعلّم السلام ، فما يلبث إلا أن تكون عادته .

الأساس النفسى الحادى عشر : التدرُّج فى الخطوات مع الطفل :

من الحديث السابق : «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين» نستفيد مبدأ عظيمًا مؤثرًا فى نفس الطفل وهو التدرج ، وعدم دفع القضايا جملة واحدة ، وأن لكل مرحلة زمنها ، فالصلاة – وهى ركن الدين وعموده– تمرُّ فى ثلاث مراحل مع الطفل :

1 – **المرحلة الأولى** : وهى من لحظة مسيرة ووعيه إلى السابعة من عمره ، وهى مرحلة المشاهدة ، حيث يشاهد الطفل والديه يصليان ، فيسارع إلى الصلاة ، فإذا دَرَّبه والداه عليها كان له خيرًا على خير .

2 – **المرحلة الثانية** : مرحلة الأمر ، وتمتدُّ من السابعة من عمره إلى العاشرة ؛ حيث يوجه الوالدان الأوامر للطفل ، ويطلبان منه الصلاة .

3 – **المرحلة الثالثة** : مرحلة الضرب ، وتبدأ من العاشرة إلى ما بعد ، وفيه يضرب الطفل إن لم يؤدِّ الصلاة .

إن لهذا التدرج فى الخطوات أثرًا كبيرًا فى نفس الطفل واستجابته ؛ لأنه مازال غضّاً يافعاً ، فلا بد من التدرج معه ، ونقله من مرحلة إلى أخرى . وتخطيط أى

(1) لقد طبقت مبدأ التكرار مع بناتى فوجدته نافعًا جدًا وخاصة بين السابعة والثامنة أول ما يتعود الطفل الصلاة ، فيظن أن الصلاة مرة واحدة فى العمر ، ثم يظن مرة واحدة فى اليوم ، ثم يظن أنها فى الصباح والمساء فقط ، إلى أن يدرك ويتعود خمس صلوات فى اليوم . وبالله التوفيق .

قضية ، أو هدف يطلب فيه السرعة ، يمـر بمراحـل وخطـوات يرسـمها الوالـدان ويتعاونان على تنفيذها .

الأساس النفسى الثانى عشر : الترغيب والترهيب للطفل :

الترغيب والترهيب من الأساليب النفسية الناجحـة فى إصـلاح الطفـل ، وهـو أسلوبٌ واضح ظاهر فى التربية النبوية ، وقد اسـتخدمه النبـى ﷺ مـع الأطفـال فى كثير من الحالات. وفى مقـدمتها : بـر الوالـدين ، فرغّـب فى برهمـا ، وأرهـب مـن عقوقهما ، وما ذاك إلا ليستجيب الطفل ، ويتأثر ، فيصلح من نفسه ، وسلوكه .

وهـو أسـلوب قرآنـى فريـد ، فـما مـن مـرة ذكـرت الجنـة وإلا وذكـرت النـار وبالعكس؛ لأن النفس البشرية تميل إلى حب الترغيب فى العمـل وثمرتـه ، وتخـاف من التحذير من فعل الخطأ ونتائجه ، وليس معنى الترهيـب هـو التخويـف المفـزع والمقلق للنفس ، وإنما تذكير الطفل بثواب الفعل وعقوبة المخالفة .

المبحث الرابع

أسلوب الترغيب فى بر الوالدين

والترهيب من عقوقهما

وصايا قرآنية .

تمهيد الطفل .

أولًا: أسس بر الوالدين فى حياتهما :

الأساس الأول :ثواب البر فى الدنيا والآخرة .

الأساس الثانى : تقديم بر الوالدين على الفروض الكفائية .

الأساس الثالث : لا طاعة للوالدين فى معصية الخالق مع بقاء الإحسان إليهما .

الأساس الرابع : أحق الناس بصحبتك والداك .

الأساس الخامس : تقديم بر الأم على الأب عند التعارض ، بعد محاولة التوفيق بينهما .

الأساس السادس : أنت ومالك لأبيك .

الأساس السابع : عتق الوالدين من أى مال استحق بذمتهما .

الأساس الثامن : الدعاء المتبادل بين الأبوين وأبنائهم .

الأساس التاسع : ألا تَسْتَسِبّ لوالديك .

الأساس العاشر : أَشْهِر الانتساب لأبيك ، واعْتَزّ به.

الأساس الحادى عشر : الحج عمن عجز منهما صحيًّا عن أدائه .

الأساس الثانى عشر : إنفاذ نذرهما .

الأساس الثالث عشر : العقوق من الكبائر ، وجزاؤه فى الدنيا والآخرة .

ثانياً : أسس البر بعد وفاة أحدهما ، أو كليهما :

الأساس الأول :إنقاذ عهدهما ، ووصيتهما .

الأساس الثانى : الدُّعاء والاستغفار لهما .

الأساس الثالث : صلة رحمهما وبرّ أصدقائهما .

الأساس الرابع : الصدقة عليهما .

الأساس الخامس : الحج عنهما .

الأساس السادس : المسارعة للعمل الصالح لإدخال السرور على الوالد المتوفى .

الأساس السابع : زيارة قبريهما .

الأساس الثامن : برّ قسمهما وألا تستسبّ لهما .

الأساس التاسع : الصوم عنها .

وصايا قرآنية

الآية الأولى :

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ

أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾

[لإسراء] .

الآية الثانية :

﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت] .

الآية الثالثة :

﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان] .

قال أحد الشعراء

أَغْـرَى امـرؤٌ يومًـا غلامًـا جـاهلًا ... بنقـودِه حتـى ينـالَ بـهِ الـوَطَرْ
قـال ائتنـى بفـؤادِ أمـكَ يـا فتـى ... ولكَ الجـواهرُ والـدراهمُ والـدُّرَرْ
فَمضَى ـ وأغْـرَزَ خنجـرًا فى صـدرِها ... والقلبُ أخرجَهُ وعـادَ عـلى الأثَـر
لكنّـه مـن فَـرْطِ سُرْعتِـه هـوى ... فَتَـدَحْرَجَ القلـبُ المُعَفَّـرُ إذْ عَثَـرْ
نـاداه قلـبُ الأمِّ وهـو مُعَفَّـرٌ ... ولدى حبيبى هل أَصابَكَ مِـنْ ضَرَرْ
فكـان هـذا الصـوتُ رغـمَ حُنُـوِّه ... غَضَبُ السماء عِلى الوليد قد انْهَمَـرْ
فـدَرَى فظيـعَ خِيانـةٍ لم يأتهـا ... وَلَـدٌ سـواه منـذُ تـاريخ البشَرْ ـ
وارتـدَّ نَحْـوَ القلـب يَغْسـلُه بـما ... فاضَتْ به عَيْنـاه مـن سَـيْل العِـبَرْ
ويقـول يـا قلـب انـتقم منـى ولا ... تغفـر فـإن جريمتـى لا تغتفـر
واسـتل خنجـره لـيطعن صـدره ... حنقًـا ويبقـى عِـبْرة لمـن اعْتَـبَرْ
ناداهُ قلـبُ الأُمِّ قِـفْ ، وَلَـدى ، ولا ... تطعـنْ فـؤادى مـرَّتين عـلى الأَثَـرْ

أسلوب الترغيب فى بر الوالدين
والترهيب من عقوقهما

تمهيد :

إن علاقة هذا الفصل بتربية الطفل و تبرز أهميته لارتباطه مباشرة بكل إنسـان ، ذكر أم أنثى ؛ وذلك لما ورد من الأحاديث الشريفة التى توضح أن لبرّ الوالدين كبير

الأثر فى بر الأبناء ، وبالتالى إذا أردنا من أطفالنا أن يبرونا ، فهذا يتطلب منا – سواء كنا عذاباً أم متزوجين – المسارعة إلى بر الوالدين ، كما نصح بذلك رسول الله ﷺ :

فقد روى الحاكم[1] عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم ، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، ومن أتاه أخوه متنصلًا فليقبل ذلك محقًا أو مبطلًا ، فإنْ لم يفعل لم يرد علىّ الحوض» .

وروى الطبرانى بإسناد حسن عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : «برّوا آباءكم تبركم أبناؤكم ، وعِفّوا تعِف نساؤكم» .

فإذا اتضح لنا سبب عقوق الأبناء ، وهم فى مرحلة الطفولة ، التى تتميز بقوة سيطرة الوالدين ، وعمق فطرتيهما ، فإن الطريق السليم لتقويم الطفل ، وسلوكه سلوك الأبرار ، وسيره بشكل سوى ، هو أن نُعدّل من سلوكنا ، وأن نغير من علاقتنا مع والدينا ، نحو : البر ، والطاعة ، والابتعاد عن العقوق بشتى ألوانه وصوره؛ لذلك حال الوالدين جرى إلى الأبناء بالشعور وبلا شعور وهى سنة إلهية كما أخبر النبى ﷺ : «اعمل ما شئت كما تدين تُدان» . رواه عبد الرزاق فى مصنفه .

وإذا تأمل الإنسان من حوله ، لوجد مصداق هذا القول ، ورأى بأم عينيه أن الأب العاق لوالديه سينتج ولدًا عاقًا فهى قاعدة مطردة منتظمة لهذا قلنا : إنه لا بد من تعديل سلوك الآباء مع والديهم حتى يتم تعديل سلوك الأبناء معهم .

ويبقى سؤال : كيف يكون الإنسان بارًا؟ وما هى أسس البر؟

وهل البر عند حضور الوالدين؟ أم فى غيابهما أيضًا؟ وهل يتعدى إلى ما بعد وفاتهم كذلك؟

من خلال البحث ، والمتابعة فى الأحاديث النبوية ، نجد أن هناك أسسًا للبر فى حياتهما، وأسسًا للبر بعد وفاتهما ، وبذلك فتح باب البر على مصراعيه ، وامتدت فترة البر طويلًا ، وطال زمن الاستفادة وتعديل الخطأ المرتكب ، وذلك من رحمة الله بعباده ، وأى رحمة ؟ ! والعجب كل العجب رغم كل هذه التسهيلات ، وكثرة الرحمة **الإلهية** ، أن نجد العقوق بين الناس منتشرًا بألوان وأشكال متنوعة – أجارنا الله من العقوق – وهذا عين الظلم للنفس وللأبناء ، فمن لم يكن رحيمًا بنفسه بأن يكون بارًا لوالديه ، فليكن رحيمًا بأطفاله ؛ بأن يسارع لبر والديه حتى يوفِّق الله أبناءه ، وأطفاله لبره ، فينتشلهم من إثم العقوق ، وغضب الله ـ تعالى .

---

(1) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وقال الذهبى : صحيح ، المستدرك (4/ 154) .

أولًا : أسس برّ الوالدين فى حياتهما

الأساس الأول : ثواب البر فى الدنيا والآخرة :

إن لبر الوالدين كبير الأثر فى حياة الإنسان الدنيوية والأخروية ؛ لهذا نجد الرسول ﷺ يحدد معالم هذا البر ، وأثره فى حياة الفرد المسلم ؛ الذى إذا صلح أدى ذلك إلى صلاح المجتمع .

ويبين أن هذا البر حق واجب على الإنسان ، وليس نفلاً يتبرع به ، فقد روى أبو داود عن كليب بن منفعة ، عن جده : أنه أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، من أَبَرُّ ؟ قال: «أمَّك ، وأباك ، وأختك ، وأخاك ، ومولاك الذى يلى ذلك ، حقاً واجبًا ، ورحمًا موصولة» .

وروى الإمام أحمد عن المقدام بن معد يكرب ، عن النبى ﷺ قال : «إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، إن الله يوصيكم بآبائكم ، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب»[1] . ورواه ابن ماجه أيضًا.

وروى ابن ماجه عن أبى أمامة – رضى الله عنه : أن رجلًا قال : يا رسول الله ، ما حق الوالدين على ولدهما ؟ قال «هما جنتك ونارك».

وروى الترمذى،عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:«رضا الرب فى رضا الوالد وسخط الوالد»[2].

وروى الإمام أحمد والنسائى عن جاهمة – مرفوعًا : «الزمها ، فإن الجنة تحت أقدامها»[3]. أى : الوالدة ، فإذًا لا بد من معرفة عظم مكانة الوالدين ، وأهمية برهما.

عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «الوالد أوسط أبواب الجنة ، فإن شئت فحافظ على الباب ، أو اترك هذا» .رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 152) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى .

أثر بر الوالدين فى الدنيا :

زيادة العمر والرزق :

روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من سرّه أن يُمدَّ له فى عمره ، ويزداد فى رزقه ، فليبرّ والديه ، وليصل رحمه» .

---

(1) صحيح . انظر : صحيح الجامع رقم (1249) .

(2) ورواه ابن حبان . انظر : سلسلة الأحاديث :الصحيحة رقم: (516) ، ورواه الحاكم فى مستدركه (4/ 152) وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . .

(3) صحيح . انظر : صحيح الجامع رقم (1924) ، ورواه البخارى فى الأدب، الطبرانى،الحاكم .

وروى أبـو يعـلى والطبرانـى والحـاكم (وقال:صـحيح ،وأقـره الـذهبى)[1] والأصبهانى عن معاذ بن أنس ﷺ قال : أن رسول الله ﷺ قـال : «مـن بـرَّ والديـه طوبى له، زاد الله فى عمره» .

وعن ثوبان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الرجل ليُحْرَم الـرِّزق بالـذنب يُصيبه ولا يَرُدُّ القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر إلا البر» . رواه ابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، واللفظ له ، والحاكم بتقديم وتأخير ، وقال : صحيح الإسناد .

وعن سلمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «لا يردُّ القضاء إلا الـدعاء، ولا يزيـد فى العُمر إلا البر» . رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

أثر بر الوالدين فى الآخرة :

1 – التكفير لذنوب الدنيا :

روى الترمذى عن أبن عمر – رضى الله عنهما – أن رجلًا أتى النبى ﷺ فقـال : يا رسول الله ، إنى أصبت ذنبًا عظيمًا ، فهل لى من توبة ؟ فقال : «هل لـك مـن أم؟» قال: لا ، قال : «هل لك من خالة؟» قـال : نعـم ، قـال : «فبرّهـا» . ورواه الحـاكم بألفاظ متقاربة ، وقال : صحيح الإسناد .

وروى البخارى فى الأدب المفرد، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه أتاه رجل فقال : إنى خطبتُ امرأةً فأبـتْ أن تنكحنـى، وخطبهـا غـيرى ، فأحبَّتْ أن تنكحه ، فغِرْتُ عليها ، فقتلتُها ؛ فهل لى من توبة؟ قال : أمُّكَ حَيَّةٌ؟ قال: لا ، قال : تُبْ إلى الله ـ عزَّ وجل ، وتقرَّب إليه ما استطعتَ ،فذهبتُ ، فسـألتُ ابـنَ عباس : لمَ سألْتَه عن حياة أُمِّه؟ فقال : إنى لا أعلمُ عملًا أقربَ إلى الله عز وجل من برِّ الوالدة.

2 – دخول الجنة :

روى النسائى[2] عن عائشة – رضى الله عنها – عـن النبـى ﷺ قـال : «دخلـت الجنة فسمعت قراءة فقلت : من هـذا؟ فقيـل : حارثـة بـن الـنعمان» فقـال رسـول الله ﷺ: «كذلكم البر» وكان بارًا بأمـه ، وفى روايـة أحمـد : كـان أبـر النـاس بأمـه ، وإسناده صحيح .

وروى البخارى فى الأدب المفرد عن ابن عباس – رضى الله عـنهما – قـال : مـا مِن مسلم له والدان مسلمان ، يُصْبحُ إليهما مُحْتَسِباً ، إلا فتحَ الله له بابين – يعنـى مـن

---

(4) فيض القدير للمناوى (6/ 95) .

(1) ذكره ابن حجر فى الإصابة (1/ 312) .

الجنة– وإن كان واحدٌ فواحدٌ ، وإن أغضب أحدَهُما لم يَرْضَ اللهُ عنه حتى يرضى عنه ، قيل : وإن ظلماه قال : وإن ظلماه» .

وروى مسلم عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، ثم رغم أنفه : من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلم يدخل الجنة» .

قال النووى[1] رحمه الله : «رغم أنفه» كناية عن الذل ، كأن أنفه لصق بالرغم ، أى: بالتراب تحقيرًا و هوانًا .

وقد تقدَّم حديثُ النبى ﷺ للرجل: «هما جنتك ونارك» .

وروى أحمد بإسناد صحيح :«من أدرك والديه ، أو أحدهما ، ثم دخل النار بعد ذلك ، فأبعده الله وأسحقه» .

وروى أحمد، والطيالسى والحاكم بسند صحيح : «الوالد أوسط أبواب الجنة» .

وعن عروة بن مرة قال : جاء رجلٌ إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله ، شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الخمس ، وأديت زكاة مالى ، وصمت شهر رمضان ، فقال النبى ﷺ : «من مات على هذا كان مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء يوم القيامة هكذا» ونصب أصبعيه «ما لم يعقّ والديه» . رواه أحمد والطبرانى بإسنادين ، ورجال أحد إسنادى الطبرانى رجال الصحيح ، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (8/ 147) .

وكلنا يعلم قول النبى ﷺ :«لا طاعة لبشر فى معصية الله ، إنما الطاعة فى المعروف».

الأساس الثانى : تقديم بر الوالدين على الفروض الكفائية :

إن بر الوالدين فرض على كل فرد مسلم ، فرضه الله تعالى على عباده ، فلا يوازى هذا الفرض إلا فرض مثله ، وبقوته ، أى : إن الفروض العينية على كل فرد توازى فرض بر الوالدين ، مثل صلاة الفرض ، وصيام رمضان ، والزكاة ، وما علم من الدين بالضرورة ، والجهاد فى سبيل الله فى حالة فرضه العينى (وهو النفير العام) ، ففى مثل هذه الحالات يحاول الابنُ قدر استطاعته التوفيق بينهما ، فإذا عجز عن ذلك – مع بذل قصارى جهده– يقدم فرض الله العينى على فرضية بر الوالدين؛ ولهذا قال الإمام الغزالى بعد أن ساق أحاديث بر الوالدين : «أكثر العلماء

---

[1] رياض الصالحين ، باب : بر الوالدين .

على أن طاعة الأبوين واجبة فى الشبهات»[1].

أما فى الفروض الكفائية ؛ التى إذا أقامها البعض قيامًا ، يكتفى منه المجتمع المسلم، سقط عن الباقين ، فإن فرض بر الوالدين يتقدم عليها جميعًا، فما بالك إذا تعارض فرض بر الوالدين مع المباحات والمندوبات ؛ لهذا قال الإمام الغزالى[2]: «من شغله نفله عن فرضه فهو مغرور ، ومن شغله فرضه عن نفله فهو معذور» . ولتكن كلمة الغزالى هذه قاعدة أصيلة فى حياة الإنسان ، يوازن بها الأمور ، ويجريها عند التعارض ، وسنأتى على ذلك بأمثلة :

1 – تقديم بر الوالدين على الجهاد فى سبيل الله :

روى الحاكم فى مستدركه[3]، وقال : صحيح الإسناد ، وأقره الذهبى : أن جاهمةﷺ أتى النبىﷺ ، فقال : إنى أردتُ أن أغزو ، وجئت أستشيرك ، قال : «ألك والدة؟» قال : نعم ، قال : «اذهب فالزمها ، فإن الجنة عند رجليها» .

وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : سألت النبى ﷺ: أى العمل أحبُّ إلى الله تعالى ؟، قال : «الصلاة على وقتها» ، قلت : ثم أىّ؟ قال: «بر الوالدين» ، قلت : ثم أىّ؟ قال :«الجهاد فى سبيل الله» .

وقد شرح هذا الحديث أحد الأئمة الكبار ، وهو ابنُ حجر العسقلانى فقال :

«قال ابنُ التين : تقديم البر على الجهاد يحتمل وجهين :

أحدهما: التعدية إلى نفع الخير .

والثانى : أن الذى يفعله يرى أنه مكافأة عى فعلها ، فكأنه يرى أن غيره أفضل منه ، فنبَّهه على إثبات الفضيلة فيه .

قلت – أى : ابن حجر : والأول ليس بواضح ، ويحتمل أنه قدم لتوقف الجهاد عليه ؛ إذ من بر الوالدين استئذانهما فى الجهاد ؛ لثبوت النهى عن الجهاد بغير إذنهما[4].

وفى الصحيحين – واللفظ لمسلم – عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – قال : أقبل رجلٌ إلى النبى ﷺ فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ، أبتغى الأجر من الله ـ تعالى ، فقال : «هل لك من والديك أحدٌ حى؟» قال : نعم ،

---

(1) الإحياء (2/ 218) .
(2) كلمة كنت أسمعها من أحد مشايخى ، ويُردِّدها كثيراً ، وانتفعت بها كثيراً ، فجزاه الله خيراً .
(3) المستدرك (2/ 104) .
(1) فتح البارى (13/ 4) .

بل كلاهما ، قال : «فتبتغى الأجر من الله تعالى؟» قال : نعم ؛ قال :«فارجع إلى والديك، فأحسنْ صحبتهما» . وفى رواية لهما : جاء رجل فاستأذنه فى الجهاد ، قال : «أَحَيٌّ والداك؟» قال : نعم ، قال :«ففيهما فجاهد» .

قال الحافظ ابن حجر :«قوله : ففيهما فجاهد» أى : إن كان لك أبوان ، فأبلغ جهدك فى برهما ، والإحسان إليهما ، فإن ذلك يقوم لك مقام قتال العدو [1].

قال الإمام القرطبى المتوفى 656هـ فى كتابه (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1/ 275)) ضوابط عظيمة ومفيدة لواقعنا المعاصر :

وقوله (ثم الجهاد فى سبيل الله) ظاهرُ هذا الحديث[2]: أن الجهادَ أفضلُ من سائر الأعمال بعد الإيمان ، وظاهرُ حديث أبى ذرَ أن الجهاد مساوٍ للإيمان فى الفضل ، وظاهرُ حديث ابن مسعود يخالفهما ؛ لأنه أخّر الجهاد عن الصلاة ؛ وعن بر الوالدين، وليس هذا بتناقض ؛ لأنه إنما اختلفت أجوبتُه لاختلاف أحوال السائلين، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان يجيب كلَّ سائلٍ بالأفضل فى حقّه ، وبالمتأكد فى حقه ، فمن كان متأهِّلاً للجهاد ، وراغبًا فيه ، كان الجهاد فى حقه أفضل من الصلاة وغيرها ، وقد يكون هذا الصالح للجهاد له أبوان و يحتاجان إلى قيامه عليهما ، ولو تَرَكَهما لضاعا ؛ فيكون برُّ الوالدين فى حقه أفضلَ من الجهاد ، كما قد استأذن رجل النبى ﷺ فى الجهاد ، فقال : «أحيٌّ والداك؟» قال : نعم ، قال : «ففيهما فجاهد» وهكذا سائر الأعمال .

وقد يكون الجهادُ فى بعض الأوقات أفضل من سائر الأعمال ، وذلك فى وقت استيلاء العدو وغلبته على المسلمين ، كحال هذا الزمان [3]، فلا يخفى على من له أدنى بصيرة ، أن الجهادَ اليوم أوكدُ الوجبات ، وأفضلُ الأعمال ، لما أصابَ المسلمين من قَهْر الأعداء ، وكثرة الاستيلاء شرقًا وغربًا ، جَبَرَ الله صَدْعنا ، وجدد نصرنا».انتهى كلام القرطبى ـ رحمه الله تعالى .

ويزيد الإمام الغزالى معنى عظيمة فى محاكمة الأمور عند تعارضها مع بر الوالدين، فيقول ـ رحمه الله تعالى : «أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة فى الشبهات ، وإن لم تجب فى الحرام المحض ، حتى إذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام ، فعليك أن تأكل معهما؛ لأن ترك الشبهة ورع ، ورضا الوالدين حتم ،

---

(2) المرجع السابق (13/ 6) .

(1) الحديث : سئل رسول الله ﷺ : أىُ الأعمال أفضلُ؟ قال :«الإيمانُ بالله ورسوله» قيلَ : ثم ماذا؟ قال «الجهاد فى سبيل الله» قيل : ثم ماذا؟ قال :«حج مبرور» . رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

(2) هذا فى زمان الإمام القرطبى (576 – 656هـ) ، فكيف يكون الكلام فى زماننا !! . اللهم ارحم ضعفنا ، واجبرْ كسرنا ، وحَوّل حالنا لأحسن حال .

وكذلك ليس لك أن تسافر فى مباح ، أو نافلة إلا بإذنهما ، والمبادرة إلى الحج الذى هو فرض الإسلام نفل ؛ لأنه على التأخير ، والخروج لطلب العلم نفل إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ، ولم يكن فى بلدك من يعلمك ، وذلك كمن يسلم ابتداء فى بلد ليس فيها من يعلمه شرع الإسلام ، فعليه بالهجرة ، ولا يتقيد بحق الوالدين»[1] .

وقال الإمام الكاسانى فى «بدائع الصنائع» (7/ 98) : « وكذا الولد لا يخرج إلا بإذن والديه ، أو أحدهما إذا كان الآخر ميتًا ؛ لأن بر الوالدين فرض عين ، فكان مقدماً على فرض الكفاية» ا.هـ .

2 – تقديم بر الوالدين على الزوجة والأصدقاء :

روى الترمذى عن على – كرم الله وجهه – قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء :

«... وأطاع الرجل زوجته وعقّ أمه وبرّ صديقه وجفا أباه ... الحديث» . وقال: حديث غريب .

وفى رواية للترمذى عن أبى هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ «وأطاع الرجلُ امرأَتَهُ ، وعَقَّ أُمَّهُ ، وأدنى صديقه ، وأقصى أباه ..» قال الترمذى : وفى الباب عن علىٍّ ، وهذا حديث غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وروى أبو داود والترمذى عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : كانت تحتى امرأة ، وكنت أحبُّها ، وكان عمر يكرهها ، فقال لى : طلقها فأبيتُ ، فأتى عمر ﷺ النبى ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبى ﷺ : «طلقها»[2].

وروى الإمام أحمد والنسائى وصححه الحاكم عن عائشة – رضى الله عنها سألت النبى ﷺ : أى الناس أعظم حقًا على المرأة قال :«زوجها» ، قلت : فعلى الرجل؟ قال : «أمه» .

وحسبنا شاهدًا يوقظ من الغفلة أن نختم بهذا الحديث :

وروى الإمام أحمد (مختصرًا) والطبرانى (واللفظ له) عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما ـ قال : كنا عند النبى ﷺ فأتاه آت فقال : شاب يجود بنفسه ، قيل له:

---

(1) الإحياء (2/ 218) .

(2) قال الإمام أحمد لرجل سأله نفس السؤال : ائتنى بأب مثل عمر لكى يأمر ابنه بالطلاق ، حتى يستجيب الابن له .

قل: لا إله إلا الله ، فلم يستطع ، فقال : «أكان يصلى» فقال : نعم ، فنهض رسول اللهﷺ ، ونهضنا معه ، فدخل على الشاب ، فقال له : «قل لا إله إلا الله» فقال: لا أستطيع ، قال : «لم؟» قيل : كان يعقّ والدته ، فقال ﷺ : «أحيه: والدته؟» قالوا : نعم ، فدعاها ، فقال لها : «أرأيتِ لو أجَّجتُ نارًا ضخمة ، فقيل لكِ : إن شفعت له خلينا عنه ، وإلا أحرقناه بهذه النار ، أكنتِ تشفعين له؟» قالت : يارسول الله ، إذاً أشفع ، قال : «فأشهدى الله ، وأشهدينى أنك قد رضيت عنه قالت: اللهم إنى أشهدك وأشهد رسولك أنى قد رضيت عن ابنى ، فقال له رسول الله ﷺ : «يا غلام، قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله» فقالها، فقال رسول اللهﷺ : «الحمد لله الذى أنقذه من النار» .

3 – تقديم بر الوالدين على الحج :

فى الصحيحين عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال رسول الله ﷺ : «لِلْعبد المملوك المُصْلح أجران» والذى نفس أبى هريرة بيده ، لولا الجهاد فى سبيل الله ، والحجُّ ، وبِرُّ أمى، لأحببت أن أموت وأنا مملوك .

هذا ، ولم يحج أبو هريرة حتى ماتت أمه ، مبالغة فى إكرام أمه ، وصحبتها . ورواه الترمذى ـ أيضًا .

4 – تقديم بر الوالدين على زيارة الرسول ﷺ :

وهذا نموذجٌ فى غاية الروعة والجمال ، اكتسب صاحبه شرف السبق فى كل ميدان بفضل شغله ببرّ أمه ، حتى أنه ما كان يستطيع زيارة النبى ﷺ ومشاهدته ، ولو مرة واحدة ، لاحتياج أمه إليه ، إنه أويس القرنى ـ رحمه الله تعالى – رزقنى الله وإياك مثل بره – أخرج مسلم، عن أسيد بن جابر – رحمه الله – قال : كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمدادُ أهل اليمن سألهم : أفيكم أويس بن عامر؟ قال : نعم ، قال : من مُرادٍ ثم من قرنٍ؟ قال : نعم قال : فكان بك بَرَصٌ ، فبرأت منه إلا موضع دِرهم؟ قال : نعم قال : لك والدةٌ؟ قال : نعم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مرادٍ ثم من قرن ، وكان به برص ، فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها برٌّ لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فاستغفر لى ، فاستغفر له ، فقال له عمر : أين تريد؟ قال : الكوفة ، قال : ألا أكتب إلى عاملها؟ قال : أكون فى غبراء الناس أحبُّ

إلىّ .

قال : فلما كان من العام المقبل حجَّ رجل من أشرافهم ، فوافق عمر ، فسأله عن أويس ، قال : تركته رثَّ البيت ، قليل المتاع ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُرادٍ ، ثم من قرن ، كان به برص ، فبرأ منه ، إلا موضع درهم له والدة هو بها بر ، لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فأتى أويسًا ، فقال : استغفر لى ، قال : أنت أحدث عهداً بسفرٍ صالح ، فاستغفر لى ، قال لقيت عمر؟ فقال : فاستغفر له ، ففطن له الناس ، فانطلق على وجهه ، قال أُسَيْد: وكسوتُهُ بُردة ، فكان كلما رآه إنسان ، قال : من أين لأويس هذه البردة؟!

5 – تقديم بر الوالدين على حب الأولاد :

معنا الآن حادثة غريبة فى أمرها ، عظيمة فى بابها ، رائعة فى إخلاصها ، قمة فى معانيها وفى برّ صاحبها ، تبين كيف أن الإخلاص فى بر الوالدين ينجى صاحبه فى الظلمات الحالكة ... وفى الأزمات الصعبة ... عندما يبلغ آخر أنفاسه ، فيأتيه الفرج الربانى لقاء بر الوالدين ، جعلنى الله وإياك من البررة :

فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثةُ نفر ممن كان قبلكم ، حتى آواهم المبيتُ إلى غار ، فدخلوه ، فانحدرت صخرةٌ من الجبل ، فسدّت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله ـ تعالى ـ بصالح أعمالكم ، قال رجلٌ منهم : اللهم ، إنه كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنتُ لا أغْبِقُ[1] قبلهم أهلًا ولا مالًا ،فنأى[2] بى طلبُ الشجر يومًا ، فلم أرحْ[3] عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما ، فوجدتهما نائمين ، فكرهتُ أن أوقظهما ، وأن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا ، فلبثت والقدح على يدى – أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر – والصبية يتضاغون [4] عند قدمى ، فاستيقظا ، فشربا غَبوقَهما ، اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه .

قال الآخر : اللهم ، إنه كانت لى ابنةُ عمٍ كانت أحب الناس إلىّ . وفى رواية :

---

(1) أى : لا أقدم على الشرب .
(2) أى : بعد .
(3) أى : أرجع.
(4) أى : يصيحون .

كنتُ أحبها كأشدِّ ما يحبُّ الرجالُ النساء ، فأردتُها على نفسها ، فامتنعت منى ، حتى ألَمَّتْ بها سنة من السنين ، فجاءتنى ، فأعطيتها عشرين ومائة دينارًا على أن تخلى بينى وبين نفسها ، ففعلت ، حتى إذا قدرتُ عليها . وفى رواية : فلما قعدتُ بين رجليها قالت : اتقِ الله ، ولا تفضّ الخاتم إلا بحقّه ، فانصرفتُ عنها ، وهى أحبُّ الناس إلىّ، وتركتُ الذهب الذى أعطيتها ، اللهم ، إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ، ففرّج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللهم ، إنى استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجلٍ واحدٍ ترك الذى له ، وذهب ، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءنى بعد حين ، فقال : يا عبد الله ، أدِّ إلىّ أجرى ، فقلتُ : كلُّ ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد الله ، لا تستهزئ بى ، فقلتُ : لا أستهزئ بك ، فأخذه كله ، فاستاقه ، فلم يترك منه شيئًا . اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنَّا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون» .

6 – تقديم بر الأم على النوافل :

أخرج الشيخان (واللفظ لمسلم) عن أبى هريرة – رضى الله عنه – يرفعه «كان جريج رجلًا عابدًا ، فاتخذ صومعة ، فكان فيها ، فأتته أمه ، وهو يصلى ، فقالت : يا جريج ، فقال: اللهم أمى وصلاتى ، فأقبل على صلاته ، فقالت بعد ثالث يوم من ثالث مرة : اللهم لا تمته حتى ينظر فى وجوه المومسات ، فذكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته ، وكانت امرأة بغىّ يتمثّل بحسنها ، فقالت : إن شئتم لأفتننه ، فتعرضت له، فلم يلتفت لها ، فأتتْ راعيًا كان يأوى إلى صومعة ، فأمكنته من نفسها ، فوقع عليها، فحملت ، فلما ولدت ، قالت : هو من جريج ، فأتوه ، فأنزلوه من صومعته ، وهدموها ، وجعلوا يضربونه ، فقال: ما شأنكم؟ قالوا : زنيتَ بهذه البغى فولدت منك ! فلما انصرف أتى الصبى ، فطعن فى بطنه، وقال : يا غلام ! من أبوك؟ فقال فلان الراعى .

فأقبلوا على جريج يُقبِّلونه ، ويتمسَّحون به ، وقالوا : نبنى صومعتك من ذهب، قال : لا ، أعيدوها من لبن كما كانت ، ففعلوا ، وبينما كان الصبى يرضع من أمه، مرَّ رجلٌ على دابة فارهة ، وشارة حسنة ، فقالت المرأة : اللهم اجعل ابنى مثل هذا ، فترك الثدى ، وأقبل ينظر إليه ، وقال : اللهم ! لا تجعلنى مثله ، ثم أقبل على ثديه ، وجعل يرضع ، قال: فكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى ارتضاعه بإصبعه السبابة فى فمه يمصها .

ومروا بجارية يضربونها ، ويقولون : زنيت ، سرقت ، وهى تقول : حسبى الله تعالى ونعم الوكيل ، فقالت أمه : اللهم ، لا تجعل ابنى مثلها ، فترك الرضاع ، ونظر إليها ، فقال: اللهم اجعلنى مثلها .

فهناك تراجعًا الحديث ، فقال : مر رجل حسن الهيئة ، فقلت : اللهم اجعل ابنى مثله ، فقلت : اللهم لا تجعلنى مثله ، ومروا بهذه الأمة يضربونها ، ويقولون : زنيت، سرقتِ ، فقلت : اللهم لاتجعل ابنى مثلها ، فقلت : اللهم اجعلنى مثلها ، فقال : إن ذلك الرجل كان جبارًا ، فقلت : اللهم لا تجعلنى مثله ، وإن هذه يقولون لها : زنيتِ ، سرقتِ ، ولم تزن، ولم تسرق ، فقلتُ : اللهم اجعلنى مثلها» .

قال الحافظ ابن حجر : «قال ابنُ بطال : سبب دعاء أم جريج على ولدها : أن الكلام فى الصلاة كان فى شرعهم مباحًا ، فلما آثر استمراره فى صلاته ، ومناجاته على إجابتها دعت عليه لتأخيره حقها .قال ابنُ حجر : والذى يظهر من ترديده فى قوله : «أمى وصلاتى» أن الكلام عنده يقطع الصلاة ، فلذلك لم يجبها .

وقد روى الحسن بن سفيان من طريق الليث عن يزيد بن حوشب ، عن أبيه ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لو كان جريج عالماً لعلم أن إجابته أمه أولى من عبادة ربه»[1].

7 – تقديم بر الوالدين على الهجرة فى سبيل الله :

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى جئت أبايعك على الهجرة ، وتركت أبواى يبكيان ، قال : «فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما». رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 152) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه، وأقره الذهبى .

8 – الثناء على الوالدين وإظهار فضلهما ، وتقوية معنوياتهما لمواجهة الشدائد :

إن الحديث مع الوالدين يقوى من الصلة بهما ، كما أنه متعة روحية نفسية ، لمن يتذوق حق الوالدين وفضلهما ، وعظيم مكانتهما .

وفى حياة الوالدين تقع لهما مشاكل اجتماعية أو مالية أو صحية أو سياسية أو عند سكرات الموت ، فإذا أثنى عليهما الابن ، وذكرهما بفضلهما ، وحسن مكانتهما ، وبالطاعات التى كانا يفعلانها ، فإن ذلك يساعد على شد أزرهما و لمواجهة الحَدَث

(1) فتح البارى (3/ 321) .

الجديد.

فعن ابن شماسة قال : حضرنا عَمْرو بن العاص ﷺ وهو فى سياقةِ الموتِ- فبكى طويلًا ، وحوَّلَ وجهَهُ إلى الجدار ، فجعل ابنه يقول : يا أبتاه ، أما بشَّرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشّرك رسول الله ﷺ بكذا؟

فأقبلَ بوجهه ؛ فقال : إن أفضل ما نُعِدُّ شهادةُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله، إنى قد كنتُ على ثلاثة أطباق :

- لقد رأيتُنى وما أحدٌ أشدّ بُغضاً لرسول الله ﷺ منى ، ولا أحبّ إلىَّ من أن أكون قد استمكَنْتُ منه فقتلته ، فلو متُّ على تلك الحال ، لكنتُ من أهل النار .

- فلما جعلَ الله الإسلام فى قلبى ، أتيتُ النبىَّ ﷺ فقلتُ : أُبسط يمينَك ، فلأُبايعكَ ، فبسط يمينه ، فقبضتُ يدى ، فقال : «مالك يا عَمْرُو؟!» قلتُ : أردتُ أن أشترِط . قال : «تشترطُ ماذا؟» . قلتُ : أن يُغفر لى ، قال : «أما عَلِمْتَ أن الإسلام يهدِمُ ما كان قَبْله ، وأن الهجرة تَهدمُ ما كان قبلها ، وأن الحجَّ يهدِمُ ما كان قَبْلَهُ ؟» .

وما كان أحدٌ أحبَّ إلىَّ من رسول الله ﷺ ولا أجَلَّ فى عينى منه ، وما كنتُ أطيق أن أملأ عينى منه إجلالاً له ، ولو سئلتُ أن أصفه ما أَطَقْتُ ؛ لأنى لم أكن أملأ عينى منه ، ولو مِتُّ عى تلك الحال ، لرجوتُ أن أكونَ من أهل الجنة .

ثم وُلِّينا أشياءَ ما أدرى ما حالى فيها؟ فإذا أنا متُّ فلا تَصْحَبَنِّى نائحةٌ ، ولا نارٌ، فإذا دفتمونى ، فشُنُّوا علىَّ الترابَ شَنّاً ، ثم أقيموا حولَ قبرى ؛ قَدْرَ ما تُنْحَرُ جَزورٌ، ويُقسمُ لحمُها حتى أستأنسَ بكم ، وأنظرَ ما أراجعُ به رُسُلَ ربى!» . رواه مسلم .

9 – خاتمة – نموذج بر الرسول ﷺ لوالديه من الرضاعة ، وبرّ ابنته فاطمة له :

روى أبو داود عن عمر بن السائب – رضى الله عنه – بلغه : أن رسول الله ﷺ كان جالسًا يومًا ، فأقبل أبوه من الرضاعة ، فوضع له بعض ثوبه ، فقعد عليه ، ثم أقبلت أمه من الرضاعة ، فوضع لها شِقّ ثوبه من جانبه الآخر ، فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة ، فقام النبى ﷺ :«فأجلسه بين يديه» .

وروى أبو داود ـ أيضًا ـ عن أبى الطفيل ﷺقال : رأيت رسول الله ﷺ يَقْسمُ لحمًا بالجِعْرانة ، وأنا يومئذ غلامٌ ، أحمل عظم الجزُور ، إذ أقبلت امرأة حتى دنت إلى النبى ﷺ فبسط لها رداءه ، فجلست عليه ، فقلت : من هى ؟ فقالوا هذه أمه التى

أرضعته.

وروى الشيخان ومالك عن أمّ هانئ – رضى الله عنها – أخت على بن أبى طالب – رضى الله عنهما – قال : ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ عام الفتح ، فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تسترهُ بثوب ، فسلمتُ عليه فقال : «من هذه؟» فقلت أنا أم هانئ بنت أبى طالب ، فقال : «مرحبًا بأم هانئ ...الحديث» .

وروى الشيخان عن أبى حازم قال : إنه سمع سهل بن سعد يسأل عن جُرح رسول الله ﷺ يوم أحد، فقال جرح وجه رسول الله ﷺوكسرت رباعيتهُ ، وهُشِمت البيضة[1] على رأسه ، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم ، وكان علىٌّ يسكب عليها بالمجن[2] ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصيرة ، فأحرقته ، حتى صار رماداً ، ثم ألصقته بالجرح ، فاستمسك الدم .

الأساس الثالث : لا طاعة للوالدين فى معصية الخالق مع بقاء الإحسان إليهما :

إن الذى فرض طاعة الوالدين هو الله ـ تعالى ، فإذا أراد بعض الأبوين استغلال هذا الفرض فى غير ما أمر الله سبحانه ، فإن الله تعالى أذن للمسلم ، وطالبه بعدم الطاعة ، وفى ذلك إحسان لهما ، وتنبيه للرجوع إلى أمر الله تعالى ، فإن أصرّا على المعصية ، أو الكفر ، فيبقى الابن محسنًا لهما فى غير المعصية ... وهذا خلق إسلامى رفيع فى الإحسان إليهما ، ومصاحبتهما بمعروف رغم انحرافهما عن الشريعة ، ولكن دون أن يمسا العقيدة بأى طعن ، أو لمز ، أو غمز ، وكل ما يؤول إلى الكفر لا طاعة للوالدين فيه ، وكل أمر فيه معصية (كالحرام ، والمكروه تحريمًا) لا طاعة للوالدين فيه . مع إبلاغهما شرع الله تعالى برفق ، ولين وحكمه ، وليس بفظاظة وغلظة ، وغضب واستكبار.

وكلنا نعلم قول النبى ﷺ : «لا طاعة لبشر فى معصية الله ، إنما الطاعة فى المعروف[3] .

وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : «على المرء المسلم الطاعة ، فيما أحبَّ وكره ، إلا أن يُؤمر بمعصية ، فإذا أُمِرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة» . رواه الشيخان .

---

(1) **البيضة** : الخوذة ، **والهشم** : الكسر .

(2) **المجن** : الترس .

(3) رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والطيالسى . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (181) ورواه أبو يعلى فى مسنده (1/ 241) .

فقد أوجب النبى ﷺ الطاعة لمن تجب طاعته كالوالدين ؛ والحاكم المسلم ، سواء أحب المسلم ذلك الأمر أو كرهه ، فالحب والكره شىء ، وضرورة الالتزام بالطاعة شىء آخر ، أما المعصية فلا سمع فيها ولا طاعة كائنًا من كان آمرها ؛ لأن المعصية فيها مخالفة أمر الله تعالى الذى هو صاحب الأمر والنهى على الجميع ؛ ولأن «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» . رواه أحمد والطبرانى ، ورجال أحمد رجال الصحيح قاله الهيثمى فى المجمع (5/ 226) .

يقول الفخر الرازى فى التفسير : «الإنسان إن انقاد لأحد ينبغى أن ينقاد لأبويه، ومع هذا لو أمراه بالمعصية لا يجوز اتباعهما فضلاً عن غيرهما» [1] .

وفى جيل الصحابة شواهد كثيرة على ذلك :

أخرج مسلم والترمذى عن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال : «أنزلت فىّ أربع آيات من القرآن ، قال : حلفت أم سعد ألا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه ، ولا تأكل ولا تشرب ، قالت : زعمت أن الله وصّاك بوالديك ، فأنا أمّك ، وأنا آمرك بهذا ، قال : مكثت ثلاثًا حتى غُشى عليها من الجهد ، فقام ابنٌ لها يقال له عُمارة فسقاها ، فجعلت تدعو على سعد ، فأنزل الله عزّ وجلّ فى القرآن هذه الآية : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت]، ﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان][2].

وروى ابن جرير بسنده[3] عن ابن زياد قال : دعا رسول الله ﷺ عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول ، قال : «ألا ترى ما يقول أبوك؟» قال : وما يقول أبى؟ فداك أبى وأمى ، قال : «يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأزل» فقال: فقد صدق والله يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأزل وأما والله ، لقد قدمتَ المدينة يارسول الله ، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحدٌ أبرّ بوالده منى ، ولئن كان يرضى الله ورسوله أن آتيهما برأسه لأتيتهما به ، فقال رسول الله ﷺ : «لا»، فلما

---

[1] انظر : تفسير الرازى (25/ 35) .

[2] قال القرطبى فى تفسير الآية (14/ 64) : «إن طاعة الأبوين لا تُراعى فى ارتكاب كبيرة ، ولا فى ترك فريضة ، وتلزم طاعتهما فى المباحات» . وقال الرازى (25/ 147) : «يعنى أن خدمتهما واجبة وطاعتهما لازمة مالم يكن فيها ترك طاعة الله ، أما إذا أفضى إليه فلا تطعهما» .

[1] ورواه محمد بن إسحاق بن يسار كما فى (مختصر ابن كثير) للصابونى .

قدموا المدينة قام عبد الله بن عبد الله بن أبى على بابها بالسيف لأبيه قال أنت القائل: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل؟ أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسول الله ﷺ ؟ والله لا يؤويك ظلها ، ولا يؤويه ـ أبدًا إلا بإذن من الله ورسوله ، فقال : ياللخزرج .. ابنى يمنعنى بيتى .. ياللخزرج ! .. ابنى يمنعنى بيتى! .

فقال : والله ، لا يأويه ـ أبدًا إلا بإذن منه ، فاجتمع إليه رجالٌ فكلموه ، فقال : والله، لا يؤويه إلا بإذن من الله ورسوله ، فأتوا النبى ﷺ فأخبروه ، فقال :«اذهبوا إليه فقولوا له : خلّه ومسكنه» ، فأتوه ، فقال : أما إذا جاء أمر النبى ﷺ فنعم .

وقال الحميدى فى مسنده[1]: قال عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول لأبيه : والله لا تدخل المدينة ـ أبدًا ـ حتى تقول : رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأزل .

ويبقى الإحسان إليهما فى أمور الدنيا مستمرًا ، وصلة رحمهما دائمة .وفى الصحيحين، عن أسماء بنت أبى بكر الصديق – رضى الله عنهما – قالت : قدمَتْ علىَّ أمى وهى مشركة فى عهد ، أى : معاهدته ﷺ (مع المشركين ، وتأمينه لهم فى صلح الحديبية) فاستفتيتُ رسول الله ﷺ قلت : قدمت علىّ أمى وهى راغبة (أى : طامعة فيما عندى تسألنى شيئًا) أفأصل أمى (أى : أتصدَّق عليها مع كفرها) ؟ قال: نعم ، صلى أُمَّكِ» .

قال ابن عيينة : فأنزل الله تعالى قوله : ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة] .

ويبقى الابن المسلم حريصاً كل الحرص على إسلام والديه ، ودعوتهم إلى الإيمان، وحثهم على التطبيق ، بكل لهفة ، ورحمة ، ولطف ، وهدوء ، وهذا مسلك الأنبياء والمرسلين فى دعوة آبائهم ، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام يقدِّم لنا نموذجاً فى طريقة الدعوة :

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا

(2) مختصر ابن كثير للشيخ: محمد على الصابونى (3/ 506) .

﴿ ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠ ﴾ [مريم] .

وهذا أبو هريرة يقدم نموذجًا رائعًا فى الحرص على دعوة أمه : روى البخارى فى «الأدب المفرد» عن أبى كثير التميمى قال : سمعتُ أبا هريرة ﷺيقول : ما سمع بى أحد يهودى ، ولا نصرانى إلا أحبنى ، وإن أمى كنت أريدُها على الإسلام فتأبى، فقلت لها فأبت ، فأتيت النبى ﷺ فقلت : ادع الله لها ، فدعا ، فأتيتها ، وقد أغلقتْ عليها الباب ، فقالت : يا أبا هريرة ، إنى قد أسلمتُ ، فأخبرت النبى ﷺ فقلت : ادع الله لى ولأمى ، فقال : «عبدك أبو هريرة وأمه أحبّهما إلى الناس» .

وهذا أبو بكر يسارعُ بعد فتح مكة ليأخذ والده إلى النبى ﷺ طمعًا فى إسلامه ، وقد كان :

عن أسماء بينت أبى بكر الصديق – رضى الله عنهما – قالت : لما كان عام الفتح، ونزل رسول الله ﷺ ذا طوى ، قال أبو قحافة لابنة له وكانت أصغر ولده : أى بنية ، أشرفى بى على أبى قبيس وقد كفَّ بصره ، فأشرفت به عليه ، فقال : أى بنية ماذا ترين؟ قالت : أرى سوادًا مجتمعًا ، وأرى رجلًا يسرى بين يدى ذلك السواد، فقال:تلك الخيل يا بنية، ثم قال ماذا ترين قالت: أرى السواد قد انتشر ، فقال : إذًا والله دفعت الخيل ، فأسرع بى إلى بيتى ، فخرجتْ سريعًا حتى إذا هبطت به إلى الأبطح ، وكان فى عنقها طوقٌ لها من ورق ، فاقتطعه إنسان من عنقها، فلما دخل رسول اللهﷺ المسجد خرج أبو بكر ﷺحتى جاء مع أبيه يقوده ، فلما رآه رسول اللهﷺ . قال : «هلا تركتِ الشيخ فى بيته حتى أجيئه !؟» فقال : يمشى هو إليك يا رسول الله ، أحق من أن تمشى إليه ، فأجلسه بين يديه ، ثم مسح رسول الله ﷺ صدره ، وقال : «أسلمْ تسلمْ» فاسلم . رواه الحاكم فى مستدركه (3/ 46) وقال: صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبى .

ولكن كيف يتعامل الابن مع أحد والديه الفاسقين ؟ وكيف يعظمهما ؟ ! لقد درس السيد جلال الدين العَمْرى فى المسألة فى كتابه القيم (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)[1] فقال فى عنوان : الحسبَة على الوالدين :

«إن قيام الولد بفريضة الأمر بالمعروف ؛ والنهى عن المنكر ؛ تجاه والديه عمل

(1) ترجمه من الأوردية إلى العربية محمد أجمل أيوب الإصلاحى ، نشر شركة الشعاع ، الكويت .

دقيق ، ومعقد جدًّا ، فهو يقتضى كثيرًا من الحيطة والتحفظ ، فعلى الولد إذا كان أبواه يهملان المعروف ؛ ويرتكبان المنكر عن جهل أن يعظهما ويلقنهما حكم الشريعة، ولا يجوز له البتة ما وراء ذلك من الزجر والترقيع ، أو الضرب قال الله عز وجل فى القرآن الكريم : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء] .

وقد بلغ من حق الأبوين على ولدهما أنه لا يُقتص منهما إذا قتلاه : «لا يُقاد الوالد لولد» رواه الترمذى فى أبواب الديات .

وكذلك لا يجوز للولد أن يَقتصَّ من الوالد ، مثل أن يقتل أم ابنها فيسقط حق القصاص من الابن[1] .

وإن تقابل الولد وأبواه الكافران فى الحرب ، فعلى الولد أن يتجنب قتلهما ما أمكنه إلا أن يضطر إلى ذلك دفاعاً عن نفسه ، بأن يخاف أن يقتلاه إن ترك قتلهما[2].

وقالت الفقهاء : إن الولد ليس له أن يباشر إقامة الحد على أبويه ، ويقول الغزالى، بعد إيراده مثل هذه التفاصيل :

«فإذا لم يجز له إيذاؤه بعقوبة هى حق على جناية سابقة ، فلا يجوز له إيذاؤه بعقوبة هى منع من جناية مستقبلة متوقعة بل أولى» [3] .

ونقل العلامة ابن عابدين عن «فصول العلامى» : «أن الرجل ينهى أبويه إذا رآهما يرتكبان المنكر مرة واحدة ، فإن انتهيا ؛ وإلا فيسكتُ إن ساءهما ذلك ، ويسأل الله عز وجل أن يهديهما ؛ ويغفر ذنبهما» [4] .

وقال بعضهم : «إنه ينبغى للولد أن يُزيل المنكر الذى يرتكبه أبواه دون أن ينال منهما ؛ نحو : أن يُريقَ الخمرَ ؛ التى يشربانها ؛ ولا يُؤذيهما» . انتهى .

إن المسلمين اليوم بحاجة شديدة إلى فقه التعامل مع الوالدين ، وخاصة الدعاة منهم . وإن العقوق المنتشر فى الأسر المسلمة المتدينة وغير المتدينة سبب فى إعاقة العمل الإسلامى، فالنصر والنجاح والتوفيق لا يتنزل على قوم عاقين لوالديهم .

الأساس الرابع : أحقّ الناس بصحبتك والداك :

كثيرًا ما يخطئ الإنسان فى اتخاذ الصاحب و الخليل ، فلا يستطيع أن يجدَ

---

(1) الهداية مع شرح العناية على هامش فتح القدير (8/ 260) .
(2) أحكام القرآن للجصاص (2/ 339) والبحر الرائق (5/ 78).
(3) إحياء علوم الدين (2/ 280).
(4) رد المحتار على الدر المختار (3/ 261) .

المخلص الوفى، ويركض فى طلبه ، فتتعثر قدماه ، ويبحث هنا وهناك بجدّ ونشاط ، لعله يجد المخلص الوفى ، فيلمح من بعيد صديقًا، فيصادقه حتى إذا صادقه وجده غير ذلك .

ولم يترك النبى ﷺ الإنسان وهذه حالته فى التقلب ، فدلّه إلى طريق مختصر قصير جدًّا فى الوصول إلى الصديق الوفى ... إنه الوالدان ، ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحبتى ؟ قال : «أمك» قال : ثم من ؟ قال : «أمك» قال : ثم من ؟ قال : «أمك» قال : ثم من ؟ قال: «أبوك» . وفى رواية : يا رسول الله ، من أحق بحسن صحبتى ؟ قال : «أمك ، ثم أمك ثم أمك ، ثم أباك [1] ، ثم أدناك أدناك» .

وقد يقول قائل : أنا فى غنى أن أتخذ صاحباً وصديقاً ؟ فالجواب : إذا أنت استغنيت فلا بأس ، ولكن الوالدين لا يستغنيان عن صحبتك ، ومحادثتك ، ومشاورتك ، وسماع رأيك فى كثير من القضايا التى تستجد فى حياتهما وحياة إخوتك ، ويبقى حديث رسول الله ﷺ هو الحكم الفَصْل .

الأساس الخامس : تقديم بر الأم على الأب عند التعارض بعد محاولة التوفيق بينهما :

قال الحافظ ابن حجر شارحاً للحديث السابق ما يلى :

«قال ابن بطال : مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر ، قال : وكان ذلك لصعوبة الحمل ، ثم الوضع ، ثم الرضاع ، فهذه تنفرد بها الأم ، وتشقى بها ، ثم تشارك الأب فى التربية» .

وقد وقعت الإشارة إلى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان] فسوى بينهما فى الوصايا ، وخص الأم بالأمور الثلاثة .

وقال القرطبى : المراد أن الأم تستحق على الولد الحظ الأوفر من البر ، وتقدم فى ذلك على حق الأب عند المزاحمة .

وقال عياض : وذهب الجمهورُ إلى أن الأم تفضل فى البرعلى الأب ، وقيل : يكون برهما سواء ، ونقله بعضهم عن مالك ، والصواب الأول .

قلت – أى : ابن حجر : إلى الثانى ذهب بعض الشافعية ، لكن نقل عن

(1) قال النووى – رحمه الله : هكذا منصوب بفعل محذوف ، أى ثم برّ أباك .

الحارث المحاسبى الإجماع على تفضيل الأم فى البر ، وفيه نظر .

والمنقول عن مالك ليس صريحًا فى ذلك ، فقد ذكره ابن بطال ، قال : سُئل مالك : طلبنى أبى ، فمنعتنى أمى ؟ قال : أطع أباك ، ولا تعص أمك ، قال ابنُ بطال : هذا يدلُّ على أنه يرى أن برهما سواء ، كذا قال ، وليست الدلالة على ذلك بواضحة .

قال : وسُئِل الليث يعنى عن المسألة بعينها ، فقال : أطع أمك ، فإن لها ثلثى البر، وهذا يشيرُ إلى الطريق التى لم يتكرر ذكر الأم فيه إلا مرتين .

وقد أخرج البخارى فى «الأدب المفرد» وأحمد وابن ماجه ، وصححه الحاكم بلفظه : «إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم ، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب» .

«وفى حديث أبى رمثة :انتهيت إلى رسول الله ﷺ فسمعته يقول : «أمك ، وأباك، ثم أختك ، وأخاك ، ثم أدناك أدناك»[1] . أخرجه الحاكم هكذا ، وأصله عند أصحاب السنن الثلاثة وأحمد،وابن حبان . والمراد بالدنو : القرب إلى البار ، قال عياض : تردَّد بعضُ العلماء فى الجد والأخ ، والأكثر على تقديم الجد .

«قلت : – أى : ابن حجر : وبه جزم الشافعية ، قالوا : يقدّم الجد ثم الأخ ، ثم يقدّم من أدلى بأبوين على من أدلى بواحد ، ثم تقدم القرابة من ذوى الرحم ، ويقدم منهم المحارم على من ليس بمحرم ، ثم سائر العصبات ، ثم المصاهرة ، ثم الولاء ، ثم الجار ، وأشار ابنُ بطال : إلى أن الترتيب حيث لا يمكن إيصال البر دفعة واحدة، وهو واضح» .

وجاء ما يدل على تقديم الأم فى البر مطلقًا ، وهو ما أخرجه أحمد والنسائى وصححه الحاكم من حديث عائشة : سألت النبى ﷺ : أى الناس أعظم حقًا على المرأة ؟ قال : «زوجها» ، قلت : فعلى الرجل ؟ قال :«أمه» .

ويؤيد تقديم الأم حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن امرأة قالت: يا رسول الله ، إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء ، وثديى له سقاء ، وحجرى له حواء ، وإن أباه طلقنى ، وأراد أن ينزعه منى ، فقال : «أنت أحق به ما لم تنكحى» وكذا أخرجه الحاكم، وأبو داود . فتوصلت لاختصاصها به وبإخصاصه بها فى الأمور الثلاثة .

---

[1] حسن . انظر صحيح الجامع رقم (1400) وقال : أخرجه أبو يعلى فى سننه عن صعصعة المُجاشعى، والطبرانى عن أسامة بن شريك .

«ونقل المحاسبى الإجماع على أن الأم مقدمة فى البر على الأب»[1].

الأساس السادس : أنت ومالك لأبيك[2] :

روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ أتاه رجل فقال : يا رسول الله ، إن لى مالًا وولدًا، وإن أبى يجتاح مالى ، فقال : «أنت ومالك لأبيك ، إن أولادكم من أطيب كسبكم ، فكلوا من كسْب أولادكم»[3] .

وفى رواية أبى حنيفة كما فى مسنده عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : «إن أولادكم من كسبكم ، وهبة الله لكم ، يهب لمن يشاء إناثًا، ويهب لمن يشاء الذكور» .

وروى البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه : «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم ، وإن أولادكم من كسبكم» .

وقد روى القرطبى حادثة الشيخ مع ابنه ، فقال :

روينا بالإسناد المتصل عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن أبى أخذ مالى ، فقال النبى ﷺ للرجل : «فأتنى بأبيك» فنزل جبريل عليه السلام ، على النبى ﷺ وقال: إن الله ـ عز وجل ـ يقرئك السلام ويقول لك : إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شىء قاله فى نفسه ما سمعته أذناه» فلما جاء الشيخ قال له النبى ﷺ : «ما بال ابنك يشكوك ؟ أتريد أن تأخذ ماله ؟» فقال : سله يا رسول الله ، هل أنفقه إلا على إحدى عماته ، أو خالاته ، أو على نفسى ؟ فقال له رسول الله ﷺ : «إيه .. دعنا من هذا ، أخبرنى عن شىء قلتَهُ فى نفسك ما سمعته أذناك» .

فقال الشيخ : والله يارسول الله ، مازال الله عز وجل يزيدنا بك يقينًا ، لقد قلت فى نفسى شيئاً ما سمعته أذناى ، قال : «قل وأنا أسمعك» قال : قلت [4] :

غَذَوتُك مولودًا ومُنْتُك[5] يافعاً تُعلّ بما أجْنى عليك وتنْهَلُ
تخافُ الرَّدى نَفْسى عليك وإنّها لتَعْلَمُ أنَّ المَوْتَ وقتٌ مُؤجَّلُ
فلما بَلَغْتَ السنَّ والغاية التى إليها مدى ما كنتُ فيك أؤملُ
جَعَلْتَ جزائى غلظةً وفظاظةً كأنّكَ أنْتَ المنعم المُتَفَضِّلُ

---

(1) فتح البارى (13/ 5، 6) .
(2) انظر بتوسع : مصنف عبد الرزاق (9/ 129).
(3) صحيح . انظر صحيح الجامع رقم (1487) .
(1) نسبت هذه الأبيات فى أشعار الحماسة لأميَة بن أبى الصلت .
(2) أى : قمت بمؤنتك .

فليتـك إذا لم تَـرْع حـقَّ أبـوَّتى فعلت كما الجار المُصـاحب يفعـلُ
فأوليتنى حق الجِـوار ولم تكـن عـلىَّ بـمال دون مالـك تَبْخَـلُ

قال : فحينئذ أخذ النبى ﷺبتلابيب ابنه ، وقال : «أنت ومالك لأبيك»[1].

وقد تقدم معنا الحديث الـذى رواه الطبرانـى ورجالـه رجـال الصـحيح قـول النبىﷺ عن رجل : «وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين ، فهو فى سبيل الله».

عن محمد بن سليم قال : حدثنا (مَطَرٌ الـوراق) أن رسـول الله ﷺ قـال : «هـل تعلمون أى نفقةٍ أفضل من نفقة فى سبيل الله ؟ !قالوا : الله ورسـوله أعلـم . قـال : «نفقة الولد على الوالدين» . رواه ابن أبى الـدنيا فى كتـاب العيـال (1/ 161) قـال محقق الكتاب : حديث مرسل ، إسناده مقبول .

وهكذا كانت أفضل الصدقات إنفاق الوالدين على أولادهمـا ، وإنفـاق الولـد على والديه ، فأصبح التكريم الإلهى لكلا الطرفين ، وذلك لأنـه «كَـما تَـدين تُـدان» وكما تزرع تحصد .

وكذلك فإن للوالدين الحق فى الرجوع بالهبة المقدمة لأحد أبنائهم :

روى الترمذى، عن ابن عمرو، عن النبى ﷺ أنه قال : «لا يحل لأحد أن يعطى عطية فيرجع فيها إلا الوالد لولده» . ورواه ابن ماجه والبيهقى ، والنسـائى ، وابـن ماجه ، وأحمد.

وروى الترمذى والنسائى وابن ماجه والبيهقى وأبو داود، عن ابن عمرو وابن عباس– رضى الله عنهم – أن النبى ﷺ قال : «ولا يحلُّ لرجل أن يعطـى عطيـة ، أو يهب هبة ، ثم يرجع فيها إلا الوالد فيما يعطى ولده ، ومثل الذى يعطى العطية ، ثـم يرجع فيها كمثل الكلب يأكل ، فإذا شبع قاء ، ثم يعود فى قيئه» .

وعن محمد بن سيرين قال : «بلغت النخلة على عهد عثمان بـن عفـان ﷺ ألـف درهم ، فعمد أسامة بن زيد إلى نخلة ، فنقرها ، وأخـرج جمارهـا ، فأطعمهـا أمـه ، فقال له : ما حملك على هذا وأنت ترى النخلـة قـد بلغـت ألفـاً ؟ ! فقـال: إن أمـى سألتنيه ، ولا تسـألنى شـيئاً أقـدر عليـه إلا أعطيتهـا» . رواه الحـاكم فى مسـتدركه (3/ 597) وسكت عنه ، وقال الذهبى : أمه ماتت زمن الصـديق ، والحـديث فيـه إرسال .

---

[1] تفسير القرطبى (10/ 45) (ط3) . رواه ابن ماجه عـن جـابر ، ورواه الطبرانـى عـن سـمرة وابـن مسعود ، والحديث صحيح . انظر : صحيح الجامع ، رقم (1486).

الأساس السابع : عتق الوالدين من أىّ مال استحقَّ بذمتهما :

وهذه صورةٌ من صور البر العظيمة ، ففى السابق أيام الرقيق ، قد يصبحُ الابن حرًا وله مال ، والأب أو الأم رقيقين بلا مال يعتقان أنفسهما ، أما صورتها فى واقعنا الحالى ، فمثلًا حلّت بأحد الوالدين ديون كثيرة لأى سبب من الأسباب ، فماذا كان موقف رسول الله ﷺ فى هذه الحالة ؟ .

«لا يجزى ولدٌ والداً إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه ، فيعتقه» . رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه .

وصورتها كذلك : أن يسجن أحد الوالدين لأى سبب من الأسباب ، ولا يملكان مالاً لكفالتهما ، فما على الولد إلا المسارعة لوضع ماله فى خدمة والديه ؛ لأنه كما تقدم : «أنت ومالك لأبيك» .

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : «من حج عن أبويه ، أو قضى عنهما مغرمًا ، بُعِث يوم القيامة مع الأبرار» . رواه الدارقطنى (2/ 260) .

الأساس الثامن : الدعاء المتبادل بين الأبوين وأبنائهما :

الدعاء ركن أساسى فى البر ، وهو مظهرُ القلب الذى يعبر عن الحب والود ، وهو دليل البر القلبى ، فالقلب المفعم بالحب يلحّ بالدعاء ، ويجرى على اللسان مجرى النفس، وكلما ازدادت المحبة القلبية المتبادلة بين الوالدين والأبناء ، ازداد الدعاء .

فعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده». رواه أبو داود والترمذى ، وقال : حديث حسن ، وليس فى رواية أبى داود : «على ولده»[1] .

وروى البخارى عن أنس ﷺ قال : دخل النبى ﷺ على أمّ سليم، فأتتهُ بتمرٍ وسمنٍ قال : «أعيدوا سمنكم من سقائه ، وتمركم فى وعائه فإنى صائم» ثم قام إلى ناحية من البيت ، فصلّى غير المكتوبة ، فدعا لأم سليم وأهل بيتها، فقالت أم سليم : يا رسول الله ، إنَّ لى خُوَيْصة ، قال : «ما هى؟» قالت : خادمك أنس ، فما ترك خير آخرةٍ ولا دنيا إلا دعا لى به : «اللهم ارزُقْه مالاً ، وولداً ، وبارك له» فإنى من أكثر الأنصار مالًا ، وحدثتنى ابنتى أمينة أنه دُفن لصُلبى مقْدم حجّاج البصرة ؛ بضع

(1) ورواه الإمام أحمد والبخارى فى (الأدب) عن أبى هريرة ، ورواه ابن ماجه والطيالسى والطبرانى وابن عساكر وأحمد والخطيب عن عقبة بن عامر . انظر صحيح الجامع ، رقم (2031) .

وعشرون ومائة .

وروى البخارى فى «الأدب المفرد» عن أبى حازم أن أبا مرة أخبره : أنه ركب مع أبى هريرة ﷺ إلى أرضه بالعقيق ، فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أماه ! فتقول : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، فيقول : رحمك الله كما ربيتنى صغيراً ، فتقول: يا بنى ، وأنت فجزاك الله خيرًا ، ورضى عنك كما بررتنى كبيراً . اللهم بارك لنا فى أموالنا وأولادنا .

وعن أم سلمة – رضى الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة : «ائتينى بزوجك وابنيك» فجاءت بهم ، فألقى عليهم كساءً فدكيًّا ، قال : ثم وضع يده عليهم ، ثم قال :

«اللهم إن هؤلاء آل محمد ، فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وآل محمد ، إنك حميد مجيد» . قالت أمُّ سلمة : فرفعت الكساء لأدخل معهم ، فجذبه من يدى ، وقال : «إنك على خير» رواه أحمد (6/ 323) .

وهذا لا يعنى أن أم سلمة زوجة النبى ﷺ ليست من أهل البيت[1]– كما يدعى البعض – وإنما أراد رسول الله ﷺ أن يخص ابنته فاطمة وزوجها عليًّا وابنيهما الحسن والحسين بفضل معين ، وهذا من عادة رسول الله ﷺ أن يخصّ أصحابه وأقرباءه بخاصية معينة لما يراه من تمتعه بها ، أو أن يهديه منه ﷺ تكرمًا وتفضلًا ؛ بدليل أن النبى ﷺ قال لسعيد بن تميم ﷺ : أين بنوك ؟ ! قلتُ : ها هم أولاء ، قال: فائتنى بهم ، قال : فأتيتُ أهلى ؛ فألبستهم قُمصًا بيضاء ، ثم أتيته بهم ، فقال :«اللهم إنى أُعيذهم بك من الكفر ؛ والضلالة ؛ والفقر الذى يصيب بنى آدم» . رواه الطبرانى وإسناده حسن ، قاله الهيثمى فى المجمع (9/ 414) .

الأساس التاسع : ألا تَسْتسبَّ لوالديك :

من دلالات البر : أن تحافظ على اسم والديك من السب والشتم بشتى صوره ، وأشكاله ، سواء من أنفسهما ، فتفعل أعمالاً تغضبهما فيسبان ذاتهما ، فتكون أنت سبب هذا الشتم ، أو أن تسىء إلى أحد فيسبّ أحد والديك ، أو يُسىء أحد إليك، فتسبه بوالديه فيسب والديك ... وهكذا .

وباختصار إن سب الوالدين بأى صورة من الصور ، أو أى شكل من أشكاله ،

---

(1) وكون زوجات النبى ﷺ من أهل بيته قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَ�ٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ ﴾ [هود] .

ومهما كان سبب ذلك فليس من البر ، والمحافظة على اسم الوالدين من السب أكبر دليل على البر .

روى ابن السنى عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ رأى رجلًا معه غلام ، فقال للغلام :«من هذا ؟» قال : أبى : «فلا تمشِ أمامه ، ولا تَسْتسِبَّ له ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه»[1].

وروى ابن أبى الدنيا مرسلًا عن أبى المخارق ﷺ قال : قال النبى ﷺ : «مررت ليلة أسرى بى برجل مغيب فى نور العرش ، قلت : من هذا ؟ أهذا ملك ؟ قيل : لا، قلت : من هو؟ قال : هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رطب من ذكر الله ، وقلبه معلق بالمساجد ، ولم يستسبّ لوالديه» .

وثبت فى الصحيح : أن رسول الله ﷺ قال : «لعن الله من لعن والديه» ، وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – قال : «من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا : يارسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : «نعم يسُبّ أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه» .

الأساس العاشر : أشهرِ الانتساب لأبيك واعتز به :

حرص الإسلام على إشهار نسب الابن من أول يوم يولد فيه ، فأوصى بالعقيقة؛ لإشهار نسب المولود ، وكثيرًا ما يحدث فى المجتمعات العجب العجاب ، ففى المجتمع الجاهلى القديم كان يتنصل الابن من نسبه لأبيه ، وفى المجتمع الجاهلى الحديث يخجل الابنُ المثقف – وقد حصل على منصب اجتماعى مرموق يخجل هذا الأحمق أن يعترف بأبيه وقد أتى لزيارته عابرًا أو غير ذلك من ألوان التهرب من إشهار اتصال الابن بأبيه التى يجيدها أبالسة هذا الزمان ، والعياذ بالله.

والأمر خطير عندما نعلم أن إنكار النسب يعنى الكفر بعينه ، وهذا هو الدليل:

فى الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص ﷺ أن النبى ﷺ قال : «من ادعى إلى غير أبيه ، وهو يعلم أنه غير أبيه ، فالجنة عليه حرام»[2].

وفى الصحيحين عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «لا ترغبوا عن آبائكم،

---

(2) رواه عبد الرزاق فى مصنفه (11/ 138) موقوفاً على أبى هريرة ، وقال حبيب الرحمن الأعظمى معلقاً : «والحديث أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ، وروى عبد الرازق (11/ 137) قول طاوس: «إن من الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه» .

(1) ورواه أبو يعلى فى مسنده (2/ 59) بسند صحيح ، ورواه أحمد (1/ 969) والبيهقى (7/ 403) .

فمن رغب عن أبيه فهو كفر» [1] .

وفى الصحيحين ـ أيضاً – واللفظ لمسلم – عن أبى ذرﷺ: أنه سمع رسول اللهﷺ يقول : «ليس من رجل أدعى لغير ابيه وهو يعلمُهُ إلا كفر ، ومن ادعى ما ليس له فليس منا ، وليتبوأ مقعده من النار ، ومن دعا رجلًا بالكفر ، أو قال: عدو الله ، وليس كذلك ، إلا حار عليه» .

الأساس الحادى عشر : الحج عمن عجز منهما صحيًا عن أدائه :

عن ابن عباس رضى الله عنهما – أن امرأة من خثعم سألت رسول الله ﷺ غداة النحر ، والفضل ردفه ، فقالت : يا رسول الله ، إن فريضة الله فى الحج على عباده أدركت أبى شيخًا كبيرًا ، لا يستطيع أن يستمسك على الراحلة ، هل ترى أن أحج عنه ؟ قال : «نعم». رواه ابن خزيمة فى صحيحه بسند صحيح (4/ 342) .

وعن ابن رزين: أنه قال : يا رسول الله ، إن أبى شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ، ولا الظغن ، قال : «حجّ عن أبيك» رواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 346) وإسناده صحيح .

الأساس الثانى عشر : إنفاذ نذرهما :

عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ أدرك شيخًا كبيرًا يهادى بين ابنيه ، يتوكأ عليهما، فقال النبىُّ ﷺ : «ما شأن هذا الشيخ ؟» فقال ابناه : يا رسول الله ، كان عليه نذر، فقال النبىُّ ﷺ : «اركب أيها الشيخ ، فإن الله غنىٌ عنك وعن نذرك». رواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 347) ورواه مسلم .

الأساس الثالث عشر : العقوق[2] من الكبائر ، وجزاؤه فى الدنيا والآخرة :

فى الصحيحين عن أبى بكر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟» قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : «الإشراك بالله وعقوق الوالدين» وكان متكئًا فجلس فقال : «أَلا وقول الزور» ، فما زال يُكررها حتى قلنا : ليته سكت .

وروى النسائى عن ابن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا ينظر إليهما يوم القيامة :العاق لوالديه ، والمدمن الخمر ، والمنَّان

---

(2) بأن يصير الولد فى رتبة جليلة من غنى ، أو جاه ، أو نحو ذلك ، وأبواه من الأدنياء ، فيرغب عن الانتساب إليهما .

(1) أصل العَقّ : الشَّقّ . وإليه يرجع عقوق الوالدين ، وهو قَطْعُهما ؛ لأن الشقّ والقَطْع واحد يقال : عقَّ ثوبَه ؛ إذا شقَّه ، عقّ والديه يعُقُّهما عَقّاً وعُقُوقاً . قال الشاعر :

إن البنين شرارهم أمثاله منْ عق والده وبَرّ الأبعدا

انظر : كتاب «العين» للخليل .

بما أعطى» .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه والبخارى فى «الأدب المفرد» عن معاذ ﷺ قال : أوصانى رسول الله ﷺ بعشر كلمات قال :

1 – «لا تشرك بالله شيئاً وإن قُتلت وحُرِّقت»

2 – «ولا تَعُقَّنّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك» .

3 – «ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدًا ، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا ، فقد برئت منه ذمة الله» .

4 – «ولا تشربن خمراً فإنه رأس كل فاحشة» .

5 – «وإياك والمعصية فإن بالمعصية حلّ سخَط الله» .

6 – «وإياك والفرار من الزّحف ، وإن هلك الناس» .

7 – «وإذا أصاب الناس موت وأنت فيهم فاثبت» .

8 – «وأنفق على عيالك من طَوْلك» .

9 – «ولا ترفع عنهم عصاك أدبًا» .

10 –«وأخِفْهم فى الله» .

وروى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – عن النبى ﷺ قال : «الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس» .

وفى الصحيحين عن المغيرة بن شعبة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «إن الله ـ تعالى ـ حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعًا وهات ، ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال» .

وروى الإمام أحمد عن مالك بن عمرو القشيرى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من أعتق رقبةمسلمة فهى فداؤه من النار ، فإن كل عظم من عظامه محررة بعظم من عظامه ، ومن أدرك أحد والديه ، ثم لم يغفر له ، فأبعده الله عز وجل ، ومن ضم يتيمًا من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله ، وجبت به الجنة».

وروى الطبرانى فى الأوسط عن جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون ، فقال : «يا معشر المسلمين ، اتقوا الله ،

وصلوا أرحامكم؛ فإنه ليس من ثوابٍ أسرع من صلة الرحم ، وإياكم والبَغْـى فإنـه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة البغى ، وإياكم وعقوق الوالدين ، فإن ريـح الجنـة توجد فى مسيرة ألف عام ، والله لا يجدها عاق ، ولا قاطع رحم ، ولا شيخ زانٍ ولا جارٌّ إزارَه خيلاء ، إنما الكبرياء لله رب العالمين» .

ومن علامات الساعة : صورة قبيحة من العقوق ، بحيث يقتل الابن أباه ، فقد روى البخارى فى «الأدب المفرد» (1/ 203) عن أبـى موسـى مرفوعـاً : «لا تقـوم الساعة حتى يقتل الرجل جاره ،وأخاه ، وأباه» .

أما عقوبة العقوق فى الدنيا :

فقد روى الحاكم والأصبهانى عن أبـى بكـرة: أن رسـول الله ﷺ قـال : «كـل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقـوق الوالـدين ، فـإن الله يجعلـه لصاحبه فى الحياة الدنيا قبل الممات» .

وعن أبى بكرة ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : «ما من ذنب أجدرُ أن يُعجـلَ اللهُ لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من البغـى ؛ وقطيعـة الرحم» . رواه البيهقى فى كتابه (الآداب) . قال محققه : وأخرجه أحمـد ، والبخـارى فى الأدب المفرد وأبو داود وابن ماجه والترمذى فى سننها ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم فى المستدرك ، وقال : صحيح ، وأقره الذهبى .

ضابط العقوق :

ومدار ضابط عقوق الوالدين ، أو أحدهما ، كما قال ابن حجر الهيتمى[1] :

لو فعل معه ما يتأذى به تأذيًا ليس بالهين عرفًا كان كبيرة ، وإن لم يكن محرماً لـو فعل مع الغير .

«كأن يلقاه فيقطب فى وجهه ، أو يَقْدَمَ عليه فى ملأ ، فلا يقوم له ، ولا يعبأ بـه ، ونحو ذلك مما يقضى أهل العقل والمروءة من أهل العرف بأنه مؤذٍ تأذياً عظيماً» .

ثانيا : أساسيات البر بعد وفاة أحدهما ، أو كليهما

يشبُّ بعضُ الناس وقد فقد أحد والديه فى الصغر ، فيجب أن يقـدّم شـيئاً لهـما إكرامًا وتعظيمًا . أو قد يموت أحدهما فى حياته ، فيجب أن يتابع البر ، فما هى أركان هذا البر بعد وفاة أحدهما ، أو كليهما ؟

---

(1) الزواجر (2/ 73) .

من خلال التأمل فى الأحاديث الشريفة نجد سبعة أركان ، وهى :

الأساس الأول: إنفاذ عهدهما ووصيتهما:

روى أبو داود والنسائى عن الشريد بن سويد الثقفى ﷺ قال : إن أمه أوصته أن يعتق عنها رقبةً مؤمنة ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن أمى أوصت أن أعتق عنها رقبة مؤمنة ، وعندى جارية سوداء نوبية أفأعتقها ؟ فقال رسول الله ﷺ : «ادع بها» فدعوتها ، فجاءت ، فقال لها النبى ﷺ : «من ربُّكِ؟» قالت : الله، قال: «فمن أنا ؟» قالت : رسول الله ، قال : «اعتقها فإنها مؤمنة» .

وروى أبو داود عن مالك بن ربيعة الساعدى ﷺ قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله ! هل بقى من بر أبوى شىء أبرّهما بعد موتهما ؟ فقال : «نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما»[1].

فهذا حديث جامع لأغلب الأركان .

وقد يجد الابنُ صعوبات فى تنفيذ الوصية ، ولكن صدق البر ، واليقين بالله تعالى وأن ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾ [النحل :96] مما يساعده للمسارعة إلى التنفيذ ، وهاك نموذجًا: أخرج البخارى عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال:

لما وقف الزبير يوم الجمل دعانى ، فقمتُ إلى جنبه ، فقال : يا بنى ، إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم ، وإنى لا أرانى إلا سأقتل مظلوماً ، وإن من كبير همِّى لِدَيْنى أفترى ديننا يبقى من مالنا شيئًا ؟ ثم قال : يا بنى ، بعْ مالنا ، واقضِ دينى ، وأوصى بالثلث ، وثلثه لبنيه ، يعنى : بنى عبد الله ، قال : فإن فضل شىء من مالنا بعد قضاء الدين فثلثه لولدِك ، قال عبد الله بن الزبير :

فجعل يوصينى بدينه ويقول : يا بنى ، إن عجزت عن شىء منه فاستعن بمولاى ، قال : فوالله مادريت ما أراد حتى قلت : يا أبت ، من مولاك ؟ قال : الله ، فوالله ما وقعت فى كربة من دينه إلا قلت : يا مولى الزبير ، اقض عنه دينه، قال : فقتل الزبير ولم يَدَع ديناراً أو درهمًا إلا أرضين منها الغابة ، وإحدى عشرة دارًا

---

(1) ورواه الحاكم فى المستدرك (4/ 155) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، وقال الذهبى : صحيح .

بالمدينة ، ودارين بالبصرة ، ودارًا بالكوفة ، وداراً بمصر ، قاله : وإنما كان دينه الذى كان عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال، فيستودعه وإياه ، فيقول الزبير : لا ، ولكن هو سلف ، فإنى أخشى عليه الضيعة ، وما ولى إمارة قط ، ولا جبايةً ، ولا خراجاً ، ولا شيئاً إلا أن يكون فى غَزْوٍ مع رسول الله ﷺ أو مع أبى بكر وعمر وعثمان ، وقال عبد الله بن الزبير: فحسبت ما كان عليه من الدين ، فوجدتهُ ألفى ألفٍ ومائتى ألف، قال : فلقى حكيمُ بن حزام عبد الله بن الزبير فقال : يا بن أخى كم على أخى من الدين؟

قال : فكتمته وقلت : مائة ألف ، فقال حكيم : والله ، ما أدرى أموالكم تسعُ هذه ، قال : فقال عبد الله : أرأيتك إن كانت ألفى ألفٍ ؟ قال: ما أراكم تطيقون هذا، فإن عجزته عن شىء عنه فاستعينوا بى ، وكان الزبير قد اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف ، فباعها عبد الله بألف ألفٍ وستمائة ألف ، ثم قام فقال : من كان له على الزبير شىء فليوافنا بالغابة .

فأتاه عبد الله بن جعفر ، وكان له على الزبير أربعمائة ألف ، فقال لعبد الله : إن شئتم تركتُها لكم ، قال عبد الله : لا ، قال : فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخّرون إن أخرتم ، فقال عبد الله : لا ، قال : فاقطعوا لى قطعة ، فقال عبد الله : لك من ها هنا إلى ها هنا، قال : فباع عبد الله منها ، فقضى دينه ، وأوفاه ، وبقى منها أربعة أسهم ونصف، قال : فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان ، والمنذر بن الزبير ، وابن زَمْعة ، قال : فقال له معاوية : كم قُوِّمت الغابة ؟ قال : كل سهم بمائة ألف قال : كم بقى منها ؟ قال : أربعة أسهم ونصف ، فقال المنذر بن الزبير : قد أخذت منها سهما بمائة ألف ، وقال عمرو بن عثمان : قد أخذت سهماً بمائة ألف ، وقال ابن زمعة : قد أخذت سهماً بمائة ألف ، فقال معاوية : كم بقى؟ قال : سهم ونصف، قال : قد أخذته بخمسين ومائة ألف .

قال : وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألفٍ قال : فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه ، قال بنو الزبير : اقسم بيننا ميراثنا ، قال : لا ، والله ، لا أقسم بينكم حتى أنادى بالموسم أربع سنين ، ألا مَنْ كان له على الزبير دينٌ فليأتنا فلنقضه.

قال : فجعل كلَّ سنة ينادى فى الموسم ، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم ، ودفع الثلث ، قال : وكان للزبير أربعُ نسوة ، فأصاب كل امرأةٍ ألف ألفٍ ومائتا ألف ،

قال : فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف» .

وهذا من عظيم البر الذى يقدمه الابن لوالديه ، مع اليقين ، والثقة بالله تعالى فى تيسير أمر البر ، وتنفيذ عهدهما ، فجعلنى الله وإياك من البررة .

وهذا نموذج ثانٍ فى إنفاذ الابن وصية والده ، ولو على حساب رغباته وشهواته ، إنها وصية رعاية الأخوات بعد وفاة الوالد ، وحسن تربيتهن :

روى البخارى عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : لما حضر أُحدٌ (أى حضر واقترب موعد غزوة أحد) دعانى أبى من الليل ، فقال : ما أُرانى إلا مقتولًا فى أول من يقتل من أصحاب النبى ﷺ وإنى لا أترك بعدى ؛ أعزّ على منك ، غير نفس رسول اللهﷺ وإن علىّ ديناً فاقضِ ، **واستوص بأخواتك خيراً** ، فأصبحنا ، فكان أول قتيل، ودفنه مع آخر فى قبر» . قال ملا على القارى فى شرح المشكاة (11/ 722) : كان له تسع أخوات، ودفن والده مع عمرو بن الجموح ، وكان صديق والد جابر ، وزوج أخته .

فماذا عن جابر بوصية والده بأخواته التسع :

أخرج الخمسة عن جابر فى حديث طويل : أنه قال لرسول الله ﷺ حين سأله: «هل تزوجتَ بكرًا أم ثيبًا؟» قال : بل ثيباً ، قال : «هلا بكراً تُلاعبها وتُلاعبك؟» فقلت : يارسول الله ﷺ ، تُوفى والدى ، ولى أخوات صغار . فكرهتُ أن أتزوج مثلهن ، فلا تؤدبهن ؛ ولا تقوم عليهن ، فتزوجت ثيباً ؛ لتقومَ عليهن وتؤدبهنّ .

ذلك الوفاء الصادق ، وتلك النية الصادقة الطاهرة ، تهدى الإنسان لأحسن الأفكار والآراء ، ولو تنازل هو عن شىء من رغباته إلا أنه أنقذ أخواته ، فكان الهدف نبيلًا والغاية نبيلة .

الأساس الثانى :الدعاء ، والاستغفار لهما :

روى البخارى فى «الأدب المفرد» عن محمد بن سيرين قال : كنا عند أبى هريرةﷺ فقال : اللهم اغفر لأبى هريرة ، ولأمه ، ولمن استغفر لهما . قال محمد : فنحن نستغفر لهما حتى ندخل فى دعوة أبى هريرة ﷺ .

وقد تقدم الحديث : «الصلاة عليهما والاستغفار لهما» والصلاة هنا : الدعاء لهما. وفى الحديث : «وولد صالح يدعو له» .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول : يا رب ، أنى لى هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك» رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط ، ورجالهما رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة ، وقد وثق ، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (10/ 210) .

الأساس الثالث : صلة رحمهما ،وبرّ أصدقائهما :

روى مسلم[1] عن ابن عمر – رضى الله عنهما : أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمارٌ يتروّح عليه إذا ملَّ ركوب الراحلة ، وعمامة يشدُّ بها رأسه ، فبينما هو يوماً على ذلك الحمار؛ إذ مرّ به أعرابىٌّ فقال : ألست ابن فلان ؟ ! قال : بلى ، فأعطاه الحمار، فقال : اركب هذا ، وخُذ العمامة ، وقال : اشدْد بها رأسك ، فقال له بعضُ أصحابه: غفر الله لك ، أعطيت هذا الأعرابى حماراً كنت تروّح عليه وعمامة كنت تشدبها رأسك فقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :«إن من أبر البر صلة الرجل أهل وُدِّ أبيه بعد أن يولّى» وإن أباه كان ودًا لعمر .

وقد تقدم الحديث : «وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما» .

وروى ابن حبان فى صحيحه عن أبى بُرْدة قال : قدمت المدينة ، فأتانى عبد الله بن عمر فقال : أتدرى لم أتيتك ؟ قال : قلت : لا، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من أحبَّ أن يصل أباه فى قبره فليصلْ إخوان أبيه بعدهُ» وإنه كان بين أبى عمر وبين أبيك إخاء وودّ ، فأحببْتُ أن أصِلَ ذاك[2].

وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – أنّ رسول الله ﷺ قال : «احفظْ ودّ أبيك لا تقطعه ،فيطفئ الله نورك» . رواه الطبرانى فى الأوسط ، وإسناده حسن ، كذا قال الهيثمى فى المجمع (8/ 147) .

الأساس الرابع : الصدقة عليهما :

روى الشيخان والنسائى وأبو داود عن عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – أن رجلاً قال للنبى ﷺ إن أمى توفيت ، أينفعها إن تصدقتُ عنها ؟ قال: «نعم» ، قال : فإن لى مخرفًا فأنا أشهدك أنى تصدّقت به عنها .

وأخرج الجماعة إلا الترمذى عن عائشة – رضى الله عنها – أن رجلًا قال

---

(1) ورواه أحمد والبخارى فى (الأدب المفرد) وأبو داود والترمذى . انظر : صحيح الجامع رقم (1525).
(1) ورواه أبو يعلى . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (1432) .

لرسول الله ﷺ : إن أمى افتلتت نفسها ، وأظنها لو تكلمت تصدقت ، لها أجر إن تصدقت عنها ؟ فقال : «نعم» . ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 124) .

وروى الطبرانى فى الأوسط: أن رسول الله ﷺ قال : «ما على أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين ، فيكون لوالديه أجرها ، ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شىء» .

وروى مالك والنسائى، عن سعيد بن عمرو بن شرحبيل بن سعد بن عبادة، عن أبيه، عن جده ، قال : خرج سعدُ بن عبادة مع النبى ﷺ فى بعض مغازيه ، وحضرت أمه الوفاة فى المدينة ، فقيل لها : أوصى ، فقالت : فيم أوصى ؟ المالُ مالُ سعد ، فتوفيت قبل أن يقدم سعد ، فلما قدم سعد ذكر ذلك له ، فقال : يارسول الله، هل ينفعها أن أتصدَّق عنها ؟ فقال النبى ﷺ: «نعم» فقال سعد : حائط [1] كذا وكذا صدقة عنها ، الحائط سمّاه . وعن أبى هريرة ﷺ أن رجلًا قال للنبى ﷺ : إن أبى مات ، وترك مالًا، ولم يوص ، فهل يكفّر عنه إن تصدقت عنه ؟ فقال : «نعم» . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 123) بسند صحيح .

الماء أفضل الصدقة عليها :

روى أبو داود والنسائى عن سعد بن عبادة ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ، إن أمى ماتت ، فأى الصدقة أفضل ؟ قال : «الماء» فحفر بئراً ، وقال : هذه لأم سعد.

وعن جابر بن عبد الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : «من حفر ماءً لم يشرب منه كبد حرّى من جن ولا إنس ولا طائر إلا آجره الله يوم القيامة ، ومن بنى مسجداً كَمفْحَص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً فى الجنة» . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (2/ 269) قال المحقق مصطفى الأعظمى : إسناده صحيح ، ورواه ابن ماجه .

الأساس الخامس :الحج عنها :

عن أبى رزين ﷺ أنه قال : يا رسول الله ، أبى شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن ، قال : «حُجَّ عن أبيك ، واعتمر» رواه الحاكم فى مستدركه (1/ 481) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

وعن أنس ﷺ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ ، فقال : إن أبى مات ، ولم يحج حجة الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ: «أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت تقضيه

---

[1] الحائط : أى البستان .

عنه؟» قال : نعم . قال : «فإنه دين عليه فاقضه» رواه البزار ، والطبرانى فى الأوسط والكبير ، وإسناده حسن ، قاله الهيثمى فى المجمع : (3/ 282) .

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – يقول : قال فلان الجهنى : يا رسول الله ، إن أبى مات ، وهو شيخ كبير لم يحج ، أو لا يستطيع الحج ، قال : «حج عن أبيك» رواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 343) وإسناده صحيح .

وعن زيد بن أرقم ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا حج الرجل عن والديه تقبل الله منه ومنهما ، واستبشرت أرواحهما فى السماء ، وكتب عند الله باراً» . رواه الدارقطنى (2/ 261) وقال العزيزى فى شرح الجامع الصغير : هذا حديث صحيح.

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : أتى رسولَ الله ﷺ رجل فقال له: إن أبى مات ، وعليه حج الإسلام ، فأحجّ عنه ؟ قال : «أرأيت لو أن أباك ترك ديناً عليه أقضيته عنه ؟» قال : نعم ، قال : «احججْ عن أبيك». رواه الدارقطنى (2/ 260) .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «من حجَّ عن أبيه وأمه فقد قضى عنه حجَّته ، وكان له فضل عشر حجج» . رواه الدراقطنى (2/ 260) .

الأساس السادس : المسارعة للعمل الصالح لإدخال السرور عليهما :

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى – عند آية : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة :105] قال : وقد ورد أن أعمال الأحياء تُعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر فى البرزخ ، ثم أورد حديث أبى داود الطيالسى بإسناده عن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إنّ أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم ، فإن كان خيرًا استبشروا به ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك» .

ثم أورد حديث الإمام أحمد بإسناده عن أنس ﷺ أن النبى ﷺ قال: «إن أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات ، فإن كان خيراً استبشروا به ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تُمتهم حتى تهديهم كما هديتنا» .

وروى الإمام ابن المبارك بإسناده عن أبى الدرداء أنه كان يقول : إن أعمالكم تُعرض على أمواتكم فيسرون ويسؤون ، ثم يقول : اللهم إنى أعوذ بك أن أعمل

عملاً أخزى به عند خالى عبد الله بن رواحة .

وعن النبى ﷺ :أنه قال : «تُعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس على الله ـ تعالى، وتُعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة ، فيفرحون بحسناتهم ، وتزداد وجوههم بياضًا وإشراقًا ، فاتقوا الله ، ولا تؤذوا موتاكم» [1] .

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علمًا علّمه ونشره ، أو ولداً صالحاً تركه ، أو مسجدًا بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً كراه ، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته» .

رواه ابن خزيمة فى صحيحه (4/ 121) بسند حسن لغيره لشواهده ، وقد تقدم معنا فى الحديث الصحيح : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم وابن خزيمة فى صحيحه ، ورواه أحمد (2/ 372) . ورزقنى الله وإياك هذه الخصال الثلاث ، ووفقنى الله وإياك لطاعته ، ومرضاته .

الأساس السابع : زيارة قبريهما :

روى مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال : زار النبىُّ ﷺ قبر أمه ، فبكى ، وأبكى من حوله ، فقال : «استأذنتُ ربى فى أن استغفر لها فلم يأذنْ لى ، واستأذنته فى أن أزورَ قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فإنها تذكِّرُ الموت» .

وعن ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور ، فقد أُذن لمحمد فى زيارة قبر أمه ، فزوروها ، فإنها تُذكِّر الآخرة» . رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

وفى رواية الحاكم فى مستدركه (1/ 375) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبى : زار النبى ﷺ قبر أمه فى ألف مقنع ، فلم ير باكيًا أكثر من يومئذ .

الأساس الثامن : برّ قسمهما ، وألا تستسبّ لهما :

عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : «من برَّ قسمهما ، وقضى ـ

[1] وأورده فى الجامع الصغير ، وقال : رواه الحكيم الترمذى عن والد عبد العزيز ، رامزاً إلى حسنه ، هكذا قاله الشيخ عبد الله سراج فى كتابه (الإيمان بعوالم الآخرة) (ص: 96) .

دينهما ، ولم يستسب لهما كُتِب بارًا وإن كان عاقاً فى حياته . ومن لم يبر قسمهما ، ويقضى دينهما ، واستسبّ لهما كُتِب عاقاً وإن كان باراً فى حياته» رواه الطبرانى فى الأوسط ، وسكت الهيثمى فى المجمع (8/ 147) عن سنده .

الأساس التاسع : الصوم عنهما :

عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : أتت امرأةٌ إلى النبى ﷺ فقالت : إن أمى توفيت وعليها صوم شهرين ، فقال : «صومى عنها» فقالت : إن عليها حجةً قال : «فحجِّى عنها» قالت : فإنى تصدقت عليها بجارية ، فقال : «قد آجرك الله ، وردَّها عليك الميراث» رواه الحاكم فى مستدركه (4/ 347) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى.

* * *

المبحث الخامس

أسلوب تأديب الطفل

تمهيد :

أسس تأديب الطفل :

الأساس الأول :التأديب ضرورة تربوية .

الأساس الثانى : تصحيح خطأ الطفل فكريًّا ثم عمليًّا .

-تصحيح الخطأ الفكرى .

- تصحيح الخطأ بالتعليم العملى .

الأساس الثالث : التدرج فى تأديب الطفل .

المرحلة الأولى : رؤية الأطفال السوط .

المرحلة الثانية : شد الأذن .

المرحلة الثالثة : الضرب وقواعده .

القاعدة الأولى : ابتداء الضرب من سن العاشرة .

القاعدة الثانية : أقصى الضربات للتأديب ثلاثة،وللقصاص عشرة.

القاعدة الثالثة : الالتزام بمواصفات أداة الضرب وطريقته ومكانه.

القاعدة الرابعة : لا ضرب مع الغضب.

القاعدة الخامسة : ارفع يدك عن الضرب إذا ذكر الطفل الله تعالى .

قال رسول الله ﷺ : «ما أعطى أهل بيت الرفق إلا نفعهم ولا منعوه إلا ضرهم» رواه الطبرانى بإسناد صحيح .

«ضَرْبُ الوالدِ لولده ؛ كالسماد للزرع»

لقمان يعظ ابنه[1]

«اللهم إنى أعوذ بك : من شر زمان ؛ تَمَرَّدَ فيه صغيرهم ، وتآمر فيه كبيرهم ،

(١) كتاب العيال لابن أبى الدنيا (1/ 510).

وتقرب فيه آجالهم»

هرم بن حيان[1] – رحمه الله –

«فالصبى إذا أهمل فى ابتداء نشوئه،خرج فى الأغلب ردىء الأخلاق ، كذابًا ، حسودًا، سروقًا ، نمامًا ، ذا فضول ، وضحك ، وكياد ، ومجانة ، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب»

الإمام الغزالى – رحمه الله تعالى .

أسلوب تأديب الطفل[2]

تمهيد :

تقدم معنا فى الباب السابق الأساليب التربوية النبوية ، سواء منها الفكرية أو النفسية ، فإذا لم تُجْدِ أي وسيلة مع الطفل ، فهذا يعنى : أن الطفل بحاجة إلى علاج بالتأديب؛لكى يحس بأن الأمر جدّ لا هزل فيه ، فيذوق ألم التأديب ، فيعرف قيمة الحنان والعاطفة التى تدفقت عليه من والديه قبل التأديب ، ويشعر بضرورة الانقياد والطاعة ، وحسن الخلق والسيرة .

ولكن ما هى أسس التأديب : وكيف يؤدِب الأب ابنه ، فيحقق حديث النبىﷺ : «لأن يُؤدِّب الأب ابنه خير له من أن يتصدَّق بصاع» . رواه الترمذى .

(١)حلية الأولياء (2/ 120).

(1) التأديب : التهذيب والمجازاة: المعجم الوسيط (1/ 10) .

وقد روى البخارى فى صحيحه عن جابر بن عبد الله – لما استشهد والده وأراد الزواج– فسأله رسول الله ﷺ : «فما تزوجت بكراً أم ثيباً؟» (أى جابر) : ثيِّبًا ، أُصيب عبدُ الله ، وتركَ جوارىَ صغارًا ، فتزوجت ثيبًا ، تُعلمُهُنَّ : وتُؤدِّبُهن» . ورواه النسائى وأبو داود وأحمد .

فاختيار الزوجة المؤدبة : والتى تستطيع أن تقوم بدور التأديب يكون اختيارًا موفقًا ، كما أن الرجل الذى يقوم بدور تأديب ولده يكون قد حقق إنجازاً تربويًّا كبيرًا.

وقد أقر الرسول ﷺ جابرًا على نظرته التربوية التأديبية ، ففى رواية أخرى للبخارى قال جابر للرسول ﷺ: يا رسول الله ، تُوفى والدى أو استشهد ، ولى أخواتٌ صغارٌ ، فكرهتُ أن أتزوج مِثلَهُن ، فلا تُؤدِّبُهُن . ولا تقوم عليهن ، فتزوجتُ ثيباً ؛ لتقوم عليهن ، وتؤدبُهن .

وروى البخارى تفسير مجاهد لقوله تعالى: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ ﴾ [التحريم:6] أى : «أوصوا أنفسَكم وأهليكم بتقوى الله ؛ وأدِّبوهم» .

ويظهر دور تأديب الأم لأولادها فى المجتمع ، كما تظهر ثمرة جهدها عندما ينخرط أبناؤها بين الناس ، فتظهر الفوارق بين الأولاد وبين الرجال :

روى مسلم عن عبد الله بن محمد أبى عتيق بن عبد الرحمن بن أبى بكر قال : تحدثت أنا والقاسم عند عائشة – رضى الله عنها – حديثًا ، وكان القاسم رجلا لَحَّانةً، وكان لأم ولد ، فقالت له عائشة : مالَكَ لا تَتَحدَّثُ كما يتحدَّثُ ابنُ أخى هذا، أمَا إنى قد علمتُ من أين أُتيتَ ؟ هذا أَدَّبَتْهُ أُمُهُ ، وأنتَ أدَّبَتْكَ أُمُّكُ ، قال : فغضِبَ القاسم . ورواه أبو داود وأحمد .

وروى أبو داود عن أبى سعيد الخدرىﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «من عال ثلاث بناتٍ فأدَّبهنَّ وزوَّجهُنَّ ، وأحسن إليهنّ فله الجنة» .

ولا بُدَّ قبل الشروع فى هذا أن نعرف المفهوم الفقهى للتأديب ، حيث يقول الكاسانى فى «بدائع الصانع»(6317) :

«إن الصبى يعزر تأديبا لا عقوبة ؛ لأنه من أهل التأديب . ألا ترى إلى ما روى عنه ﷺ :أنه قال : «مروا صبيانكم بالصلاة ! إذا بلغوا سبعاً ، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرًا» .

وذلك بطريق التأديب ، والتهذيب ، لا بطريق العقوبة ؛ لأنها تستدعى الجناية ، وفعل الصبى لا يوصف بكونه جناية بخلاف المجنون ، والصبى الذى لا يعقل ؛ لأنهما ليسا من أهل العقوبة ، ولا من أهل التأديب» .

الأساس التأديبى الأول : التأديب ضرورة تربوية :

إن التأديب ليس عملًا انتقاميًا من الطفل ، وإنما هدفه تربوى ، ووسيلته تربوية.

وقد قرر ابنُ الجزار القيروانى ضرورة تأديب الطفل فى الصغر فقال :«الصغير أسلس قيادة ، وأحسن مؤاتاة وقبولًا ؛ فإن قال لنا قائل : قد نجد من الصبيان من يقبل الأدب قبولاً سهلاً ، ونجد منهم من لا يقبل ذلك ، وكذلك نجد من الصبيان من لا يستحى ، ونجد منهم من هو كثير الحياء ، ونجد منهم من يُعنى بما يُعلّمه ، ويتعلمه بحرص ، واجتهاد ، ونجد من هو يملّ التعليم ويبغضه ، وقد نجد أيضًا فى ذوى العناية منهم ، وذوى العلم من إذا مُدح تعلّم علمًا كثيرًا ، ومنهم من يتعلم إذا عاتبته ، أو عاتبه المعلم ، ووبّخه ، ومنهم من لا يتعلم إلا للفَرق من الضَّرْب ، وكذلك نجد اختلافًا كثيرًا ، ومطرّدًا فى الذين يملّون التعلّم ، ويبغونه .

وقد نرى من الصبيان مُحبًّا للكذب ، ونرى منهم مُحبًّا للصدق ، ويُرى منهم اختلاف فى الأخلاق ، ومضادّة كثيرة بالطبع ، فما معنى قولك : ويحبّذ فى أن يؤخذ الأطفال بالأدب منذ الصغر ، وأنت منهم مثل هذا بالطبع من غير تعليم ، ولا تأديب ، أَفَتَرى الأدب ينقل الطبع المذموم إلى الطبع المحمود ؟

فتقول لقائل هذه المقالة : أما ما ذكرت من طبائع الصبيان ، واختلافهم ، وقولك : أفترى الأدب ينقل الطبع المذموم إلى الطبع المحمود ؟ فلعمرى إنه لكذلك ، وإنما أوتى صاحب الطبع المذموم من قبل الإهمال فى الصبا ، وتركه ما يعتاد مما تميل إليه طبيعته فيما هى مذمومة ، أو يعتاد أشياء مذمومة أيضاً ؛ لعلها ليست فى غريزته ، فإن أخذ فى الأدب بعد غلبة تلك الأشياء عَسُرَ انتقاله ، ولم يستطع مفارقة ما اعتاده فى الصبا ، وقد قال أحد الفلاسفة : «إن أكثر الناس إنما أُتُوا فى سوء مذاهبهم من عادات الصبا إذا لم يتقدمهم تأديب ، وإصلاح أخلاقهم ، وحُسْن سياستهم» .

فلذلك أُمرْنا نحن أن نُؤدِّب الصبيان ، وهم صغار ؛ لأنهم ليس لهم عزيمة تصرفهم لما يأمر به فى المذاهب الجميلة ، والأفعال الحميدة ، والطرائق المثلى ؛ إذ لم

تبلغ عليهم بعد عادة رديئة تمنعهم من اتباع ما يُراد بهم من ذلك ، فمن عَوّد ابنه الأدب ، والأفعال الحميدة ، والمذاهب الجميلة فى الصغر حازَ بذلك الفضيلة ، ونال المحبّة والكرامة ، وبلغ غاية السعادة ، ومن ترك فعل ذلك ، وتخلّى عن العناية به أدّاه ذلك إلى عظيم النقص والخساسة ، ولعلّه يَعْرِف فضيلة ذلك فى وقت لا يُمكنه تلافيه ، واستدراك ما فاته منه ، فتحصل له الندامة التى هى ثمرة الخطأ ، وذلك أنّا قد نرى من الناس مَنْ يعلم أنّ مذاهبة رديئة ، ولا يخفى عليه الطريق المحمود ، ويعسر عليه النزوع إليه لتقدّم العادة المعتادة فيهم .

وإن حملوا أنفسهم على بعض تلك الحالات تصنّعاً ، وحياء من الناس فى الظاهر لم يعدموا إذا خَلَوْا أن يرجعوا إلى المذاهب المتمكنّة فى غرائزهم ، وإنما أصل العادة أن الإنسان إلى العادة أميل ، وعليها أحرص ، وبها أشدّ تمسُّكاً ، فليس إذاً من الأسباب الذميمة شىء أقوى سببًا إذا كان فى طبيعته من مثل ذلك الشىء الذى تعوّده ، فإن لم يُعن فى ذلك الطبع ، فإن العادة وحدها تبلغ فى ذلك إذا استحكمت ، وتمكنت مبلغًا قويًّا ، وكذلك فعل العادة فى الأشياء المحسوسة الفاضلة ، فإن رأيت صبيًّا فى طبيعة جيّدة ، وعادة صالحة ، فإنه لا تفارقه الخصال المحمودة الشريفة ؛ لأنه طُبع عليها من جهتين قويتين ، كما أن ذلك لا تفارقه الخصال المذمومة الدنيئة ؛ لأنه طُبع عليها من هاتين الجهتين ، أعنى العادة والطبيعة ، مع أن بعض الحكماء قال: «العادة طبيعة ثانية» فلموقع العادة هذا الموقع وجب أن يؤدب الأطفال ، ويعوّدوا بالأشياء الجميلة ، وتربيتهم تربية فاضلة ليكونوا – إن قبلتْ طبائعهم منفعة التأديب والتعاهد – أخيارًا فضلاء ، فإن أمكن أن يكون من الصبيان من لا يقبل ذلك لم يلزمنا نحن التوانى ، وإغفال ما يجب حين يمكن فيه تأديبهم ، فنرجع على أنفسنا باللوم ، فنقول :

«إنا قد أخطأنا إذ لم نعاتبهم فى حين يُمكن فيه تأديبهم وقبولهم ، وقد علمنا أن صغير الخطأ فى أوائل الأشياء وأصولها ليس بيسير الضرر فى العاقبة ، كذلك فإن العاقبة فى الصواب ، كأنّ الأشياء لتُنْبِىء عن الأصول ، فقد بيّنا بيانًا شافيًا ، وأوضحنا إيضاحاً كافيًا، وتبيّن لمن فيهم عنا قولنا : إن الصواب أن يؤدب الصبى ، فإن كانت طبيعته طبيعة من ليس بأديب ولا لبيب ، فهذا بيّن للمعترض طريق الصواب ، فأما إن كان الصبى طبيعته جيدة ، أعنى أن يكون مطبوعًا على الحياء ، وحب الكرامة ، والألفة ، محبًا للصدق، فإن تأديبه يكون سهلًا ، وذلك أن المدح والذم يبلغان منه عند الإحسان أو الإساءة مالا تبلغه العقوبة من غيره ، فإن كان

الصبى قليل الحياء ، مستخفًا للكرامة ، قليل الألفة ، محبّاً للكذب ، عَسُر تأديباً ، ولا بدّ لمن كان كذلك من إرهاب وتخويف عند الإساءة ، ثم يُحقق ذلك بالضرب إذا لم ينجح التخويف ، وينبغى أن يُتفقّد الصبى فى كلامه وقعوده بين الناس ، وحركته ، ونومه ، وقيامه ، ومطعمه ، ومشربه ، ويُلْزَم فى جميع ذلك ما ألزمه العقلاء أنفسهم ، حتى صاروا وأمثالهم طبيعة من طبائعهم»[1]. فإذا تقرر معنا أن التأديب ضرورة تربوية تهذيبية تقويمية للطفل، فهذا يعنى ضرورة يقظة الوالدين والمربين فى تعاملهم مع الطفل ، وفهم طبيعته ، واختيار نوع العقوبة ، وطريقتها .

الأساس التأديبى الثانى : تصحيح خطأ الطفل فكرياً ثم عملياً :

مما لاشك فيه أن استئصال الخطأ من جذوره وأصوله يعد نجاحاً باهراً ، ونصراً كبيراً فى العملية التربوية ، وإذا تأملنا طبيعة أى خطأ وجدنا أن أصوله تعتمد على ثلاثة أشياء ، فإما أن يكون سببه فكريًّا ، أى : أن الطفل لا يملك فكرة صحيحة عن الشىء ، فتصرَّف من عنده فأخطأ ، وإما أن يكون السبب عمليًّا ، أى: أن الطفل لا يستطيع أن يتقن عملاً ما ، ولم تدرب أصابعه على العمل فأخطأ ، وإما أن يكون السبب ذات الطفل ، وتعمده الخطأ ، أو ذوى الطبائع العنيدة ؛ لذلك يصر على الخطأ ؛ لهذا فإن تحديد أصل الخطأ يسهل كثيرًا فى تلافيه .

أولاً : التصحيح الفكرى لخطأ الطفل :

إن الطفل كأى كائن حى يجهل أكثر مما يعلم ، فإذا علم فعل الصواب سار سيرًا محموداً ، وحيث إن الإنسان عدو ما يجهل ؛ لذلك تكون مرحلة تعليمه الصحيح من السقيم أولى الخطوات فى تقويمه ، وإن النبى ﷺ كان يُصحِّح البُنى الفكرية للطفل إذا أخطأ ، وكان يتبع فى ذلك شتى الأساليب المحببة التى تمتاز بالرفق واللين، وذلك لتصحيح فكر الطفل ، وإليك بيان ذلك :

روى أبو داود عن عبد الرحمن بن أبى عقبة – رحمه الله – عن أبيه ، وكان مولى من أهل فارس ، قال : شهدتُ مع النبى ﷺ أحدًا ، فضربتُ رجلًا من المشركين ، فقلت : خذها وأنا الغلام الفارسى ، فالتفت إلىَّ رسول الله ﷺ فقال : «هلا قلت : وأنا الغلام الأنصارى ؟ ابن أخت القوم منهم» .

فما أروع هذا التعليم فى وسط المعركة ؟ ! ثم ماذا ؟ التعليم بوضع قاعدة له يسير عليها فى حياته : «ابن أخت القوم منهم» وكيف كان العلاج ؟ إنه اللطف ،

---

[1] سياسة الصبيان وتدبيرهم (ص134) تحقيق د . محمد الحبيب السهيلة ، طبع الدار التونسية بتونس ، وهو موجود فى مكتبة الدار الوطنية بحلب الشهباء ـ حفظها الله ـ تعالى ، وسائر بلاد المسلمين .

والرفق، ولين الجناح : «هلا قلت» يا لروعة التواضع فى التعليم ! .. الرسول ﷺ يقول لغلام بهذه الصيغة : «هلا» . فصلى الله عليك يا سيدى ، ومرشدى ، ومعلمى، وقدوتى .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة ﷺ قال : أخذ الحسن بن على رضى الله عنهما تمرةً من تمر الصدقة ، فجعلها فى فيه ، فقال رسول الله ﷺ «كخْ .. كخْ .. أرْمِ بها ، أما علمتَ أنّا لا نأكل الصدقة ؟ !» .

قال النووى – رحمه الله[1] : وقوله : «كخْ ، كخْ» يقال: بإسكان الخاء ، ويقال: بكسرها مع التنوين ، وهى كلمةُ زجر الصبى عن المستقذرات ، وكان الحسن ﷺ صبيًا .

ففى هذا الحديث زيادة لطيفة ، وهى طريقة الزجر بهذه الكلمة : «كخْ .. كخْ» ، ثم ما لبث رسول الله ﷺ أن علَّل لهذا الطفل سبب عدم الأكل ، وعدم حله له ؛ لتكون له قاعدة فكرية عامة فى حياته كلها : «أما علمت أنّا لا تحل لنا الصدقة» وذلك بصيغة رائعة: «أما علمت ؟ !» وذلك ليكون وقعها على نفسه أقوى تأثيرًا .

وهذا حديث ثالث يخاطب فيه الغلام بلغة رقيقة عذبة ، وبلفظ : «رويدك» ؟ أخرج الشيخان عن أنس ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، وغلام أسودُ ، يقال له : أنجشة يحدو[2]، فقال له رسول الله ﷺ : «ويحك يا أنجشة ! رويدك سوقَك بالقوارير ، قال أبو قلابة : يعنى النساء» . وهذا تصحيح رابع فى موقف عرفة قول النبى ﷺ لابن عباس : «مه يا غلام ، فإن هذا يوم من حفظ فيه بصره غُفِر له ، يعنى : يوم عرفة» رواه الطيالسى . وهذا تصحيحٌ مع مناداة الاسم :

روى الترمذى عن أم سلمة – رضى الله عنها – قالت : رأى رسول الله ﷺ غلاماً لنا و يقال له : افلح ، إذا سجد نفخ ، فقال : «يا أفلح ترِّب وجهك» .

اقتداء الصحابة فى تصحيح الأفكار للطفل :

عن أبى حكم الغِفَارى قال : حدثتنى جَدّتى عن عمٍّ أبى رافع بن عمرو قال : كنتُ وأنا غلام أرمى بنخل الأنصار ، فقيل للنبى ﷺ إن هَا هُنا غُلامًا يرمى نخلنا ، أو يرمى النخل ، فأتى بىَ النبىّ ﷺ فقال : «يا غلام ، لم ترمِ النخلَ ؟» فقلتُ : آكلُ . فقال : «لا تَرْمِ النخلَ ، وكلْ مما سقطَ فى أسفلِها» قال : ثم مسح رأسى ، وقال :

---

[1] فى رياض الصالحين .

[2] يحدو : أى ينشد الأشعار ؛ ليسير الجمل بسرعة ومتعة ، فلا يشعر بالتعب .

«اللهم أشبع بطنه» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 416) قال محققه : قال الترمذى : حديث حسن غريب صحيح ، وقال : أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد والبيهقى فى السنن الكبرى .

فنرى فى التصحيح الفكرى للطفل ، طريقة تعرّفه للوصول إلى غرضه ، فهو يريد أن يأكل من التمر ، فدله الرسول ﷺ على طريقة شرعية صحيحة ، وهى أن يأكل مما سقط من الشجرة على الأرض ، بدلًا من ضرب الأشجار ، وإسقاط التمر من على الشجرة بغير إذن صاحبها ، ثم أتبع النبى ﷺ ذلك التعليم بالمسح على رأسه ، والدعاء له ، فهذا أسلوب فريد و خرج من مشكاة النبوة .

ونرى فى هذا الإسناد لطائف : وهى تحديث الجدّة عن العم للبسط ، فهذا دليل ما أكدناه فى السابق ، من تفاعل الأسرة المسلمة كلها ، ومشاركتها فى تربية الأحفاد والأسباط ، وابن الأخ وابن الأخت ، وهذا طريق حفظ العلم ، فالراوى أحد الأحفاد للجدة ، فروى الحديث عنها ، فكان الخير كل الخير للمشتركين فى التحديث عن رسول الله ﷺ .

وهذا أنس يُصحِّح لابنته فكرتها :

أخرج البخارى والنسائى عن ثابت البنانى – رحمه الله – قال : كنت عند أنس وعنده بنتٌ له ، فقال أنس : جاءت امرأةٌ إلى النبى ﷺ تعرض عليه نَفْسَها ، فقالت: يا رسول الله، ألك بى حاجة ؟ فقالت بنت أنس : ما أقلَّ حياءها ! واسوأتاه ! واسوأتاه! فقال أنس : هى خيرٌ منكِ ، رغبت فى النبى ﷺ فعرضتْ نفسَها عليه .

وهذا تطبيق عملى من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للحديث السابق :

فعن سِنان بن سلمة أنه حدّث بالبحرين فقال : كنتُ فى غلمة بالمدينة ، نلتقط البَلَحَ ، فأبْصرَنا عمرُ ، وسعى الغلمان (أى هربوا) وقمتُ (أى وقفت ولم أهرب) فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنما هو ما ألقتِ الريحُ ، قال : أرنى أنظرُ ، فلما أريتُهُ ، قال : انطلق .

قال : قلتُ : يا أمير المؤمنين ، وَلِّ هؤلاء الغلمان ، إنك لو تواريتَ انتزعوا ما معى ، قال : فمشى معى ؛ حتى بلغتُ مأمنى . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 418) .

فهاهنا نرى اهتمام خليفة المسلمين بالأطفال ، وتحرّيه معهم ، وحرصه على معرفة الحقيقة ، واستجوابه للطفل بلين وحكمة ، ونرى فقه الغلام ، مما دل على أن الآباء بلّغوا أبناءهم حكم رسول الله ﷺ فى جواز التقاط البلح الساقط من الشجر

على الأرض .

ثم جرأة الطفل فى طلب المعونة من أمير المؤمنين للوصول إلى بيته بأمان ، حتى يتخلص من إيذاء رفقائه وأصحابه .

وهذا ابن عمر يصحح للأطفال خطأهم ، فيبلغهم حديث رسول الله ﷺ :

ففى الصحيحين عن ابن عمر – رضى الله عنهما – أنه مرَّ بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً ، وهم يرمونه ، وقد جعلوا لصاحب الطير كلَّ خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرَّقوا ، فقال ابنُ عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، وإن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه روح غرضًا .

وهذا صحابىٌّ آخر ينتبه لصلاة طفله ، ويُصحِّحها له :

روى الترمذى عن عبد الله بن مغفل – رحمه الله – قال : سمعنى أبى ، وأنا أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : أى بنى ، محدث . إياك والحدث ! قال : ولم أرَ أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ كان أبغض إليه الحدثُ فى الإسلام ، يعنى : منه ، قال : وقد صليت مع النبى ﷺ ومع أبى بكر ومع عمر ومع عثمان ، فلم أسمع أحداً منهم يقولها إذا أنت صليت ، فقل : (الحمد لله رب العالمين) .

وقد تقدم فى أدب الطعام كيف صحَّح النبى ﷺ طريقة طعام الغلام بالتوجيه الفكرى، وهكذا وجدنا أن التصحيح الفكرى ، وتعليم الطفل ، والحوار معه ، والشرح له ، وتعليل الأمور له ، ركن قوى فى تقليل الخطأ ، وتصحيح مسار الطفل.

ثانياً : التصحيح العملى فى الواقع الميدانى لخطأ الطفل :

كثيراً ما يُطلب من الطفل القيام بأعمال لم يسبق له عملها ، أو شاهد من عملها؛ لذلك يبقى فى جهل ، فإذا طلب منه العمل وقع فى أخطاء تحتاج إلى تصحيح ، فإذا عُوقِب على خطئه هذا كان ظلماً ، وحيفاً .

وإن رسول الله ﷺ عندما يتعرض لمثل هذه المشاهد لا يلبث أن يفهمَ الطفل بالطريقة العملية فيشمِّر عن يديه ، ويُرى الطفل كيف يحسن العمل ، وفى هذا تعليم للوالدين ، والمربين ، وأى تعليم .

روى أبو داود عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مَرَّ بغلام يسلخ

شاة وما يُحسن ، فقال له رسول الله ﷺ : «تنحّ حتى أريك» فأدخل يديه بين الجلد واللحم ، فدخَسَ بها ، حتى دخلت إلى الإبط ، ثم مضى ، فصلى للناس ، ولم يتوضأ.

فليكن شعار المربين والوالدين فى تعاملهم مع أطفالهم :

«تَنَحَّ حتى أُرِيَكَ» .

فإنه أدعى للعلم الصحيح ، والعمل البناء الموجه ، والطريقة السليمة فى العملية التربوية .

وسار الصحابة – رضوان الله عليهم – بعد ذلك ، يعلمون الكبار والصغار ، والرجال والنساء بالتدريب العملى الواقعى ، والمشاهدة الحسية .

روى الإمام أحمد وابن أبى شيبة عن أبى مالك الأشعرى رضي الله عنه أنه قال : يا معشر الأشعريين ، اجتمعوا واجمعوا نساءكم ، وأبناءكم ، حتى أُريكم صلاة رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا ، وجمعوا أبناءهم ، ونساءهم ، ثم توضأ ، وأراهم كيف يتوضأ ، ثم تقدم ، فصفَّ الرجالَ ، ثم أتى الصف ، وصفَّ الولدان خلفهم ، وصف النساء خلف الصبيان» .

وهكذا تنطبع الصورة الصحيحة فى ذهن الطفل بتعريفه عمليًّا الأحكام ، وخاصة مما هو أصله عمل حسى ، مثل الصلاة والحج والعمرة والصوم ، وغيرها .

الأساس الثالث : التدريج فى تأديب الطفل :

فإذا لم يصلح الطفل التصحيح الفكرى والعملى ، وأصرّ على ارتكاب الخطأ ، كان التأديب حقًا لازمًا عليه ، ويتَّبَعُ معه العقوبات بالخطوات التالية :

المرحلة الأولى : رؤية الأطفال للسوط ، والخوف منه :

كثير من الأطفال يردعهم رؤية السوط ، وأداة العقوبة ، فبمجرد إظهارها لهم يسارعون إلى التصحيح ، ويتسابقون إلى الالتزام ، وتتقوّم أخلاقهم ، وسلوكهم .

فقد روى البخارى فى «الأدب المفرد» عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن النبى ﷺ أمر بتعليق السوط فى البيت[1].

وروى عبد الرزاق والطبرانى عن ابن عباس – مرفوعاً : «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت ، فإنه آداب لهم»[2]. وفى رواية الطبرانى : «فإنه لهم أدب» .

---

(1) الأدب المفرد (2/ 656) ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 494) .
(2) حسن . انظر : صحيح الجامع ، رقم (4022) .

وقد أوصى النبى ﷺ معاذ بن جبل ﷺ فيما أخرجه الإمام أحمد ، وابن ماجه، والبخارى فى «الأدب المفرد» : «ولا ترفع عنهم عصاك أدباً» .

وروى ابن عمر مرفوعًا : «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت» أخرجه الضياء[1] .

فلا بُدّ من وجود السوط أو العصا فى البيت ؛ ليخاف الطفل من أن يتعمد الخطأ، والمعاندة .

المرحلة الثانية : شدّ الأذن :

وهى أولُ عقوبةٍ جسدية للطفل ... إذ بهذه المرحلة يتعرف على ألم المخالفة ، وعذاب الفعل الشنيع الذى ارتكبه ، واستحق عليه شدّ أذنه ، فقد أورد النووى فى «الأذكار» فقال: روينا فى كتاب ابن السنى عن عبد الله بن بُسْرْ المازنى الصحابى ﷺ قال : بعثتنى أمى إلى رسول الله ﷺ بقطف من عنب ، فأكلت منه قبل أن أبلغه إياه ، فلما جئت أخذ بأذنى وقال : «يا غُدر !» .

المرحلة الثالثة : الضرب وقواعده :

وإذا لم يُجْدِ مشاهدة العصا ، ولم يُجْدِ شد الأذن مع الطفل ، وما زال مصرًا على المشاكسة ، والعناد ، كانت المرحلة الثالثة هذه كفيلة بكسر هذا العناد ، ولكن هل الضرب يمشى هكذا بلا ضوابط ، وحسبما تهوى أنفس الوالدين والمربين ؟ أم له قواعد تتبع لكى يسير فى مساره الصحيح القويم فما هى هذه القواعد ؟

القاعدة الأولى : ابتداء الضرب من سن العاشرة :

انطلاقاً من الحديث الذى رواه أبو داود بإسناد حسن : «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر» ، فإن ابتداء الضرب يكون فى سن العاشرة ؛ وذلك لأنه التقصير فى عمود الدين ، وركنه الأساسى ، والذى يحاسب فيه المرء يوم القيامة أولًا بعد العقيدة ، فإن النبى ﷺ لم يأذن بضرب الطفل على التقصير قبل سن العاشرة ، فمن الأولى فى باقى الأمور الحياتية ، والسلوكية ، والتربوية التى لا تساوى مكانة الصلاة أهمية ومنزلة عند الله تعالى .

أما ما قبل العاشرة فتتبع المراحل السابقة بكل دقة ، وأناة ، وصبر ، وحلم على الطفل ، وفى هذه لفتة نبوية رائعة فى تقرير سنِّ الضرب .

قال إسماعيل بن سعيد : سألتُ أحمد عما يجوز فيه ضرب الصبى على

---

[1] صحيح . انظر صحيح الجامع ، رقم (4021) .

الصلاة ، قال : إذا بلغ عشرًا ، وقال : إن أبا عبد الله قال : اليتيمُ يُؤدّب ، ويُضرب ضربًا خفيفًا .

وقال الأثرم : سُئِل أبو عبد الله عن ضرب المعلم الصبيان ، فقال : على قدر ذنوبهم ، ويتوقّى بجهده الضرب ، وإن كان صغيراً لا يعقل فلا يضربه[1].

لهذا فإن الوالدين والمربين مدعوون إلى استخدام الفكر والروية فى معالجة تصرفات الطفل ، وإذا علمنا أن الطفل مازال فى مرحلة نموه الجسمى والعقلى ، فإن كثرة الضرب قد تؤذى أحد أعضائه .. وأحيانًا تؤدى إلى إيذاء نفسى وفكرى ، أى يمكن القول: إن الضرب للتأديب ، كالملح للطعام ، فكما أن الملح يوضع بشكل قليل ، فيغير من طعم الطعام ، ويحسنه ... فكذلك الضرب القليل المفيد المثمر هو المطلوب فى العملية التربوية ؛ لأن الهدف كما ذكرنا أن الضرب ضرورة تربوية ، وليست انتقامية ، أو لتفريغ شحنة غضب الوالدين ، أو المربِّيين .

ولا ننسى أن كثرة الضرب ، واستخدامه تقلل من هيبته ، وتفقده مفعوله ، بالإضافة لما يولده من آثار سلبية فى النمو النفسى ، والفكرى للطفل .

وإذا علمنا رواية الدار قطنى (1/ 231) عن أنس ﷺقال : قال رسول الله ﷺ: «مروهم بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لثلاث عشرة» فإن هذا يعنى أن فترة عدم الضرب قد تمتد إلى الثلاث عشرة سنة من عمر الطفل ؛ مما يؤكد ضرورة التروى ، والهدوء فى عملية الضرب ، والتقليل منه ما أمكن .

القاعدة الثانية : أقصى الضربات للتأديب ثلاثة ، وللقصاص عشرة :

إن أقصى عدد الضربات لا يتجاوز فى أى حال من الأحوال فى العملية التربوية عن عشر ضربات ، وذلك لما أخرج البخارى عن أبى هريرة ﷺ قال: كان النبى ﷺ يقول : «لا يُجلد فوق عشر جَلدات إلا فى حدٍّ من حدود» .

وفى مصنف عبد الرزاق (7/ 413) : «لا عقوبة فوق عشرة أسواط ، إلا أن يكون فى حد من حدود الله» .

وقد عنون البخارى للحديث «التعزير والأدب» ، فقال الحافظ ابن حجر معلقًا، وشارحًا : «والمراد بالأدب فى الترجمة والتأديب ، وعطفه على التعزير ؛ لأن التعزير يكون بسبب المعصية ، والتأديب أعمّ ، ومنه تأديب الولد ، وتأديب المعلم»[2] .

فإذا حدّد الحديث عدم جواز زيادة الضرب على عشر ، إلا فى ثبوت حدٍّ من

---

(1) عن (الآداب الشرعية والمنح المرعية) لمحمد بن مفلح المقدسى الحنبلى (1/ 506) .
(1) فتح البارى (15/ 191) .

حدود الله ـ تعالى . ولما كان الطفل لم يدخل فى سن الاحتلام والتكليف ، فإن معاصيه يعزّر فيها ويؤدَّب ، والله أعلم . ورأى القاضى شريح ألا يضرب الصبى على القرآن إلا ثلاثًا ، كما غطَّ جبريل عليه السلام محمدًا ﷺ ثلاثًا[1].

وكان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يكتب إلى الأمصار : لا يَقْرِنُ المعلمُ فوق ثلاث ، فإنها مخافة للغلام[2].

وعن الضحاك قال : ما ضربَ المعلمُ غُلاماً فوق ثلاث فهو قصاص[4] .

ولا بد من العدل فى الضرب بين الصبيان ، فعن الحسن قال : إذا لم يعدل المعلمُ بين الصبيان كُتب من الظلمة[5].

فاتضح لدينا أن تأديب الطفل يكون بثلاث ضربات وأقل ، والقصاص أكثر من الثلاث إلى العشر . وما فوق العشر ففى الحدود .

وهنا فلا بد من وقفة فى أن نستعرض تصرفات بعض الحمقى فى عملية الضرب ، واستخدامهم له بكثرة بلا رحمة ، أو شفقة ، فلنستمع إلى فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين ، وهو يروى لنا مشاهدته ، فقال ـ رحمه الله تعالى :

«ذهبت إلى الجامع الأزهر لأذان العصر ، وانتدبت للتحية مكانًا بين مجمعين لتعليم القرآن ، فانشق صدرى أسفًا لأحد المعلمين ؛ إذ كان لا يضع العصا من يده، ولا يفتر أن يقرع بها جنوب الأطفال ، وظهورهم بما ملكت يده من القوة ، وربما قفز الصبى آبقاً من وجع الضرب ، الذى لا يستطيع له صبرًا ، فيثب فى أثره بخطوات سريعة ، ويجلده بالمقرعة جلدًا قاسيًا ، حتى قلت لأزهرى كان بجنبى : من جلس إزاء هذه المزعجات فقد ظلم نفسه ، وذكرت أنى كنت ألقيت خطبة فى أدب تعليم الصبيان ببلد بنزرت لما كنت قاضيًا بها ، وأدرجت فيها ما قرره صاحب «المدخل» من الرفق بالصبى ، وعدم زيادة المعلم إن اضطر إلى ضربه على ثلاثة أسواط ، وتحذيره من اتخاذ آلة الضرب مثل عصا اللوز اليابس ، والفلقة ، ولما خطبت فى هذه الآداب أرسل لى بعض المعلمين كتاباً على طريق البريد يعترض فيه على نشر هذه الآداب ، ويقول : إن هذا مما ينبه قلوب التلامذة للجسارة علينا»[3].

فجهل المربى والوالدين بكيفية الضرب ومواصفات أداته ، ومكان الضرب ،

---

(2) الروض الأنف (1/ 272) والغطّ بمعنى : الخنق والضمّ .

(3 ـ 5) ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (1/ 531) .

(1) كتاب الرحلات (ص:51) تأليف الشيخ محمد الخضرى حسين ، جمع وتحقيق : على الرضا التونسى، ط: دار التعاونية .

وطريقة الضرب يجعل منه وسيلة للتشفى ، والانتقام ، لا للتربية ، والتقويم ، والبناء ؛ لهذا نحن بحاجة إلى هذه المواصفات .

القاعدة الثالثة : الالتزام بمواصفات أداة الضرب وطريقته ومكانه :

إن الالتزام بمواصفات أداة الضرب ، ومكانه ، وطريقته ، يجعل منه ضابطًا لحماقة بعض الوالدين والمربين ، ويضعهم فى مواجهة الحقيقة مع أنفسهم عندما لا يلتزمون بها ، فإن هذا يعنى منهم الانتقام لا التربية ، والغضب لا الرحمة والتأنى ، وسنتعرف إلى هذه المواصفات من خلال معرفة مواصفات إقامة حد من حدود الله،وبالتالى فإن عملية التأديب والتربية تكون أخفّ بكثير من مواصفات إقامة الحد الشرعى .

ويمكن القول – وهذا ما ستراه : إن كثيرًا من الآباء والمربين يقومون بضرب الأطفال بشكل أعنف ، وأقسى من إقامة حد من حدود الله ؛ لهذا وجبت علينا المعرفة والبيان ، لنرى أين نحن من تربية الإسلام .

أولاً : مواصفات أداة الضرب [السوط أو العصا] :

يقول أبو الأعلى المودودى فى «نوعية السوط فى حدِّ الزنا»[1] :

«أول إشارة عن كيفية ضرب السوط تتضمنها حكمة (فاجلدوا) من آية القرآن نفسه ، فإن الجَلد مأخوذ من الجِلدْ ، وهو ظاهرُ البشرة من جسد الإنسان ، ومن ثم قد اتفق أصحاب المعاجم ، وعلماء التفسير على أن الضرب بالسوط ينبغى أن يصيب الجلد فقط ، ولا يعدوه إلى اللحم ، فكلّ ضرب يقطع اللحم ، أو ينزع الجلد، ويجرح اللحم مخالفة لحكم القرآن .

ويجب ألا يكون كل سوط أو عصا يستعمل للضرب شديدًا جدًا ، ولا رقيقاً ليناً جداً، بل يكون بين اللين والشدة والغلظة والدقة ، فقد روى مالك فى الموطأ عن زيد بن أسلم : أن رجلًا اعترف بنفسه بالزنا على عهد رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ بسوط ، فأتى بسوط مكسور فقال : «فوق ذلك» ، فأتى بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال : «بين هذين» ، فأتى بسوط قد لان ، ورُكب به فأمره به فجلد»[2].

وروى أبو عثمان النهدى عن عمر أنه أُتى بسوط فيه شدة ، فقال : أريد ألين من هذا ، فأتى بسوط فيه لين ، فقال : أريد أشدّ من هذا ، فأتى بسوط بين السوطين

---

(1) تفسير سورة النور للمودودى (ص 73) .

(2) ورواه عبد الرزاق فى المصنف (7/ 369) .

فقال : اضرب[1]، وكذلك لا يجوز أن يستعمل فى الضرب سوط فيه العقد ، أو له فرعان ، أو ثلاثة فروع» .

وقد لخص الشيخ الفقيه شمس الدين الإنبانى مواصفات أداة تأديب الأطفال، فقال: «ويجب فى السوط :

1 – أن يكون معتدل الحجم ، فيكون بين القضيب والعصا .

2 – وأن يكون معتدل الرطوبة ، فلا يكون رطبًا يشق الجلد لثقله ، ولا شديد اليبوسة فلا يؤلم لخفته .

3 – ولا يتعين لذلك نوع ، بل يجوز بسوط (وهو سيور) ، وبعود ، وخشبة ، ونعل ، وطرف ثوب بعد فتله حتى يشتد»[2].

ثانيًا : مواصفات طريقة الضرب :

«وكذلك يجب أن يكون الضرب بين الضربين ، وقد كان عمر يقول للضارب : «لا ترفع إبطك»[3] أى : لا تضرب بكل قوة يدك ، والفقهاء متفقون على أن الضرب لا ينبغى أن يكون مبرحًا ، أى : موجعًا[4] .

ولخص الشيخ الفقيه «شمس الدين الإنبانى» طريقة ضرب تأديب الطفل فى كتابه : «رسالة رياضة الصبيان» فقال فى كيفية ضرب الصبى :

«1 – أن يكون مفرقا لا مجموعًا فى محل واحد .

2 – أن يكون بين الضربتين زمن يخف به ألم الأول .

3 – ألا يرفع الضارب ذراعه لينقل السوط لأعضده حتى يرى بياض إبطه ، فلا يرفعه لئلا يعظم ألمه»[5] .

فأنت تلاحظ أن هذه الضوابط لكى يؤتى الضرب ثمراته التربوية فى التأديب والتهذيب ، فيتقدم الطفل نحو الأحسن لا الأسوأ ، ونحو الأعلى لا الأسفل ، ونحو الكمال لا النقصان ، ونحو القمة الأخلاقية والسلوكية لا الحضيض .

ثالثاً : مواصفات مكان الضرب :

«ولا ينبغى أن يكون فى موضع واحد من الجسد ، بل ينبغى أن يفرق على

---

(1) أحكام القرآن للجصاص (3/ 322) ومصنف عبد الرزاق (7/ 369) وفيه زيادة «وأعط كلًا حقه» وأخرجه البيهقى (8/ 328) .
(2) التربية فى الإسلام (ص 135) .
(3) تفسير سورة النور لأبى الأعلى المودودى .
(4) التربية فى الإسلام ص (135) .
(1) أحكام القرآن للجصاص (3/ 322) وأحكام القرآن لابن العربى (2/ 84) .

الجسد كله ، حيث يأخذ كل عضو من أعضائه حقه إلا الوجه والفرج – والرأس أيضاً عند الحنيفة – فإنها لا يجوز ضربها . عن على ﷺ أنه أتى برجل سكران ، أو فى حدٍّ ، فقال : اضرب وأعط كل عضو حقه ، واتق الوجه والمذاكير»[1].

وعن النبى ﷺ أنه قال : «إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه» . رواه أبو داود [2].

ويفضّل ابن سحنون الضرب على الرجلين كما نقل القابسى عنه فى رسالته : «أحوال المتعلمين ، وأحكام المعلمين والمتعلمين» فيقول :

«وليتجنب أن يضرب : رأس الصبى أو وجهه ، فإن سحنونًا قال فيه : لا يجوز له أن يضربه ، وضرر الضرب فيهما بيّن قد يوهن الدماغ ، أو تطرف العين ، أو يؤثر أثراً قبيحاً ، فليجتنبا ، فالضرب فى الرجلين آمن ، وأحمل للألم فى سلامة»[3].

ويضيف «شمس الدين الإنبابى» فيقول : «وأن يكون فى غير وجه ومقتل» .

وعن على بن أبى جملة قال : كان سليمان بن سعد يُؤدّب الوليدَ وسليمان (أى : ابنا عبد الملك) فقال له عبد الملك (خليفة المسلمين) : يا سليمان ، لا تضرب وجوهَ بَنِىَّ . وكان فى خُلُقِ سليمانَ شِدَّة[4].

وعن مروان بن شجاع قال : كان إبراهيمُ بنُ أبى عَبْلةَ يُؤدبُ ولدَ الوليد بن عبد الملك، فخرج عليه الوليدُ يومًا ، وقد حملَ جاريةً على ظهر غلام ، وهو يضربها ، فقال له : مَهْ يا إبراهيم ، فإن الجوارى (أى البنات) لا يُضربْنَ على أعجازِهِنَّ ، ولكن عليكَ بالقدم والكَفِّ[5] .

ومن خلال ما تقدم نجد أفضل مكان للتأثير : اليدين والرجلين .

القاعدة الرابعة : لا ضرب مع الغضب :

أوصى النبى ﷺ المسلمَ بعدم الغضب ، والابتعاد عنه ما أمكن إلى ذلك سبيلاً ، وذلك عندما سأله رجل : أوصنى ، فقال : «لا تغضب»[6] وأعادها عليه ثلاثاً .

وإن علامة الغضب بذاءة اللسان فى السب ، والشتم ، وتقبيح الطفل ؛ ولهذا أوصى القابسى فى رسالته[5] بالابتعاد عن ذلك ، فقال عندما يكثر خطأ الطفل :« ولم يغنِ فيه العزل ، والتقريع بالكلام الذى فيه القواعد من غير شتم ، ولا سب

---

(2) أحكام القرآن للجصاص (3/ 322) .
(3) المصدر السابق .
(4) التربية فى الإسلام (ص270).
(5) كتاب العيال لابن أبى الدنيا (1/ 526).
(1) رواه البخارى عن أبى هريرة ﷺ . وفيه رواية أحمد بسند صحيح «اجتنب الغضب ».
(2) التربية فى الإسلام (ص270).

لعرضٍ، كقول من لا يعرف لأطفال المؤمنين حقًا ، فيقول : يا مسخ ! يا قرد !

فاستغفر الله منها ، ولتنته عن معاودتها ، وإنما تجرى الألفاظ القبيحة من لسان تمكن الغضب من نفسه ، وليس هذا مكان الغضب ، وقد نهى الرسولُ ﷺ أن يقضى القاضى وهو غضبان[1] ، وأمر عمر بن عبد العزيز – رحمة الله عليه – بضرب إنسان ، فلما أقيم للضرب قال : اتركوه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : وجدت فى نفسى عليه غضباً ، فكرهت أن أضربه وأنا غضبان ، قال أبو الحسن : كذا ينبغى لمعلم الأطفال أن يراعى منهم ، حتى يخلص أدبهم لمنافعهم ، وليس لمعلمهم فى ذلك شفاء من غضبه ، ولا شىء يريح قلبه من غيظه ، فإن ذلك إن أصابه ، فإنما ضرب أولاد المسلمين لراحة نفسه ، وهذا ليس من العدل»[2].

القاعدة الخامسة : ارفع يدك عن الضرب إذا ذكر الطفل الله تعالى :

وأنت تضرب طفلك وتؤدبه ، وهو يتألم ، فإذا استجار بالله تعالى فيدعوك رسول الله ﷺ أن تقف عن الضرب ، وترفع يديك ، وتترك الطفل . وفى هذا لفتة رائعة ؛ فإن هذا الطفل وصل إلى قناعة بخطئه ، وسيصلحه ، أو وصل إلى مرحلة الألم التى لم يعد يتحمّلها، أو وصل إلى مرحلة الانهيار النفسى ، أو الخوف الشديد .

وإن الاستمرار فى الضرب وحالة الطفل هذه تُعَدُّ جريمة فى حق تربية الطفل ، وهو دليلٌ على حب الانتقام والتشفى من هذا الطفل المسكين ؛ الذى وقع فى الظلم، وأحضان الوالد الظالم .

روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : «إذا ضرب أحدُكم خادمَه فذكر الله ، فارفعوا أيديكم» .

وقد يقول قائل : إن الطفل إذا علم بهذا قد يتخذها وسيلة فى التهرب من العقوبة ، والمعاودة على الخطأ ، أو يتخذها حيلة للتخلص من الضرب ، ويعاود إلى فعله !

فالجواب على ذلك : الاقتداء بحديث رسول الله ﷺ ؛ لما فيه من تعظيم الله تعالى فى نفس الطفل ، وهو كذلك علاج للضارب من أن حالته الغضبية كبيرة جداً؛ مما استدعى من الطفل ذكر الله تعالى ، والاستغاثة به .

ولن نتكلم مع ضعاف الإيمان الذين إذا سمعوا مثل هذه الاستغاثات ، ازدادوا

---

(3) حديث : «لا يقضين حاكم بين اثنين وهو غضبان» رواه الجماعة عن أبى بكرة. ولفظ البخارى : «لا يقضى القاضى وهو غضبان» ورواه مسلم .

(1) التربية فى الإسلام (ص 270) .

حمقًا ، وتعسفًا ، وعقوبة ، وضربًا . فهؤلاء بحاجة أن يذكروا ذنوبهم ، وتقصيرهم مع ربهم ، وحلم الله تعالى عليهم ، مع قدرته عليهم فى كل آن .

اللهم وفقنا لتأديب أولادنا على النحو الذى ترضاه .

وبعد أن انتهينا من قسم التهيئة والإعداد لكل من المربين والوالدين ، نبدأ بالتعرف إلى كيفية بناء شخصية الطفل الإسلامية ، على ضوء الأحاديث النبوية بذلك .

* * *